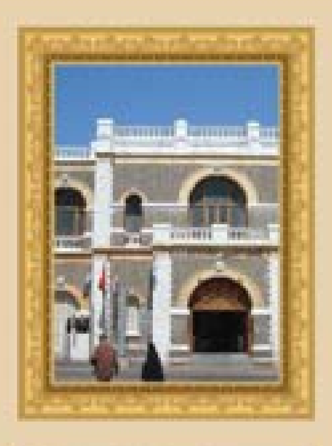
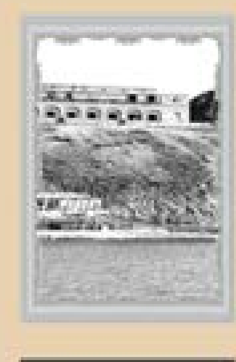
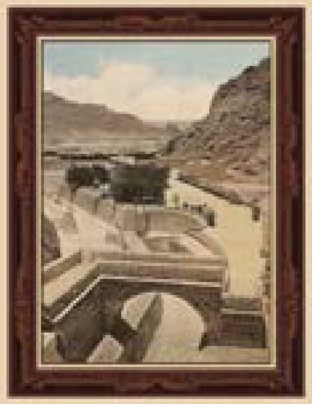
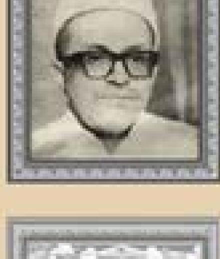
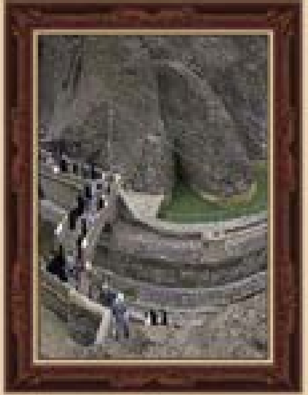
ذكريات وإضاءات في تاريخ عدن واليمن



د. محمد علي البار





د. محمد علي البار





الطبعة الأولى: ٢٠١٩



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر
هاتف وواتس آب: 00201008170225
بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله ومن والاه.

وبعد، فإن الإنسان يمر بأطوارٍ ومراحلٍ عديدة في أثناء خلقه حتى خروجه من رحم أمه، ثم يمر بأطوارٍ أخرى حتى ينتهي إلى قبره. وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأطوار بقوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤] وهذه الأطوار هي:

١- خلق آدم من الطين وعالم الذر (عالم الرمز والشفرة والجينات).

خلق الله سبحانه وتعالى آدم من الطين وجعل نسله في ظهره في عالم الذر وأخرج نسله من ماء مهين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

وقد وضح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنا ما حدث وما جرى في ذلك اليوم، يوم أن وقف آدم في وادي نعمان (وادي بين مكة وعرفات) يوم عرفة وذريته تخرج أمامه من عالم الذر إلى عالم المجسمات ومن عالم الغيب إلى عالم الشهادة...

ويقول المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله كما يرويه عنه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة. فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا، وقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون**" أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في مستدركه.

وفي الصحيحين (البخاري ومسلم) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديًا به. قال: فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من ذلك. قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئًا فأبيت إلا أن تشرك بي**".

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس. فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**" رواه ابن جرير.

وأخرج الترمذي والحاكم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خلقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصًا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال آدم: أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال رب وكم جعلت عمره؟ قال ستين سنة، قال: أي رب هذا وهبتُ له من عمري**

أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم وجاءه ملك الموت قال: أولم يبقَ من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته".

وعالم الذر هذا عالم الرمز والشفرة وعالم الأحماض النووية DNA والجينات، وربما كان أصغر من ذلك والبشر لا يدركون ماذا حدث في ذلك اليوم وكيف تم الإشهاد ولكن الفطرة الإنسانية تدل على هذه المعرفة، حيث أن الإنسان بفطرته السليمة يدرك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وصوره وأخرجه من عالم الذر إلى عالم الشهادة.

٢- عالم التكوين في الرحم من النطفة إلى المولد. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ﴾[الحج: ٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. وقال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦].

٣- الخروج من الرحم والبقاء في الدنيا إلى حين الأجل والوفاة وفيها مراحل متعددة. يقول الله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] ويقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وأنا الآن في هذه المرحلة الثالثة بعد أن عشت في عالم الذر الذي لا أذكره ولا يذكره غيري من البشر إلا إذا أراد الله سبحانه تعالى وذلك يوم القيامة، وقد بلغت الآن من الكبر عتيًا وبدأت الذاكرة تضعف وطلب مني إخوة صدق وهم: (الإخوة الأحبة الدكتور: حسان شمسي باشا، والدكتور عبد الله الجودي) أن أبادر إلى تسجيل بعض ذكرياتي منذ المولد إلى هذا العمر وقبل أن تذهب الذاكرة أدراج الرياح، وهم يرون في بعض هذه الذكريات معلومات قد تفيد بعض الأجيال الحالية والقادمة.

وقد حرصت على أن أذكر الأحداث وما فهمته منها وعنها وامتداداتها التاريخية.

وقد بدأت بذلك منذ يوم خروجي من رحم أمي في مدينة عدن بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٣٩م وذلك عند بداية الحرب العالمية الثانية وما صاحب ذلك من أحداث وقصص تستحق أن تروى. كما ذكرت تاريخ وقوع عدن في قبضة الإنجليز بعد استيلائهم على الهند حيث كانت عدن ذات موقع مهم للحفاظ على درة التاج البريطاني (الهند).

وشرحت نبذة مختصرة عن مدينة عدن التي يسكنها العديد من الناس من مختلف الجنسيات والأديان، واستطردت بعد ذلك في ذكري الأديان الهامة التي كانت في عدن واليمن وأولها الإسلام وكيف دخل إلى اليمن وعدن، وما هي أهم المعالم الدينية والتاريخية في عدن

وبما أن اليهود كانوا جزءا من سكان عدن فقد شرحت كيف دخلت اليهودية إلى اليمن منذ أيام سيدنا سليمان ﷺ وبلقيس التي أمنت بالله وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. ثم اندثرت اليهودية وعادت مرة أخرى في عهد التتابعة في القرن الرابع بعد الميلاد، وذكرتُ تاريخ اليهود في عدن باختصار إلى أن ذهبوا إلى فلسطين في عام ١٩٤٨م وما بعده.

وشرحت دخول النصرانية في اليمن وعدن وذلك في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد وماذا حصل مع نصارى نجران وكيف اختفت المسيحية بعد ذلك إلى أن ظهرت في العصر الحديث بعد دخول الاستعمار والهيئات التبشيرية وكيف فشلت هذه الهيئات في تنصير سكان عدن واليمن.

وذكرت الزرادشتية (المجوس) الذين كانوا في عدن والذين جاؤوا من الهند بعد أن استولت بريطانيا على عدن مع مجموعات الهنود الآخرين ولم أهمل الهندوس فذكرت دينهم ومعبدهم.

ثم ذكرت المراحل التعليمية التي عشتها في عدن من الابتدائية إلى الثانوية العالية وتعرضت في ذلك إلى المدارس المختلفة الأهلية والحكومية الموجودة في عدن في تلك الفترة.

كما ذكرت مجموعة من أساتذتي الفضلاء وما استفدته منهم وخاصة الأستاذ لطفي جعفر أمان الذي أطنبت بالحديث عنه وتعرضت بعد ذلك

بحياتي في المنزل والحارة وما فيها من أحداث ووقاية ومجلس الشاي الذي كان يعقد في منزل والدي ويحضره بعض العلماء من أمثال السيد العلامة حامد بن أبي بكر المحضار، والشعراء من أمثال السيد حسين بن محمد البار وما تعلمته واستفدته من هذه المجالس.

وذكرت صلتي بالصحافة في تلك الفترة وكتابتي في الصحف المحلية والتي كان يشجعني فيها الأستاذان عبد الله وعلي باذيب.

وذكرت بتفصيل لا بأس به كلية عدن ومدرسيها من الإنجليز وغيرهم وما جرى فيها من أحداث حيث أني بقيت فيها خمس سنوات من ١٩٥٣-١٩٥٨م وهي من أهم سنين حياتي.

ثم ذهبت إلى القاهرة لدراسة الطب وذكرت أهم انطباعاتي في الكلية وخارجها مع لفتات تاريخية وأدبية عاصرتُ بعضها.

وبعد أن تخرجت من كلية الطب ذكرت عودتي إلى عدن مع أخي أحمد علي البار وزميلنا الدكتور سالم اليافعي، وكنا قد تخرجنا سويا وعدنا إلى عدن عام ١٩٦٥م وعملنا في مستشفى الملكة اليزابيث الذي كان أكبر المستشفيات في الجزيرة العربية في ذلك الوقت حيث كان به ٥٠٠ سرير وفيه ثُلة من الأطباء الجيدين من الإنجليز وغيرهم

وذكرت الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية التي كانت تموج بها عدن في تلك الفترة.

وقد جعلت الفصل الأخير للجمعيات الوطنية والحركات السياسية والتي عرفتُ بعضها عن كَثب وبعضها ما قرأته عنها فيما كتب من كتب وذكريات.

وقد ساعدني في كثير من هذه الذكريات كثير من الإخوة والأحبة منهم أخي الدكتور أحمد علي البار وخالي السيد أحمد عبيد الصافي. وابن العم العزيز حسن بن عبد القادر البار الذي أمدني ببعض صور أفراد الأسرة وبعض المعلومات. والأخ العزيز الصهر الدكتور أحمد سقاف البار الذي قام بكثير من التصويبات الإملائية والتعليقات المفيدة. كما أمدني الأخ الكريم المحامي السيد علي بن حامد المحضار بمعلومات وذكريات تخص والده. وكذلك أمدني الأخ عبد الله بن حسين البار بالمجموعة الشعرية الكاملة لوالده الشاعر حسين بن محمد البار. وقد أمدني الأخ والصديق الشاعر الدكتور شهاب محمد عبده غانم ببعض المعلومات المتعلقة بوالده الشاعر الأستاذ الدكتور محمد عبده غانم وخاله الشاعر علي لقمان، وعن أخته الفاضلة الدكتورة عزة محمد عبده غانم والتي كانت من أوائل من حصل على الدكتوراه من بنات عدن. وقد أمدني أيضًا الأخ الدكتور عادل عولقي بكثيرٍ من المعلومات الهامة في هذه الذكريات وخاصة أسماء الأطباء الذين كانوا في مستشفى الملكة ومعلومات هامة عن الدكتور أحمد سعيد عفارة. وقد أمدني الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأحمري أستاذ التاريخ في جامعة الملك سعود في الرياض بكثيرٍ من أبحاثه المتعلقة بالحركات التبشيرية في عدن. وصحح لي الأستاذ الدكتور أمين كشميري ما كنت كتبته عن الأستاذ الدكتور أحمد علي مدير ومؤسس البنك الإسلامي الدولي حتى عام ٢٠١٦ عندما كان في عدن يُدرِّس في المعهد العلمي الإسلامي، وذكرت أنه من أهل مكة المكرمة فصحح ذلك بأنه من أهل المدينة المنورة. كما أمدني الأخ العزيز محمد علي العمودي بمعلوماتٍ

هامة عمَّا جرى في أثناء حكم الجبهة القومية من صراعات ومذابح تشيب لها الولدان وصحح بعض الأخطاء الإملائية واللغوية.

وجزى الله خيرًا كل من أمدني بمعلومة أو صحح لي خطأ من أخطائي العديدة في هذه الذكريات والاستطرادات التاريخية. كما أشكر سكرتيرتي الأخت الفاضلة الأستاذة سها حاوي على كتابة هذه المذكرات وعلى قراءة المراجع وغيرها حيث أني قد فقدت قدرتي على القراءة والكتابة بسبب إصابتي بالماء الأزرق (الجلوكوما) وهو ابتلاءٌ أحمد الله عليه حيث أن قدرتي على التفكير والذاكرة لم تفقد بعد. ولهذا أعتذر عن وجود بعض الأخطاء الإملائية أو اللغوية رغم محاولات التصويب والتصحيح من الإخوة الكرام.

والله ولي التوفيق

محمد علي البار

جدة - ١٥ ذو الحجة ١٤٣٩هـ

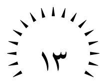
٢٦ أغسطس ٢٠١٨م



خريطة اليمن وعدن



خريطة عدن





بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات



الفصل الأول
زمن المولد واحتلال بريطانيا لعدن

أنا محمد علي حامد البار، ولدت في مدينة عدن ١٩٣٩م في ٢٩ ديسمبر، في بداية الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا والحلفاء من جهة وكانت فرنسا كحليف، وألمانيا مع اليابان وإيطاليا كدول المحور كأعداء.

وعدن كانت مستعمرة بريطانية معرضة لأن تهجم عليها إيطاليا، ولكن في بداية الحرب كانوا مشغولين بأوروبا ذاتها ولم تستطع بريطانيا في ذلك الوقت أن توفر وسائل للدفاع عن عدن، ولكنها قامت بتدريب مجموعة من رجال المحميات على القتال الحديث وأسمتها الليوي (Levy) ودربوهم على استخدام مضادات للطائرات، وبالفعل هجمت الطائرات الإيطالية بعدد قليل، واستطاعوا أن يسقطوا طائرتين من طائرات إيطاليا، ثم بعد ذلك استطاعت بريطانيا أن تأتي بطائرة حربية واحدة فقط، وطلبت من أهل عدن أن يتبرعوا بشراء طائرة أخرى، وبالفعل تبرع بعض الأغنياء الموجودين في عدن، ومنهم شركة البس الفرنسية تبرعوا بقيمة نصف طائرة حربية استخدمتها بعد ذلك بريطانيا في الدفاع والهجوم على مراكز إيطالية في الصومال وغيرها.

احتلال شركة الهند الشرقية لعدن

احتلت بريطانيا عدن عام ١٨٣٩م قبل مئة سنة من ولادتي احتلها الكابتن هينز الذي كان ضابطًا بحريًا لدى شركة الهند الشرقية والتي كانت تحكم الهند.

ودخلت بريطانيا الهند عام ١٦٠٢م بأمر مرسوم ملكي من الملكة ايليزابث الأولى وبدأت احتلال المناطق بالتدريج، واستطاعت هذه الشركة بذكاء أن تتحكم في نصف تجارة العالم.. من توابل وغيرها، وكانوا يرسلونها من الهند إلى بريطانيا ومنها إلى بقية أرجاء العالم كالشاي وغيره، ودخلت بريطانيا بالتدريج إلى الهند التي كانت تحت حكم الدولة التيمورية (المغولية) نسبة إلى تيمورلينك الذي جاء من تركستان.. بعدها دخل أولاده إلى أفغانستان ومن بعدها إلى الهند واستولوا عليها، وكانت معظم الهند تحت حكمهم. وكان المسلمون لهم دور كبير في الثقافة والحضارة وكانوا متسامحين مع الهندوس جدًا الذين تولوا الوزارة وخاصة في عهد السلطان (أكبر) الذي تزوج هندوسية وقرب في بلاطه الهندوس والمسيحيين واتهمه علماء الإسلام بالمروق من الدين لمحاولته دمج الأديان وقد شَغُفَ به المستشرقون والهنادكة ولكن ابنه اورنك ذيب كان شديد التدين وأبعد التأثير الهندوسي على الدولة عند توليه الحكم ولهذا هاجمه المستشرقون والهندوس.

بريطانيا وتجارة الأفيون

ودخل البريطانيون الهند كتجار وأقاموا معاهدات مع الأمراء في المناطق المختلفة تحت أمر السلطان نفسه وبالتالي نرى هذه الشركة الذكية جدًا بدأت في المتاجرة وتوسعة المتاجرة وأهم تجارتها الأفيون. وكانت شجرة الخشخاش التي يستخرج منها الأفيون منتشرة في الهند، وعمل الإنجليز على

زراعتها على نطاق واسع.. وفي نفس الوقت كانت فرنسا تحتل ما يسمى تايلند وكمبوديا وفيتنام (الهند الصينية)، وزرعوا شجرة الخشخاش على نطاقٍ واسعٍ هناك واستخرجوا منه الأفيون بكمياتٍ كبيرةٍ جدًا وصدروه مع بريطانيا إلى الصين، ووقعت ثلاثة حروب لنشر تجارة الأفيون:

الحرب الأولى ١٨٣٩م: قامت بها بريطانيا ضد الصين لتسمح بتجارة الأفيون في الموانئ الصينية، واضطر الإمبراطور بعد هزيمته بالموافقة على ذلك بالسماح بتجارة الأفيون في خمسة موانئ صينية وبشرط أن لا تدخل إلى البر الصيني، وسرعان ما طالبت فرنسا بما حصلت عليه بريطانيا وبالفعل تم لها ذلك.

الحرب الثانية ١٨٥٦م: قامت بين بريطانيا وفرنسا من جهة والصين من جهة أخرى؛ وذلك لفرض نشر تجارة الأفيون في جميع أرجاء الصين بما فيها عاصمة الإمبراطور نفسه بشين (بجين)، وانهزمت قوات الإمبراطور ودارت المفاوضات الطويلة بين الجانبين ولكن الإمبراطور رفض أن يوقع على معاهدة تنيسين المهينة.

الحرب الثالثة ١٨٦٠م: عندما حاول الإمبراطور الحد من نشر الأفيون في داخل البر الصيني، واشتركت بريطانيا وفرنسا ومعهما الولايات المتحدة الأمريكية في حرب ثالثة مدمرة بفرض تجارة الأفيون ودكت هذه القوات الضخمة قصر الإمبراطور نفسه في بكين واضطر صاغرًا بالموافقة على تسميم شعبه.

وازدادت كميات الأفيون المصدرة إلى الصين من مائتي صندوق عام ١٧٢٩م إلى ستين ألف صندوق أي ستة آلاف طن من الأفيون الخام

عام ١٨٥٦م. وكان الأفيون في السابق يستخدم في طريقة البلع ولكن مع قدوم بريطانيا أدخلوا تدخين الأفيون كما أدخلوا تدخين التبغ، وانتشر استخدام الأفيون بواسطة التدخين انتشارًا رهيبًا في الصين حتى تسمم الشعب الصيني بأكمله.

ولما امتلأت السوق الصينية وصلت تجارة الأفيون إلى أوروبا نفسها وذلك في بدايات القرن العشرين. وبدأت أوروبا تتنبه إلى مخاطر الأفيون الذي وصل إلى شعوبها وقامت عدة معاهدات بعد ذلك للحد من تجارة الأفيون ابتداءً من ١٩٠٦م إلى القوانين الدولية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين التي تحارب تجارة الأفيون ومشتقاته وتضع عليه عقوبات تصل إلى حد الإعدام.

وقد أخذت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من هذه التجارة مليارات الدولارات، وكانت هذه الدول أول مروج لتجارة الأفيون والمواد المصنعة منه مثل: المورفين والهوروين وهما أهم مشتقات الأفيون وفرضت هذه الدول الكبرى تجارته طالما كان الضحايا من غير البيض، ولما تشبعت السوق الصينية انتقلت تجارة الأفيون ومشتقاته إلى الغرب نفسه، وآن ذاك بدأت الحرب ضد المخدرات وبالذات الأفيون ومشتقاته.

واستطاعت بريطانيا بالخداع في الهند أن تستولى على مناطق كثيرة، فأخذوا يضربوا أميرًا بأميرٍ، ويضربوا وزيرًا بالملك ويعطوه الوعود بأن يكون السلطان وأن يساعدوه لكي يحارب السلطان، ويمدونه بالأسلحة النارية والمدافع، واستطاعت هذه الشركة أن تؤسس جيشًا كاملًا من الهنود بلغ عدده ٢٥٠ ألف جندي (أكثر من الدولة البريطانية نفسها).

واستولى الكابتن هينس على عدن في أول سنة تولت فيها الملكة فكتوريا الحكم (١٨٣٩)، لحساب شركة الهند الشرقية لأهمية عدن كميناء بحري في الطريق إلى الهند ولتأمين الاتصال بين الهند وبريطانيا... وبعد ذلك أخذت حكومة بريطانيا تتدخل في شركة الهند وتنظم أعمالها وترتب أمورها، لأنها أصبحت دولة داخل الدولة وحكومة داخل الحكومة، ومعها أموال أكثر من الحكومة نفسها، وبالتالي فرضت عليها قوانين تنظم أعمالها وارتباطها بالدولة البريطانية.

ومنذ بداية الأمر دخلت ملكة بريطانيا اليزابيث الأولى كشريك مع الشركة هذه، وبعدها سمحوا للشعب أن يشترك فيها بأسهم، وبالتالي فإن الجميع كان مستفيدًا ولهذا قاموا بدعم هذه الشركة الضخمة.

وفي نفس الوقت قامت شركة الهند الهولندية الشرقية، وحاولت أن تحتل مناطق في الهند ولكنها لم تستطع بسبب أن بريطانيا قد سبقتها، فحاولت أن تحتل مناطق أخرى وخاصة في أندونيسيا، ودخلت في حروب كثيرة مع المسلمين هناك، واستطاعت أن تحتل بنفس الأسلوب الإنكليزي بالخداع والكذب من ناحية، وشراء الذمم وضرب أمير صغير بأمير أكبر، ودعم الصغير هذا بأسلحة جديدة من مدافع وغيرها حتى يستولوا على أندونيسيا، وقد وجدوا مقاومةً شديدةً من المسلمين وكان معظم قادة المقاومين من الحضارم ومعهم سلاطين أندونيسيا، وكانت هولندا تهاجم العرب بشكل عنيف دائمًا، ومنعت الحجاج من الذهاب إلى مكة، وأرسلوا شخصًا مستشرقًا يسمى سنوك إلى مكة ليدرس أسباب تحول هؤلاء الحجاج الأندونيسيين إلى مقاومة الاستعمار الهولندي بعد عودتهم من الحج بصورة خاصة. وكانت مكة بالنسبة لهم تجلب المشاكل باستمرار.

لم تهتم بريطانيا بعدن اهتمامًا كبيرا، غير أنها مهمة في الطريق إلى الهند، وهي موقع استراتيجي هام جدًا وزادت أهميتها بعد فتح قناة السويس... قبلها كانت سفنهم تضطر إلى الإبحار حول رأس الرجاء الصالح في جنوب إفريقيا حتى تصلَ إلى الهند، لكن مجرد أن فتحت قناة السويس صار الخط متصلًا بين بريطانيا وعدن مباشرة، وصارت عدن ميناءً مهمًا بالنسبة لها كميناءٍ تجاري وميناءٍ للتزود بالوقود (كان الوقود أيامها الفحم حيث لم يكن البترول موجودًا) Bunkering station.

وبما أن عدن كانت تابعة للهند والهند تابعة للشركة، فكانت الفرقة التي هجمت على عدن فرقة كلها من الهنود، فيها القليل من الضباط الإنكليز. وسمحوا للهنود أن يسكنوا في عدن، فكثر الهنود في عدن بشكل كبير، ومنعت بريطانيا خاصة أول الأمر في (الأربعين أو الخمسين سنة الأولى) العرب من دخول عدن حتى لو كانوا من أبين أو لحج أو ما حول عدن من المناطق، فكانوا يأتون بالقوافل وفيها الأكل والميرة ويأخذوا بعض البضائع من عدن في النهار، وفي الليل يغلقون الأبواب ويجب عليهم أن يخرجوا منها آخر النهار. وكان هذا النظام غريبًا فرضته بريطانيا حتى لا تدخل القبائل إلى عدن.

في تلك الأيام كانت عدن قد وصلت إلى درجة من الانحطاط، رغم أن عدن لها تاريخ طويل وهي مدينة قديمة جدًا ومذكورة بالعهد القديم في سفر حزقيال وغيره، وهي مدينة تاريخية ولها تجارة كبيرة ضخمة، كانت تأتي البضائع من الهند والصين ومن جزيرة العرب ومن شرق إفريقيا وتذهب إلى مصر وإلى سوريا إلى الشمال ومنها مباشرة إلى أوروبا مدينة فيها تجارة كبيرة جدًا وكان سكانها مختلطين دائمًا، أي ليسوا فقط يمنين بل فيها سكان هنود

وصينيون وأفارقة وكل الأجناس فيها، ولذلك صار فيها التسامح باستمرار وهي مدينة متسامحة بالأصل وسكانها متعايشون ولأنهم تجار في الغالب ويأتوا من الداخل من حضرموت وغيرها من المناطق مثل تعز.. لكن عندما دخلت بريطانيا منعت هؤلاء كلهم تقريبًا، وكان فيها عدد من اليهود حوالي ألفين في ذلك الوقت، واشتغلوا جواسيس لبريطانيا وكانت عدن تابعة في الأصل لحكومة لحج، (حكومة العبادلة) وكانت هذه الحكومة تعد الخطط لإعادة الاستيلاء على عدن من بريطانيا وحاولت ثلاث مرات وفشلت؛ لأن الكابتن هنس الذي تولى حكم عدن كان ذكيًا جدًا، وكان يعرف اللغة العربية ويفتن بين القبائل، وكان لديه مخابرات مستمرة وأغلبهم من اليهود الذين كانوا مستلمين المالية، فكانوا يعطوا المخابرات البريطانية الأسرار وماذا جرى في قصر السلطان وما هي نواياهم، فكان يستعد ويضربهم، وهي ثلاث محاولات قامت لتحرير عدن من الإنكليز، وكلها فشلت وبعدها خضعوا لها، لكن الاستبداد البريطاني منع أصحاب البلد من الدخول لعدن والجلوس فيها والإقامة فيها باستمرار، وكانت الإقامة أغلبها هندية، واستمر هذا الحال فترة طويلة إلى بداية القرن العشرين، وكان بعض العرب الذين زاروها استغربوا ذلك جدًا وكتبوا في مذكراتهم أن هذه مدينة هندية وليست مدينة عربية، اللغة الهندية هي الأساس وكانوا يتعاملون باللغة الهندية أو الإنكليزية، وهم مسيطرون على كل أمورها، ولكن في بداية الحرب العالمية الثانية بدأت الهند تطالب بريطانيا بالاستقلال في حركة غاندي، وبدأت حركة الاستقلال في الهند تطالب بعدن أيضًا باعتبارها جزء من الهند رغم بعدها عن الهند.

تحويل حكم عدن من الهند إلى وزارة المستعمرات في لندن

تنبهت بريطانيا لمطالبة الهنود بعدن منذ بداية الأربعينات من القرن العشرين، ومباشرة حوَّلت عدن إلى وزارة المستعمرات في بريطانيا. وبدأت تحد من هجرة الهنود إلى عدن، وسمحت لأبناء المنطقة القريبين من الشمال وما حولها وحضرموت بالإقامة في عدن، وكان تجار كثيرون يأتون إليها، وبدأت الحركة التجارية تزدهر وازداد الازدهار في ١٩٥٤ لعدة أسباب: السبب الأول: أن القاعدة البريطانية الكبيرة في مصر في قناة السويس قد تم اتفاق جمال عبد الناصر مع بريطانيا على أن تخرج بريطانيا من قناة السويس، بتشجيع من أمريكا، ولكن من حق بريطانيا أن تعود إذا وجدت حرب، بدون إذن من مصر.

وخرج عدد كبير من الجنود البريطانيين مع عائلاتهم (حوالي ستين ألف) من قناة السويس إلى عدن. فبنيت عدن بشكل كبير جدًا... وبنيت المدينة البيضاء في خور مكسر (التي كان فيها مطار جوي).. وفي المعلا التي كانت ميناء للسفن الشراعية ردموا البحر وعملوا شارعًا طويلًا من أجمل الشوارع وكله بناء متشابه (ثلاثة كيلو مترات متصلة) بنفس الشكل، وهو شارع كبير جدًا واسع من الجهتين بناءه متشابه وكلها سكن للجنود البريطانيين وعائلاتهم... وسكن الضباط والمسؤولون السياسيون في التواهي التي كانت مقر الحاكم العام البريطاني.

في فترة الحرب العالمية الثانية هاجرت بعض العائلات (ومنها عائلتي) من النساء والأطفال إلى المناطق القريبة من عدن مثل لحج والوهط، التي تبعد

عن عدن بحوالي أربعين كيلو متر، وجلسنا هناك حتى هدأت الأمور. وكان الوالد يحكي لنا فيما بعد كيف كانوا يشاهدون الطائرات الإيطالية وهي تغيير على عدن، وكيف كانوا يضربونها بمضادات الطائرات وكيف كانت تهرب، ونادرًا ما تسقط طائرة، ففي الحرب كلها سقطت طائرتان إيطاليتان فقط.

تطور عدن في الخمسينات من القرن العشرين

في سنة ١٩٥٤ قفزت عدن قفزة كبيرة جدًا للأسباب التالية:

الأولى: اتفاقية الجلاء عن قناة السويس التي ذكرناها، وانتقال الجيش البريطاني إلى عدن.

والثانية: أن الملكة اليزابيث جاءت إلى عدن، (وهي الملكة الوحيدة الآن في العالم التي حكمت من ١٩٥٢ وهي مستمرة في الحكم إلى الآن (٢٠١٨) وهي أكثر واحدة حكمت في التاريخ –طبعا الحكم في بريطانيا حكم دستوري- (والملكة لا تحكم مباشرة، بل يحكم البرلمان والوزارة) جاءت إلى عدن وقامت بثلاث خطوات:

أولا: وضعت حجر الأساس لمستشفى الملكة اليزابيث، الذي يتسع لخمسمئة سرير، وفي ذلك الوقت كان أكبر مستشفى في الجزيرة العربية.

ثانيًا: عندما استولى مصدّق على الحكم في إيران وطردَ الشاه، أمم صناعة البترول... وكانت إيران مليئة بالبترول وفيها أكبر مصافي بترول في الشرق الأوسط في عبدان فأممها.. ولم تسكت بريطانيا عن هذا وعملت مع الولايات المتحدة على إسقاط مصدق وإعادة الشاه، وفي الفترة هذه اضطروا أن يبنوا

مصافي في عدن لكي لا تكون تحت رحمة إيران، وعملوا مصافي بترول في عدن الصغرى في (البُريقة) وكانت هي أكبر مصافي البترول في الشرق الأوسط في ذلك الوقت.

ثالثًا: صارت عدن أكبر قاعدة عسكرية بريطانية خارج المملكة المتحدة.

هذه الحوادث جعلت عدن تقفز من ميناء محدود إلى ثالث أهم ميناء في العالم بعد نيويورك ولندن من ناحية عدد السفن، وكان يأتي إليها السياح لأن التجارة فيها كانت مفتوحة وحرة، فكانت عدن مزدهرة جدًا في تلك الفترة.

وقد قامت الملكة ايلزابيث في أثناء زيارتها إلى عدن في ٢٧ أبريل ١٩٥٤م بإعطاء وسام وجائزة لأحد الصيادين في عدن الذي قام بإنقاذ فتاة بريطانية تسبح في ساحل جولدمور (الساحل الذهبي) في التواهي من أسنان القرش المتوحش، فقاتله بالسكين حتى قتله وأنقذ الفتاة. كما قامت ملكة بريطانيا بإعطاء السيد أبو بكر بن شيخ الكاف رتبة فارس الإمبراطورية (لقب سير sir) ورفض السيد الكاف أن يجثو على ركبتيه على الأرض، عندما تأخذ الملكة السيف وتمره فوق كتفه حسب العادة البريطانية باعتباره ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجوز له أن يجثو بين يدي الملكة بسبب هذا النسب الشريف، وسُمح له بأن يضع ركبته على كرسي والأخرى واقفة عندما تقوم الملكة بإمرار السيف فوق كتفه.. وهذه أول مرة في التاريخ يتم فيها هذا الإجراء في تنصيب فارس إمبراطورية.



وقد تم إعطائه هذا اللقب بسبب قيامه بتهدئة القبائل وقيامه بالعديد من المشاريع الخيرية في حضرموت؛ حيث مهد طريقًا من مدينة الشحر الساحلية إلى مدينة سيئون في الداخل، وعبّد أكثر من مئتي كيلومتر حتى تصل إليها البضائع، كما قام بافتتاح مدارس ومستشفى على نفقته الخاصة. وكان السيد أبو بكر بن شيخ الكاف صديقًا لجدي السيد حامد بن علوي البار.

وقامت الملكة بإعطاء لقب سير للشيخ عبد القادر مكاوي لخدماته الجليلة لمدينة عدن.

وحضرت الملكة مباراة تنس استعراضية في نادي جيم خانة (Game Khana) في كريتر عدن، بين مستر تيفاري (أحد أبطال التنس في عدن) وعبد الحميد مكاوي بطل التنس في عدن، ومباراة زوجية كان فيها أحمد عبيد الصافي (خالي) مع أستاذ الجغرافية في كلية عدن مستر فوكس ضد والدي علي حامد

البار مع عبد الحميد مكاوي (بطل التنس في عدن)، وحضرها جمّ غفير من المسؤولين ووجهاء عدن.

وفي عام ١٩٥٦م جاءت حرب السويس بعد تأميم قناة السويس في مصر من جمال عبد الناصر، وهجمت بريطانيا هي وفرنسا وإسرائيل على مصر ووقف العالم ضد بريطانيا وفرنسا، مع أنهم نجحوا من الناحية العسكرية واحتلوا قناة السويس وما حولها مباشرة. ولكن أمريكا نفسها وقفت ضدهم. وقام المستر أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة وزعيم العالم الحر مع روسيا، (وهي ثاني أقوى دولة في العالم) بإصدار إنذار لفرنسا وبريطانيا وإسرائيل أن يوقفوا القتال وينسحبوا فورًا من قناة السويس، فاضطروا للانسحاب وكانت هزيمة كبرى لبريطانيا وفرنسا.

وكان رئيس وزراء بريطانيا مستر ايدن قد أصيب بحالة نفسية واضطر أن يستقيل من الوزارة.

وأدَّى قفل قناة السويس لفترة طويلة إلى توقف تجارة والدي (اللبان) مع مصر فاضطر أن يذهب إلى مصر مرارًا وافتتح عملًا تجاريًا مع أحد تجار مصر من الأقباط، ولكن هذا المشروع أيضًا فشل، ثم بعد ذلك استقر في مصر وأقام مناحل للنحل واشتغل بذلك.

قامت بريطانيا بالاهتمام بعدن بعد حرب السويس كميناء وكقاعدة عسكرية هامة جدًا، وفتحت الباب لعشرات الآلاف من الجنوبيين والشماليين، وخاصة من العمال الذين جاؤوا من تعز وما حولها حوالي ١٢ ألف أو أكثر، ومن المناطق الأخرى المحلية ١٢ ألف عامل أيضًا. وجاء التجار من كل مكان، تجار حضارم كانوا موجودين في إفريقيا وكينيا وماليزيا وأندونيسيا وغيرها،

عادوا إلى عدن باعتبارها منطقة مزدهرة، فزاد عدد السكان زيادة كبيرة وسياسة بريطانيا الجديدة كانت جيدة في هذا الباب حيث منعت الهنود من الدخول إلى عدن إلا بتصريح خاص، وقلَّ عددهم نسبيًا وزاد العرب بأعداد كبيرة جدا، وصارت عدن ميناء اليمن كما كانت في التاريخ القديم.

عدن مدينة كوزمو بولتيانية (مدينة عالمية) Cosmo Politan

عدن مدينة ذات تاريخ طويل بالتجارة وتاريخ متصل بأمم مختلفة، مثل: الصومال وشرق إفريقيا والهند، والصين ومن سوريا ومصر والحجاز والعراق، وفيها بعض الأسر من إيران، ومما يسمى دول الخليج (الآن).. ومن اليونان وفرنسا بالإضافة إلى الإنجليز ولهذا كانت مدينة متسامحة ومنفتحة على الجميع.

العطور والبخور والطيب في عدن

ذكرت الدكتورة أسمهان عقلان العلس في كتابها "الموروث الثقافي للمرأة العدنية" في فصل "أدوات الزينة والعطور والتطيب". أن اليعقوبي (وفاته ٢٨٤هـ وقيل ٢٩٨هـ وهو جغرافي ومؤرخ مولده في بغداد ووفاته في القاهرة، ويعتبر كتابه البلدان من أقدم وأهم المراجع الجغرافية والتاريخية الإسلامية) ذكر في كتابه (البلدان) بعد أن زار عدن ووصفها أنه في أول يوم من شهر رمضان كان التجار يحملون الطيب من عدن إلى سائر الآفاق. وهذا الاستشهاد يحمل دلالة تاريخية على تأثير الالتقاء الجغرافي والاتصال التاريخي على السلوك الثقافي للمجتمع. فقد كانت عدن نقطة التقاء التجارة العالمية بين المحيط الهندي وموانئ البحر المتوسط. ومعبرًا مهما من معابر

تجارة البخور المتجه من مناطق إنتاجها في الشرق إلى مراكز استهلاكها في الغرب، كما كان لإطالة عدن على البر الإفريقي هو الآخر صورة أخرى من صور التواصل الحضاري بكل أبعادها. وشكلت علاقات الاتصال بأطراف المحيط الخارجي إثراء للتجارب والخبرات المختلفة. واستطاعت الذاكرة الشعبية اختزانها وإعادة إنتاجها بصورة ثقافية ومسميات وأنماط جمالية متنوعة ومؤثرة في السلوك البشري.

للمركبات العطرية بمختلف أنواعها علاقة وارتباط وثيقان بالبيت العدني، الذي لا يخلو من استخداماته المختلفة لها. ويعود ارتباط عدن بها إلى جذور تعامل هذه المدينة مع البخور والأطايب، خاصة وأن عدن قد وصفها المرزوقي الذي عاش في القرن الخامس للهجري بأن طيب الخلق (نوع من الطيب) جميعًا يعبأ فيها؛ حيث يخرج منها تجار البحر محملين بالطيب العدني المعمول فيها، والذي لا يحسن عمله إلا أهلها.

ومن العطور المميزة، عطر الغالية: يتكون من سائل العطر العودي وحبيبات العنبر، وعطر جوهر المسك.

وفي عدن أنواع أخرى من العطور، وأصبحت جزءًا من التراث الجمالي للمرأة العدنية، من أهم هذه العطور إعداد الطيب بأنواعه، الذي يصنع من المحلب الأبيض وملبس الطيب، وجوز الهند، وزهرة الكافور، والهيل، والقرنفل والظفري، ومسك الطيب. وتسمى المرحلة الأولى من إعداد هذا الطيب بالذريرة، والتي تعتبر صنفًا من أصناف الطيب المجموع والمخلوط بصورة جافة. وقد جاء ذكرها في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها عندما قالت: "طيبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإحرامه بذريرة" أخرجه البخاري ومسلم. أما إذا

عُجن هذا المسحوق بالعطور فإنه يصبح طيبًا. وأما طيب الغالية: فهو يصنع من المسك (وهو إفراز من غدة غزال المسك)، والعنبر: (وهو إفراز من حوت العنبر وهو يكثر في سواحل عدن إلى عمان وسقطرى) والزباد: (وهو إفراز من قط الزباد قط كبير يوجد في جزيرة سقطرى اليمنية) كما يضاف إليه الرياحين وعطر العود والفل والياسمين والورد. وقد اشتهر في العالم القديم وكان يُصدّر من عدن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب طيب الغالية.

وقد اشتهرت اليمن بتصدير السيوف اليمنية إلى بقية البلاد العربية وخاصة نجد والحجاز، كما اشتهرت الثياب المتميزة التي كانت تصدر من نجران (وقد فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أهل نجران الجزية التي تتضمن الثياب المنسوجة هناك) وعندما توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تم تكفينه بثلاثة أثواب (الثوب هو القماش وليس القميص) سحولية (وهي من منطقة قريبة من تعز باليمن)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة " أخرجه البخاري.



الفصل الثاني
أسرتي وبعض الحوادث

جدي السيد حامد بن علوي البار

هذه المرحلة الأولى من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٧ وكان والدي موجودًا مع جدي السيد حامد بن علوي البار الذي كان تاجرًا وكان لديه منزل كبير في عدن وقد بنى هذا البيت من قبل، وأمي من بيت الصافي وكان لديهم تجارة جيدة.. جدي لأمي السيد عبد الله (عبيد) بن أحمد الصافي، وكان عندهم أيضًا منزل كبير في منطقة اسمها الزعفران، هذه المنطقة كانت مشهورة بتجارة الزعفران قديمًا، ولها تاريخ طويل.

وكان والدي مع بعض إخوانه يعيشون في بيت جدي الكبير وجُعِلَ الدور الأرضي لاستقبال الضيوف والمكاتب..

وقد كان جدي شخصية معروفة وتتمثل فيه ثلاث شخصيات:



هذه صورة جدي حامد علوي البار في القاهرة بعد إجراء عملية الماء الأبيض (الساد) ١٩٦١، وقبل وفاته ببضعة أشهر وعمره آنذاك ٨٤ سنة ولم يذهب في حياته إلى طبيب أسنان قط لكثرة استعماله بالسواك وكان محتفظًا بجميع أسنانه.

الشخصية الأولى: أنه كان تاجرًا من التجار الحضارمة السادة، وكانت له تجارة في أندونيسيا وسنغافورة، وبعدها حوَّل تجارته إلى الحبشة، وبصفته هذه كان يجمع بعض الأموال.

والشخصية الثانية: كان ينفق على بعض مشاريع المساجد والمدارس.

وكان قد أسس مدرسة مع السيد أبو بكر بن شيخ الكاف في مدينته الخريبة في دوعن في حضرموت، والتي أشرف عليها العلامة الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد.



جدي في الوسط وعلى يمينه السيد أبو بكر بن شيخ الكاف وعلى يساره الداعية العلامة الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد

وساهم في الإنفاق على رباط شيخه الحبيب علي الحبشي، الذي أخذه ورباه منذ كان عمره ١٢ سنة مكث عنده ثلاث سنوات تقريبًا، ومن سن ١٢ سنة بدأ في صلاة قيام الليل ولم يتركها حتى مات وهذه هي شخصيته الثالثة في كثرة العبادة والاتصال بكبار العلماء وحضور مجالسهم حتى كان يعد منهم رغم أنه قليل الكلام، وأخذ الفقه والدراسات الدينية والتصوف (الزهد الحقيقي)، وكانت من أهم الكتب عندهم كتب الإمام الغزالي والإمام عبد الله الحداد.

وكان الناس يتحدثون عن صوت العصا التي يحملها جدي وهو في طريقه باتجاه مسجد العيدروس في أعلى عدن كل ليلة من الساعة الثالثة بعد منتصف الليل إلى أن يصلي الفجر وشروق الشمس، ثم يعود للمنزل وبعدها يرتاح قليلًا ويتناول الفطور ومن ثم يبدأ عمله التجاري.

وكانت هناك مشكلة بين التجار العرب وحاكم الحبشة الملك هيلا سلاسي، الذي فرض عليهم الضرائب الشديدة، فلما ذهبوا واشتكوا عنده لم يسمع لهم، ثم عاودوا الذهاب إلى الملك هيلا سلاسي وكان جدي يترأس الوفد، ولما رآه الملك قال: إذا كان أحد منكم ينتسب إلى رسولكم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعله السيد حامد البار.. ووافق على المقترحات التي قدمها، وخفّض لهم الضرائب التي كانت عليهم وخرج الوفد التجاري مسرورين.



صورة لأعيان الجالية العربية في أريتريا والحبشة وجدي في الصف الأول في الصورة

وكان له دور في الحبشة وأسمرا (أريتريا) في عدة مشاريع خيرية ودعوية وغيرها، كذلك كان له نفس الدور في أندونيسيا.



صورة لجدي السيد حامد بن علوي البار مع مفتي القدس وفلسطين السيد أمين الحسيني الذي قاوم الإنجليز واليهود منذ العشرينيات من القرن العشرين، والذي كان له دور بارز في استنهاض المسلمين ضد هؤلاء اليهود والسياسة الإنجليزية المتأمرة معهم، وقد قام عدد من أسرة الحسيني المشهورة بمقاتلة الإنجليز واليهود ويبدو أن هذه الصورة كانت في أندونيسيا الذي ذهب إليها السيد الأمين الحسيني الذي دعم الحركة الفلسطينية المقاومة للإنجليز ولليهود، وقد اجتمع هناك بالشخصيات البارزة من العرب الحضارم وفي الصورة يظهر ثلاثة منهم وهم: جدي السيد حامد بن علوي البار، والسيد محمد ضياء شهاب، والسيد علوي بن محمد المحضار.

وكان والد جدي السيد علوي بن عبد الله البار يشتغل أيضًا بالتجارة واشتكى إلى بعض شيوخه أنه يكسب في كل مرة ولم يخسر قط، فأشار عليه بعض التجار من أصحابه أن يبعث بالحصير من عدن إلى البصرة والمعروف أن البصرة بلاد النخل وبلاد الحصير فلابد أن يخسر؛ ولكن أراد الله سبحانه وتعالى عكس ذلك، فقد حصل حريق كبير في مخازن بيع الحصير في البصرة، وما وصلت بضاعة جدي الحبيب علوي إلا والناس تبحث عن الحصر واشتروها بثمنٍ غالٍ فتعجب جدي من ذلك، ولكن شيوخه أوصوه بالتصدق بجزء كبير من أرباحها وكذلك فعل.

وكان للحبيب علوي ثلاثة من الأبناء هم: محمد وعبد الله وحامد، وكان عمل هؤلاء الإخوة مشتركًا ولكن الحبيب محمد والحبيب عبد الله تفرغا للعبادة في وطنهما في دوعن فأوكلا العمل كله لأخيهما حامد فقام بهذا الدور خير قيام.

وفاة جدي لأمي السيد عبد الله (عبيد) أحمد الصافي

وأذكر وفاة جدي لأمي السيد عبد الله (عبيد) أحمد الصافي مع أنه لم يكن يشكو من أي مرض، وذهبت والدتي لزيارته وزيارة إخوتها وبعد المغرب جئت مع والدي لأخذها فوجدت جدي عبيد جالسًا على قعادة (كرويت / أريكة) أمام المنزل مطلًا على الشارع فسلمنا عليه أنا ووالدي ثم ذهبت لإحضار أمي، وفي الفجر صحوت على صريخ أمي وبعض النساء وفهمت أن جدي قد توفي فجأة في نفس الليلة، ورغم صغر سني (ما بين الخامسة والسادسة) فقد حزنت عليه لأنه كان دائمًا يلاطفني وكلما أزوره يعطيني روبية كاملة وحلوى اللبن وبعض الحلويات الهندية الأخرى، التي كانت منتشرة في عدن.

وقرر جدي السيد حامد بن علوي البار أن يبيع بيته في عدن (لا أدري ما السبب لأني كنت صغيرًا آنذاك)، فباع البيت وبقى أولاده بعضهم في الحبشة وبعضهم في أماكن أخرى.

انتقال والدي إلى منزل آخر بالإيجار (ذكريات وخواطر من المنزل والحارة)

بعد أن باع جدي بيته الكبير وانتقل إلى الحبشة وغيرها بقي والدي في عدن، وانتقلنا إلى منزل آخر بالإيجار في الحارة المجاورة (حارة الشريف) التي فيها مسجد بانصير، وقد قام والدي بفتح عمل في تجارة اللبان الذي كان يأتي من الصومال ويصدر إلى مصر، حيث كانت له سوق طيبة هناك.

وفي أواخر ١٩٤٧م دخلت المدرسة الابتدائية، وجاء أخي أحمد وهو يكبرني بسنتين أو ثلاث المولود في دوعن قد أتى به الوالد من دوعن لأن والدته توفيت وهو طفل رضيع وربته جدتي هناك وبقى في قرية الخريبة في

دوعن ودرس في مدرستها لكن هذه المدرسة كانت بسيطة، وأراد الوالد أن يلتحق بمدارس عدن لأنها أفضل بكثير من مدارس دوعن. وفي اليوم التالي بعد وصوله إلى عدن أخذته ليشاهد معالم مدينة عدن وبدأت بتلة قريبة من المنزل كان فيها مستشفى للأمراض الصدرية أعلى التلة وهي مطلة على كريتر نفسها، وفجأة قامت مظاهرات ضخمة وأعداد كبيرة من الناس وتدافع كبير فانفلت من يدي، كان عمري في ذلك الوقت سبعة سنوات وأشهر وهو في التاسعة أو العاشرة، وذهبت أبكي إلى البيت لقد فقدت أخي فجأة ولم أعرفه إلا منذ أقل من ٢٤ ساعة، فكيف أفقده؟ وكان ذلك شيئًا مرعبًا بالنسبة لي وكنت أيضًا خائفًا من والدي، وقلق الوالد كثيرًا لوجود مظاهرات ضخمة فخرجوا بسرعة وبحثوا عنه حتى وجدوه، وكان هناك إطلاق نار وتدافع شديد وإحراق أماكن اليهود بالذات، وكانت هناك فوضى شديدة ومن الممكن أن يصيبه مكروه، وبفضل الله سبحانه وتعالى وجدوه قبل أن يصاب بأي أذى وعاد إلى البيت وأخذته أمي، وكانت أمه الثانية.

وكان والدي يدربنا على حضور تجارة اللبان وكيفية شرائه من الصومال ثم تصفيته وتمييزه إلى درجات ثلاث وتعبئته، ومن ثمَّ إرساله إلى مصر، وكان مخزن اللبان هو الدور السفلي من المنزل الذي استأجره الوالد. وقد قام الوالد ﵀ بتدريسنا في المنزل كيفية قراءة القرآن (بدون تجويد) وكان علينا أن نحضر أنا وأخي أحمد إلى المنزل قبل صلاة المغرب ونصلي سويًا، ومن ثم نقرأ الورد القرآني مع الوالدة والأخوات حتى ختمنا المصحف. كما كان يصحبنا إلى الصلاة في المسجد وخاصة في شهر رمضان حيث كان يصلي بالناس إمامًا عشر ركعات من صلاة التراويح في مسجد الشيخ عبد الله العامودي مع السيد علي عبد الله الصافي، وهو ابن العلامة السيد عبد الله حامد

الصافي الذي اشتهر بعلم الحديث، ولما كانت الصلاة طويلة كنت أحيانًا أنام في مؤخرة المسجد حتى تتم الصلاة. وذات ليلة لم ينبهني أخي فخرجوا جميعًا وأقفل المسجد وأنا نائم وصحوت والمسجد مقفل ومظلم فارتعبت، ولكن يبدو أن صراخي جعل أحد عمال المسجد يسمعني ويأتي لفتح الباب وأنقذني.

وكنت أنا وأخي نلعب في الحارة بكرة القدم وغيرها مع أطفال الحارة، ولم تكن السيارات كثيرة كما كان نظام المرور يسمح باتجاه واحد فقط، فإذا دخلت سيارة بالاتجاه المعاكس بالخطأ يقف أمامها الأطفال صائحين نو ان تري.. نو ان تري (No Entry) فيضطر السائق إلى الانسحاب فورًا. ولم تكن هناك حوادث تذكر في كل عدن؛ لانضباط الناس والمرور وقلة عدد السيارات.

وكان في الحارة نجار مشهور هو الحاج صالح عوض اشتهر في صنع البراميل الخشبية الكبيرة التي كانت تجرها الجمال، والتي كان يأخذها الواردون الذين يوردون الماء إلى البيوت قبل أن تقوم البلدية بإيصال المياه إلى جميع البيوت. وكان الحاج صالح نجارًا ماهرًا ورجلًا صالحًا وكل صلاته في مسجد بانصير ويحث الأطفال على الذهاب إلى المسجد للصلاة وكثيرًا ما يعطيهم بعض الحلويات تشجيعًا لهم، كما كان يصلح بين المتخاصمين وكان له قدرة عجيبة على الإصلاح.

وكنت قد وفرت مبلغًا بسيطًا من مصروفي اليومي وطلبت من الحاج صالح أن يصنع لي دولابًا صغيرًا يمكن قفله لبيع الحلويات، وبالفعل قمت بذلك المشروع وشجعني على ذلك والدي.

ومن الطرائف التي حدثت في أثناء هذه الفترة أن تجار الصومال الذين كانوا يبيعون اللبان لوالدي، ضغطوا عليه لدفع ما اشتراه منهم فورًا، وفي إحدى

المرات لم يكن عنده ما يكفي من المال وأراد أن يخرج من المنزل فلم يكن أمامه إلا أن غيَّر ثيابه المعتادة وهي القفطان (الثوب) والعمامة وخرج بلباس التنس مرتديًا السروال القصير (الشورط) وفانلة التنس ومضرب التنس وكرة التنس؛ فظنوه خالي الذي كان يأتي أحيانًا بهذه الصورة، وخرج من بينهم ولما سألوه أين السيد علي؟ أشار بيده إلى المنزل، وخرج من بينهم وذهب للعب التنس، ولما تأخر تفرقوا.

ورغم حرصه على العبادة وقراءة القرآن ولبس العمامة والقفطان، كان أيضًا حريصًا على الرياضة ولعب التنس، وكان أحد الأعضاء البارزين في نادي التنس العدني الذي ضم مجموعة من أبناء عدن ومنهم أخوالي والمكاوي والبيومي وعبد الله بن صالح المحضار وخلف حسن علي ومجموعة أخرى من الهنود والهندوس، وانضم بعد ذلك إلى النادي الدكتور سنيل مدير التعليم في عدن بذلك الوقت وهو حاصل على شهادة الدكتوراه من بريطانيا، وأحد القليلين من الإنجليز الذين اختلطوا بالعرب.

وأذكر بينما كان والدي يلعب مع أحد الهندوس في مباراة زوجية، كنت أنا وأخي أحمد وبجانبنا طفل هندوسي أصغر منَّا فبدأنا نقول له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، والولد يأبى ونحن نضغط عليه حتى ننقذه من النار! فلما تمت المباراة أسرع لوالده وأخبره بما جرى، فغضب والدي منَّا، وقال: ما لكم وله؟ لكم دينكم ولي دين، ولا إكراه في الدين، فقلنا له: نريد أن ننقذه من النار، فقال: أنقذوا أنفسكم أولًا، ومنعنا أن نضغط على أي أحد، وأكد لنا أن الإسلام لا يُكره أحدًا على إتباعه.

وكان جدي السيد حامد بن علوي البار يزور عدن من حين إلى أخر، وفي إحدى المرات أمرنا الوالد أنا وأخي أن نذهب لقراءة كتاب بداية الهداية للإمام الغزالي على جدي، وذلك في فترة إجازة مدرسية. فلما كنا صغارًا في السن، لم نفقه شيئًا مما هو مكتوب في بداية الهداية، ولم نستطع أن نكمل الكتاب رغم صغر حجمه، وسمح لنا جدي بالانقطاع عن القراءة والذهاب إلى اللعب.

كان والدي يأخذنا لصلاة الجمعة في مسجد العيدروس (وهو أحد أولياء عدن الكبار المشهورين) ويخطب فيه الشيخ علي باحميش مدير مدرسة بازرعة، وكانت له قدرة على انتقاد الأوضاع الاجتماعية وبعض المخالفات الدينية التي تحصل في عدن، ويشدد في ذلك، كما كان يزور المسجد بعض العلماء من حضرموت أثناء مرورهم بعدن، وأذكر وأنا صغير في سن السادسة أو السابعة أنه قد حضر صلاة الجمعة العلامة الفذ السيد علوي بن طاهر الحداد، وألقى كلمة بعد خطبة الجمعة، وكان بليغًا جدًا ولم أفهم منه إلا القليل ولكني أعجبت بشخصيته. وقد تولى السيد علوي بن طاهر الإفتاء في ولاية جهور في جنوب ماليزيا، وكانت له شهرة واسعة في شرق أسيا وفي العالم الإسلامي وبينه وبين السيد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان والعلامة المجاهد المقدسي أمين الحسيني وغيرهم مراسلات وصداقات.

وقد حدث أن ألقت البحرية البريطانية في عدن القبض على مهربين اختطفوا أطفالًا من الحبشة لبيعهم، فأنقذوهم وقامت الحكومة إعطاء القاضي الشرعي السيد الحازمي بعض هؤلاء الأطفال ليرعاهم، ولما كانت أمي وخالتي قد

توفيت أمهما وهما صغيرتان فقد قام جدهم لأمهم بإعطائهما اثنتين من هؤلاء الحبشيات الشابات، بعد أن ربَّاهما وعلمهما شيئًا من القرآن والدين، وكانت إحداهما تسمى زهراء فكانت من نصيب والدتي، والثانية اسمها جميلة وكانت من نصيب خالتي، فصارت كل واحدة منهما مثل الأم لهما، فلما تزوجت أمي انتقلت معها أمها زهراء، وكانت تساعد أمي في أعمال البيت وفي تربيتنا وكانت بالنسبة لنا جدة، وكان والدي يحترمها كثيرًا لتدينها ورعايتها لزوجته وأولاده.

وعلى طريقة الحبشة كانت تقوم أحيانًا بالرقص الحبشي وهي تدعو الله سبحانه وتعالى في أثناء ذلك، وأحيانًا تكون مريضة وتعاني من الحمى الشديدة ولكنها تقوم فجأة وتدعو الله بهذه الطريقة وهي تدور حول الغرفة، وتتوسل إلى الله بالرسول ﷺ وآل بيته الكرام وخاصة آل باعلوي، ومن الغريب أنها كانت تُشفَى من مرضها في فترةٍ وجيزةٍ جدًا، وفي إحدى المرات خبطت بيدها على ظهري وهي تصيح يا الله.. ببركة آل باعلوي، فخفت وكان أخي يضحك ويقول: أخذوك آل باعلوي.

وكان في المنزل شاة نحلب منها اللبن كل يوم وكنا نسأل الوالدة كيف جئنا؟ فلما حملت الشاة وولدت جعلتنا نحضر ولادتها وقالت هكذا جئتم. وكانوا يعرفون قيمة اللبا (هو اللبن الذي تفرزه التي وضعت حملها من إنسان أو حيوان) فكانت تسقينا منه الوالدة.

وكانت أشغال المنزل كثيرة حيث لم تكن هناك مطابخ حديثة ولا ثلاجات فيحتاجون للطبخ يوميًا، وكانوا يضطرون لتشغيل صبي يأتي بالمقاضي يوميًا وكان الطبخ أول الأمر بالأخشاب ثم تحسن وصار بالفحم الذي يباع بأكياس كبيرة تحملها الجمال وكان يخزن في المنزل بما يكفي عدة أشهر وكان يستخدم للطبخ لذلك، وهناك مخزن للمواد الغذائية مثل الرز والدقيق.

ومن الطرائف أن كانت لدينا امرأة إفريقية تعمل كمساعدة لوالدتي في أشغال المنزل اسمها مرجانة، وكان الصغار دائمًا ينادوها (يا أمي مرجانة)، ولا يبدو أنه كان لها أهل أو أقارب في عدن، وكانت دائمًا مقيمة في المنزل، ولما كانت كبيرة في السن ولم تتزوج قط فقد أتاحت لها الأساطير الشعبية أن تتخيل أنها متزوجة من أحد الجن، وكان لها ليلة في الأسبوع تصعد إلى السطوح وتقفل الباب وتتزين وتتعطر حتى تلتقي بزوجها من الجن، وكانت الوالدة تشدِّد علينا أن لا نصعد أبدًا إلى السطوح في تلك الليلة.

ويبدو أن هذا الحل في الزواج من أحد الجن قد حلَّ بالنسبة لها الإشكاليات النفسية، التي يمكن أن تحدث في بعض الأحيان من عدم الزواج، وكان هذا حلًّا مرضيًا للجميع.

والدي والطب والأطباء



صورة للوالد مع العلامة الداعية لله بالحكمة والموعظة الحسنة الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف ﷺ تعالى والذي كان يعتبر جدي سيد حامد بن علوي البار أحد شيوخه

كان والدي ﵀ يحب الطب والأطباء وله اطلاع محدود على الطب الشعبي الموروث. وكانت العائلات في عدن تستخدم صبيان لشراء المقاضي (الحاجات من السوق). لانشغال رب الأسرة للعمل وانشغال أطفال الأسرة بالدراسة. واستخدام الصبيان كان منتشرًا في الحجاز أيضًا.

وكان بعض هؤلاء الأطفال مصابين بالفطريات (نوع من الفطور والبكتريا Mycosis) نتيجة مشيهم حفاة في المناطق الريفية التي تكثر فيها هذه الفطور (جمع فطر) وقد اشتهر في الهند مرض يعرف باسم قدم مادورا (Madura foot) نسبة إلى المنطقة التي اكتُشِفَ فيها هذا المرض لأول مرة عام ١٨٤٢ واكتُشِفَ بعد ذلك في المناطق الاستوائية في أسيا وإفريقيا وجنوب الولايات المتحدة، وهو نادر الحدوث جدًا في المناطق الباردة.

فقد كان الصبي الذي يعمل بمنزلنا مصاب بهذا المرض فأخذه والدي إلى صديقه الطبيب الدكتور مزهر (مظهر) وبعد فحصه قرر إدخاله المستشفى وإجراء عملية بتر لقدمه.



قدم مادورا

وفي ذلك الوقت في بداية الخمسينات لم يكن هناك علاج متوفر لمثل هذه الحالات سوى البتر. وفي الوقت الحاضر ٢٠١٨ توجد عدة علاجات لهذه

الفطور وخاصة إذا لم تصل إلى عظام القدم، ومع ذلك تحتاج إلى الجراحة لتنظيف القدم من الفطور وتشعباتها، ثم تُعطَى مضادات الفطور بالإضافة إلى المضادات الحيوية. وأما إذا وصل المرض إلى عظام القدم فلا علاج لها إلا بتر القدم.

وقد رفض والدي بتر قدم هذا الصبي المسكين وقرر علاجه بنفسه، وكان يأتي بشمع العسل وبياض البيض ويضعهم على النار ثم يصب عليها المرّ والصبر وربما بعض الأدوية الأخرى، وعندما يبرد الخليط يضع عليه العسل ثم ينظف الجرح ويضع عليه هذا الخليط ويضمده بالشاش المعقم ويربطه، واستمر على ذلك أكثر من شهر بتبديل الضماد يوميًا، وبفضل الله سبحانه وتعالى شُفيَ الصبي، وهو أمر مذهل لم يقدّره أحد.

وكان صديق والدي الدكتور مزهر يعمل في مستشفى عدن في كريتر نفسها كما له عيادة خاصة يعمل فيها في المساء، ويداوي جميع الأمراض؛ رغم أن تخصصه في طب العيون ولكنه كان يعمل في جميع أنواع الجراحات في المستشفى وليس في جراحة العيون فقط.

كما أنه كان يعالج جميع الأمراض الأخرى في عيادته الخاصة، ولم يكن هناك اختصاصيون إلا فيما ندر. وكان على الطبيب أن يعمل في جميع مجالات الطب.

وبما أن جدتي (أم الوالد) كانت تعاني من الماء الأبيض (الكَترِكَت Cataract السّاد) فطلب والدي الدكتور مزهر لزيارتها في المنزل، فقرر أنه لا بد من إجراء العملية في المستشفى. فرفض الوالد أن تذهب إلى المستشفى وطلب منه أن تُجرى العملية في المنزل في غرفتها، والعجيب جدًا أن الدكتور

مزهر وافقه على ذلك، وبالفعل أجرى العملية في المنزل ومنعها من الحركة مطلقًا لمدة أسبوع، ثم بدأت الحركة البسيطة ومنعها من الركوع والسجود بضعة أشهر. وبفضل الله شفيت تمامًا، وبالنظارة الطبية استطاعت أن تبصر إبصارًا جيدًا. وقد تم ذلك كله في عام (١٩٥٤). وكان من شغف والدي بالطب أن تزوج في مصر أول طبيبة من أسرة آل البار التي هاجر والدها من قبل إلى مصر وهي الدكتورة فايزة حسن البار.

وأصر والدي على أن يدخل أولاده إلى كلية الطب وكنت أنا أرغب في ذلك، بينما كان أخي أحمد يرغب في الهندسة وأقنعه الوالد مع صديقه سالم أحمد اليافعي أن يدخلا كلية الطب وذلك عام (١٩٥٨ في القاهرة) ثم قام والدي بإدخال ابنته زينب إلى كلية طب الأزهر في القاهرة؛ ولكنه فشل في إدخال ولديه عمر وحسن لأنهما لم يحصلا بالثانوية على المستوى المطلوب لكلية الطب.

وكان له صديق آخر من الأطباء هو الدكتور محمد أحمد، وكان عضوًا للجمعية الماسونية في عدن، وربما لهذا السبب أو لغيره انقطعت صلته به.

وعندما استقر في مصر توقف عن تجارة اللبان ورجع إلى هوايته القديمة وهي تربية النحل وإنتاج العسل، وبالفعل كان له عدة مناحل في أرياف مصر وكان عسله متميزًا يبيع منه شيئًا ويهدي أصدقائه الكُثُر الكثير من هذا العسل، وكان ينصح به للتداوي من بعض الأمراض، وعندما أصابتني تقلصات شديدة في المرارة نصح الأطباء بإزالتها، فرفض الوالد ذلك وطلب مني كثرة استعمال العسل عدة مرات في اليوم ابتداءً من بعد صلاة الفجر حتى الليل، وبعد شهرين أعدنا الفحوصات فكانت المرارة سليمة بفضل الله سبحانه وتعالى ثم فضل التداوي بالعسل.

مسجد بانصير

كنا نذهب أنا وأخي مع عمي عبد القادر لصلاة الفجر بمسجد بانصير المشهور والقريب من المنزل، ثم نذهب مباشرة مع عمي وبعض أصدقائه إلى البحر في منطقة معجلين وتقع في لحف الجبل بعد ساحل صيرة مباشرة وفيها الماء عميق ويصلح للسباحة، ثم نعود مباشرة إلى المنزل ونستعد للذهاب للمدرسة المتوسطة ونأخذ معنا الساندويش.

وقد حدثت حادثة مؤلمة حيث ذهب أحد الشباب لوحده وهو حامد خليفة في منطقة معجلين وابتعد داخل البحر وجاءت دومات وغرق رغم أنه يجيد السباحة. وحزنت عدن حزنًا كبيرًا لفقدانه وهو من عائلة معروفة مشهورة في عدن.

كما حدث أن انحسر بحر صيرة عن حوت كبير (حوت العنبر) ومات على الساحل وخرج معظم شباب وأطفال عدن لرؤيته. وقد حدث أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حادثة مماثلة حيث بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة ابن الجراح في ثلاثمئة من الصحابة لرصد عير قريش، فأصابتهم مجاعةً شديدةً ولما اقتربوا من البحر وجدوا حوتًا ضخمًا فأكلوا منه ثمانية عشر يومًا حتى سمنوا ثم أمر أبو عبيدة بوضع ضلعين من أضلاعه ومر تحتهما رجل راكبًا راحلته، كما جلس في وقب (محجر) عينه أحد الصحابة، وأخذوا من الحوت لحمًا ولما وصلوا المدينة أقرَّهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما فعلوه وقال عن البحر: "**هو الطهور ماؤه، والحّلُ ميتته**" وأكل من ذلك اللحم المقدد، وقد روى هذا الحديث الإمام البخاري والإمام مسلم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه وغيره.

اللعب في المنزل وخارج المنزل

كنت أتدرب على لعبة التنس في المنزل ويؤدي ذلك في بعض الأحيان إلى كسر النوافذ الزجاجية فأواجه العقوبات لمثل هذا التخريب، وكنا نلعب الكرة في الشارع مع أولاد الحارة مكوِّنين فريقين مختلفين، كما كنا بعد ذلك نذهب إلى الطويلة وهي منطقة فيها حديقة جميلة بالإضافة إلى وجود الصهاريج التاريخية الموجودة في عدن. وكان معنا الأخ (المرحوم) محسن بن عيدروس المحضار ومحسن بن علي المحضار.

وصهاريج الطويلة هي من أهم المعالم التاريخية لمدينة عدن وقد اشتهر اليمنيون الأقدمون ببناء السدود ومصارف المياه، ومن أشهرها سد مأرب.

وقد عثر على صهاريج الطويلة المهندسان البريطانيان بليفير وكوجلان سنة ١٨٥٦ م. وتقوم الصهاريج بحجز المياه المنحدرة من الهضبة من خلال شبكات المصارف والسدود والقنوات التي استحدثت بهدف تنقية المياه من الشوائب والأحجار. وآخر من وصفها الأديب الرحالة اللبناني أمين الريحاني الذي قال عنها: " وهذه الخزانات من أجمل الأعمال الهندسية في العالم ".

وتبلغ السعة الإجمالية للصهاريج حوالى ٢٠ مليون جالون. وأكبر الصهاريج سعة هو صهريج بليفير الدائري الذي يتسع لحوالي أربعة ملايين جالون. وأصغرها سعته حوالى عشرة آلاف جالون، ويقع بالقرب من سائلة وادي العيدروس. وقد تم ترميم أربعة عشر صهريجًا، وهناك ستة وثلاثون صهريجًا لم ترمم.

وتصب صهاريج الطويلة بطرق متدرجة من أعلاها في لحف الجبل إلى وسطها صهريج كوجلان المربع والذي يملأ الفراغ بين جبلين في كل واحد

منهما صهريج وهما صهريج أبي قبة، لوجود قبة مبنية عليه منذ زمن العثمانيين وصهريج أبي سلسلة، وتصب الصهاريج جميعها في صهريج بليفير خارج حديقة الطويلة وهو أكبر الصهاريج، وقد أقامت حكومة عدن أيام الاستعمار حديقة الطويلة حول الصهاريج وهي معلم سياحي ومتنفس لأهل عدن كريتر، كما أن بها متحفًا أقامته بريطانيا عام ١٩٣٠م، وهو اليوم مركز للوثائق والصور التاريخية بمدينة عدن.





ولم تكن هذه الصهاريج تمتلئ بالمياه إلا نادرًا وذلك لقلة الأمطار في مدينة عدن، وقد حدث ونحن أطفال أن امتلأت هذه الصهاريج كلها بالمياه وفاضت وذهب بنا الوالد مع صديقه السيد عيدروس بن محمد المحضار إلى هذه الصهاريج ومكثنا يومًا كاملًا نلعب، ثم سبحنا أنا وأخي في أحد هذه الصهاريج وتناولنا طعام الغداء في ذلك المكان الجميل والجو المنعش الذي لا نزال نذكره إلى اليوم.

وكان الوالد أيضًا يأخذنا مع صديقه عيدروس المحضار إلى بستان كمسري مع مجموعة من أصدقائه وأطفالهم ويقومون بإعداد الغداء والطبخ وكنا نشارك معهم ونقضي يومًا جميلا وخاصة إذا كان الجو غائمًا أو ممطرًا مطرًا خفيفًا.

وكنا أيضًا نذهب إلى ساحل صيرة للعب الكرة، وكثيرا ما كنا نلعبها حفاة، وقد تصيبنا بعض الأحجار أو الأشواك بعض الإصابات ولا نلتفت لها.

وفي عام ١٩٥٣ جاء جدي السيد حامد بن علوي البار وزوجته نور عبد الله باراس وولده عبد القادر بن حامد البار وأختي الكبيرة (شقيقة أخي أحمد) علوية والتي ربتها جدتي فانتقلت الأسرة من دوعن إلى عدن، وذهب والدي لإحضار بنت عمه من الحبشة بدرية بن طه البار بعد أن توفى والدها ووالدتها. ولم يكن من الممكن إيواءهم جميعًا في المنزل الصغير.

وقام الشيخ علي محمد بازرعة صديق جدي باستضافة جدي مع عائلته الكبيرة في بستانه الكبير الواسع في مدينة الشيخ عثمان، وقد مكثنا في هذا البستان الجميل عدة أشهر حتى يتم إصلاح وتوضيب بيت جديد واسع اشتراه الوالد.

وفي هذا البستان بركة ماء للسباحة كنا نسبح فيها وجاء خالي أحمد وبدأنا القفز من فوق مظلة على المسبح وتبعتنا بدرية التي كانت في سني تقريبًا محاولة

القفز فانزلقت وسقطت وأُغميَ عليها، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى كانت غيبوبتها لبضعة دقائق فقط.

وأذكر عندما جاءت بدرية أخذني الوالد وقال لي: هذه يتيمة، فإن بلغني أنك آذيتها ستعرف ما سيجري لك من عقاب. وكان بالفعل شديدًا جدًا وخاصة مع موضوع بدرية. وكنت إذا بدأت في مناوشتها كما يحدث بين الأطفال تهددني بأن تشتكيني إلى الوالد، فأسرع بالاعتذار لها حتى تعفو عني.

البيت الجديد في عدن

وكان البيت في عدن في حافة القاضي مكوّنًا من ثلاثة أدوار وسطوح (ريوم جمع ريم) وفي الدور العلوي غرفتان كبيرتان وغرفة أخرى غير مسقوفة مع صالة، وكانت سكن لجدي وجدتي ووالدي ووالدتي، وفي الدور الأوسط ثلاث غرف واحدة لأخواتي ولجدة زهراء، وغرفة لي ولأخي ولعمي عبدالقادر ثم انضم إلينا عمي محمد الذي جاء من الحجاز، والثالثة كانت غرفة لاستقبال الضيوف وجلسة الشاي.

والدور الأرضي كان مؤجرًا لعبد الله خدشي وهو أحد أعضاء نادي الأهلي البارزين في عدن الذي جعله مجلسًا (مبرزًا) للقات، والثاني بقالة وسكن لباهديلة (ويسمى كل صاحب بقالة في عدن الشحاري نسبة إلى الشحر في حضرموت)، والثالث غرفة بحمامها للسيد المقدي، وكان البيت المجاور لنا يسكنه الفنان سالم بامدهف، وفي نفس الشارع الفنان أحمد بن أحمد قاسم الذي يعتبر أشهر عازفي العود في عدن والذي درس الموسيقى في مصر وحصل على منحة فرنسية عام ١٩٧١م للدراسة في الكونسيرفاتوار بباريس.

كما غنى كثيرًا من قصائد الأستاذ لطفي الغنائية والذي كان يسكن في نفس الشارع من الجهة الثانية.

وأمام منزلنا كان هناك أيضًا منزل من دور واحد يسكنه ناجي السكران، وكان رجلًا طيبًا ومحبًا لعمل الخير، ولكنه للأسف كان مدمنًا للخمر، وكانت زوجته تقفل الباب عليه ولا تسمح له بالدخول عندما يأتي سكرانًا فيضطر أن يبات في الشارع وفي الصباح تفتح له الباب، وكان ابنه أحمد ناجي بدأ يظهر بعض المواهب الفنية والعزف على العود، ثم عمل بعد ذلك بالخطوط الجوية العدنية وبعدها شركة باسكو الجوية الأهلية.

وقد استفدنا (أنا وأخي) من وجود عَمَّيْنا محمد وعبد القادر، حيث كان عمي محمد مغرمًا بالأدب وخاصة طه حسين وكان على علاقة جيدة بالسيد حامد الصافي الذي عرفه على الأستاذ الشاعر الصحفي علي محمد لقمان. كما قام السيد حامد الصافي بتوظيف عمي محمد مدرسًا للغة العربية عندما استقر عمي في عدن. ولا أزال أذكر أنه أعطاني كتاب "الوعد الحق " (وفيه قصص لأوائل الصحابة الذين أسلموا وعذبوا وظهر بعد ذلك كفيلم سينمائي انتشر انتشارًا جيدًا) وكتاب "على هامش السيرة " (وهي سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأسلوب أدبي وعصري) وكنت في ذلك الوقت في سن الثالثة عشر، وأغرمت بعدها بكتب طه حسين. وأما عمي عبد القادر فكان مغرمًا بالشعر خاصة، وأحضر دواوين شوقي وحافظ إبراهيم والمتنبي وغيرهم التي بدأنا نقرأ فيها ونتذوقها شيئًا فشيئًا، وكان عمي عبد القادر يقول الشعر أحيانًا.

جلسة الشاي

كانت وجبة الغداء للرجال ونحن معهم، وأما النساء يأكلون في غرفتهم الخاصة. وكثيرًا ما كان الوالد يستضيف بعض أصدقائه أو أقاربه للغداء، ثم يبدؤون بعد ذلك جلسة الشاي التي يدار فيها الشاي على طريقة حضرموت ويستخدمون السماور (جهاز خاص موجود في بخارة وتركستان ثم انتقل مع هجرة الحضارم إلى شرق أسيا ومنها إلى حضرموت كما هو موجود في تركيا) في جلسة الشاي يتناولون الأحداث العامة والسياسية كما يكون للشعر والأدب نصيب منها.

السيد حامد أبو بكر المحضار (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٤ - ١٤١٠هـ/١٩٩٠)



صورة السيد العلامة حامد أبو بكر المحضار أثناء دراسته في الأزهر الشريف على يمين الصورة وبجانبه السيد الباحث والكاتب والمؤرخ السيد جعفر محمد السقاف (بالبدلة الذي أمده الله سبحانه وتعالى بالعمر الطويل مع كمال العقل والصحة وبلوغه المئة سنة حفظه الله ورعاه ومتّع بحياته

ومن أبرز الشخصيات التي كانت تأتي إلى جلسة الشاي العلامة السيد حامد بن أبي بكر المحضار، وهو قد حصل على العالمية من الأزهر وكان بالإضافة إلى علمه الديني يحفظ الكثير من الأشعار وخاصة شعر المتنبي وشوقي.

وعندما بدأت أقرأ أحمد أمين والذي كتب عن الفرق الإسلامية المختلفة، كنت أسأل والدي عنها فكان يقول انتظر حتى يأتي عمك حامد أبو بكر المحضار، فإذا جاء قال لي: اسأل عمك حامد الآن، فيشرح لي من هم المعتزلة وفرقهم والخوارج وفرقهم وأهل السنة وفرقهم والأشاعرة وأقوالهم والشيعة واختلافاتهم، وذلك في جلسات متعددة وليس في جلسة واحدة.

وكنت أسمع عن الإمام ابن تيمية وسعة علمه واختلاف الناس فيه، فسألت العم حامد عنه، فقال لي: "هو بحر علم زخّار وهو كثير التأليف، وإذا توسع الإنسان في قراءة كتبه يجد في مواضع مختلفة بعض الاختلافات في أقواله، فتارة يمدح الصوفية ويبرر بعض أقوالهم وشطحاتهم، وفي موضع آخر قد يهاجمهم هجومًا شديدًا " وهذا قد يحدث للمؤلفين الكبار لاختلاف المواضع والأوقات، فهو في الأولى يتكلم عن التصوف المعتدل، وفي الثانية عن دعاة التصوف والفلاسفة والمتزندقة، وهذا يفسر التناقض الظاهري في كلامه. ومثل ذلك يحدث في مواضيع مختلفة.

وكان العلامة السيد حامد المحضار يحدثنا عن بعض علماء الزيدية الكبار في اليمن الذين اشتهروا بدفاعهم عن السنة النبوية المطهرة مثل: الإمام السيد محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥هـ -٨٤٠هـ) الذي وضع كتابًا ضخمًا بعنوان العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم في سبعة مجلدات ودافع فيها بقوة عن السنة النبوية وكتبها وأعلامها الذي قال عنه الإمام الشوكاني: "أنه

كان يزاحم الأئمة الأربعة عند أهل السنة " وله أيضًا كتاب: " البرهان القاطع في إثبات الصانع (الله سبحانه وتعالى) ".

والأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني: (١٠٩٩هـ-١١٨٢هـ) والذي اشتهر في كتابه سبل السلام شرح بلوغ المرام الذي صنفه الإمام بن حجر العسقلاني، وله كتاب " العدة شرح العمدة" وله شرح " الجامع الصغير" وكان يعتبر من أكابر علماء عصره.

والإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣هـ - ١٢٢٩هـ) وله مؤلفات كثيرة وأشهرها: " نيل الأوطار في الحديث النبوي " و"فتح القدير في التفسير " و"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق وهو في علم أصول الفقه " و "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع " وهو في ترجمة الأعلام.

و صالح بن مهدى المقبلي (١٠٤٧هـ-١١٠٨هـ) وكان من علماء الزيدية الذين شرحوا كتاب " البحر الزخار" واشتهر بنقده للمتعصبين للزيدية وميل بعضهم إلى الإثني عشرية (الإمامية). وغيرهم.

وقد ذكر لي الأخ العزيز السيد حسن بن علي السقاف أن السيد حامد المحضار كان من أهم تلاميذ الإمام عبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف وأحبهم إليه وكان يمازحه فيقول له السيد حامد البار يأتي إلى شيخه العلامة علي بن محمد الحبشي بالهدايا والعسل والثياب والطيب وأنت تأتينا بنفسك بلا هدايا، وأنت حامد وهو حامد وكلاكما من دوعن، فيضحك السيد حامد.

وعبد الرحمن بن عبيد اللاه السقاف ولد في سيؤن حضر موت (١٣٠٠هـ -وفاته ١٣٧٥هـ) وله مصنفات في الفقه مثل: "صوب الركام في تحقيق شئون القضاء والأحكام" وفي علم الحديث "حاشية على الشمائل النبوية للإمام

الترمذي" وفي التاريخ "بضائع التابوت في نُتف من تاريخ حضرموت" وكتاب "إدام القوت (معجم بلدان حضرموت)" وفي الأدب: "العود الهندي" في ديوان الكندي (امرؤ القيس) وله ديوان شعر. والجدير بالذكر أن العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد اللاه ذهب إلى اليمن واستقبله الإمام يحيى آنذاك استقبالًا جيدًا وطلب منه أن يؤم المصلين في المسجد القريب منه، وبما أن العلامة عبد الرحمن بن عبيد اللاه كان شافعيًا أصر على أن يدعو دعاء القنوت في صلاة الفجر (اللهم اهدنا في من هديت....) والزيدية يقنتون بآية أو آيات من القرآن وطلبوا من السيد ابن عبيد اللاه أن يقنت بآيات من القرآن فقط، فقنت بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٦٦-٦٧] فلما عرف الإمام بذلك قال اتركوا السيد يقنت (اللهم اهدينا في من هديت وعافنا في من عافيت.....) بدلًا أن يهاجمنا بالقرآن.

وكان السيد حامد أبو بكر المحضار له دور سياسي وتولى منصب وزير الدولة القعيطية فترة قصيرة من الزمن، لكنه اختلف مع المستشار الإنجليزي مستر انجرامس، واضطر للانسحاب، ثم ذهب إلى اليمن وعمل فترة مع الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين، وأرسله الإمام أحمد سفيرًا لليمن في الحبشة.

وكان أئمة اليمن من العلماء والأدباء ويحضر مجالسهم الأدباء والعلماء والشعراء.

وقد اشتهرت قصيدة نُسبت إلى الإمام أحمد يهاجم فيها الاشتراكية عندما أعلنها عبد الناصر لبعدها عن الدين، لقربها من الشيوعية.. ويقول الكثيرون أن الإمام بدأها ثم أتمها السيد حامد المحضار والشاعر أحمد الشامي.

وأذكر في مجلس الشاي بعد قيام الثورة المصرية وظهور محمد نجيب (١٩٠١م- ١٩٨٤م) كقائد للثورة وأول رئيس لجمهورية مصر بعد انتهاء النظام الملكي، ولد محمد نجيب بالسودان، والتحق بكلية غردون ثم بالمدرسة الحربية وتخرج فيها عام ١٩١٨، ثم التحق بالحرس الملكي عام ١٩٢٣. حصل على ليسانس الحقوق في عام ١٩٢٧ وكان أول ضابط في الجيش المصري يحصل عليها. حصل على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام ١٩٢٩، وشارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وأصيب ٧ مرات، فمنح نجمة فؤاد العسكرية الأولى تقديرًا لشجاعته بالإضافة إلى رتبة البكوية.

وعقب الحرب عين مديرًا لمدرسة الضباط، وتعرف على تنظيم الضباط الأحرار من خلال الصاغ عبد الحكيم عامر، وفي ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ نفذت الحركة خطة يوليو والتي سميت بـ (الحركة التصحيحية) وانتهت بتنازل الملك فاروق عن العرش لوريثه ومغادرة البلاد، وفي عام ١٩٥٣ أصبح نجيب أول رئيس للبلاد بعد إنهاء الملكية وإعلان الجمهورية.

وأعلن مبادئ الثورة الستة وتحديد الملكية الزراعية؛ لكنه كان على خلاف مع ضباط مجلس قيادة الثورة بسبب رغبته في إرجاع الجيش لثكناته وعودة الحياة النيابية المدنية، ونتيجة لذلك قدم استقالته في فبراير ١٩٥٤م، ثم عاد مرة ثانية بعد أزمة مارس لكن في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ أجبره مجلس قيادة الثورة على الاستقالة، ووضعه تحت الإقامة الجبرية مع أسرته بعيدًا عن الحياة السياسية ومنع أي زيارات له، حتى عام ١٩٧١ حينما قرر الرئيس السادات إنهاء الإقامة الجبرية المفروضة عليه وقد نشر مذكراته بعد إطلاق سراحه وأثارت

ضجة في حينها، لكنه ظل ممنوعًا من الظهور الإعلامي حتى وفاته في ٢٨ أغسطس ١٩٨٤.

وقد نظمَ السيد حامد المحضار قصيدة يحذر فيها نجيب من الإعلام المضلل والكُتّاب المنافقين وخاصة كُتّاب الصحف الذين سيمدحونك طالما كنت على الكرسي فإذا ذهب الكرسي فأنت شيطان مريد ومجرم وطاغٍ يستحق اللعنة كل لحظة وآن، وهذا هو دور الأعلام في عالمنا العربي للأسف الشديد. (وقد تكرم بإعطائي هذه القصيدة ابنه الأخ العزيز المحامي السيد علي حامد المحضار)، حيث قال الشاعر:

نجيب إن استطعت احذر ولا تأمن ولا تغتر
توق النشر والنأثر والشعر ومن يشعر
فهم بالأمس من صلى لفاروق ومن كبر
وسبح باسمه الحبر وشيخ الجامع الأزهر
ورتل لغته المطران في الدير وما قصر
وقالوا أنه الصالح والمانح والمسعر
وقالوا حرر الوادي وحيى الله من حرر
وقالوا حامي الدستور والناصر من دستر
برب البيت أقسمت وبالركن وبالمشعر
وبالليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر
بأن القوم ما انفكو عبيد الصارم الأبتر
نجيب إن استطعت احذر ولا تأمن ولا تغتر
فما دمت على كرسيك العالي فأنت البر

وأنت القائد الأعلى   وأنت العلم الأخضر
وأنت الشعب والدستور   أنت وإن تشأ أكثر
وأنت محرر السودان   من نير الذي استعمر
وأنت القائد الناهي   عن الفحشاء والمنكر
كذلك كان فاروق   على العرش فلما خر
غدا المسكين لا شيء   أجل بل غدا أحقر
وأصبح جيفة الأقلام   بل من جيفة أقذر
فما فرعون في طغيانه   كلا ولا قيصر
ولا نيرون في الظلم   وإن أنكى وإن تبر
ولا الحجاج في العسف   ولا الدوتشي ولا هتلر
ففاروق هو الأطغى   وفاروق هو الأبتر
نجيب إن استطعت احذر   ولا تأمن ولا تغتر
أضلت قومنا الأقلام   بالأسود والأحمر
مداد كله إفك   وتضليل بنا يسخر
صحائف لم تزل تهذي   بكل وقاحة تزخر
وأقسم لو أتى الفاروق   في فحائشه يمخر
لأصبح سيد الوادي   وغاية فخر من يفخر
وثم ترى ذوي الأقلام   باستغفاره تجأر
فهذا ناظم ينظم   فيه الدر والجوهر
وهذا كاتب يروي   المناقب وهي لا تحصر

ويـعـفـو ثـمـت الـفـاروق عـمـن تـاب واسـتـغـفـر
وثـم تـرى إن استطعت بـأنـك أنـت والـعـسـكـر
شـيـاطـيـن مـلاعـيـن عـبـيـد لـمـن اسـتـعـمـر
نجيب إن استطعت احذر

وبالفعل لم يمضِ إلا بعض الوقت حتى انقلب جمال عبد الناصر على نجيب ووضعه في إقامة جبرية في فيلة صغيرة عليها حراسة شديدة ثم أطلق سراحه أنور السادات وكتب مذكراته.

واستمر السيد حامد المحضار في حضور جلسة الشاي إذا جاء إلى عدن، حتى بعد سفر والدي إلى مصر، حيث كان عمي عبد القادر موجودًا، وكان يحضر هذه الجلسة معنا أحد أصدقائي من كلية عدن وهو محمد عاصم الذي كان يخاطب السيد حامد المحضار ويقول له يا زميلي، فيبتسم السيد ويواصل النقاش معه.

وسافر أخي إلى القاهرة للدراسة ثم سافرت أنا أيضًا لدراسة الطب ١٩٥٨ وبذلك انتهت جلسات الشاي.

وانتقل السيد حامد المحضار إلى المملكة العربية السعودية واتصل بالملك فيصل رحمه الله وتولى فترة قصيرة إدارة الخطوط الجوية السعودية في عدن، ثم عاد إلى السعودية واستقر في جدة حتى توفاه الله وذلك في ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م رحمه الله رحمة الأبرار، فقد كان من كبار العلماء ويحضر مجلسه في منزله لفيف من الطلبة والمحبين له. وكان كريمًا محبًا للخير حافظًا للقرآن عالمًا في التفسير والفقه واللغة العربية وآدابها، محبًا للشعر وخاصة شعر المتنبي وشوقي، وكان

هو أيضًا يقول الشعر، كما كان محبًا للجدل ومطلعًا على الأوضاع السياسية في كثير من بلدان العالم.

وله عدة مؤلفات منها كتاب عن جده بعنوان "الزعيم السيد الحبيب حسين بن حامد المحضار" وكتاب بعنوان " لمن المال؟ " وهو ينحو منحى الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، ويرى أن كنز المال يؤدي إلى غضب الله سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[سورة التوبة: ٣٣-٣٤]. وقد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم ومنهم عبد الله بن عمر على أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب الذين يكنزون الذهب والفضة. أما المسلمون الذين يؤدون الزكاة كاملة فلا يعتبرون كانزين للمال، وله كتب أخرى على هذا المنوال.

وقد كتب السيد حامد المحضار ترجمة موجزة عن حياته في كتابه عن جده " الزعيم السيد الحبيب حسين بن حامد المحضار" (دار المعرفة ١٩٨٣ ص ٢٠٨ -٢١١) فقال: " ولدتُ في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ (في قرية القويرة - دوعن) ودرست القرآن الكريم على يد الشيخ عبد الله بن صالح بلخير، واستأذنت والدي للسفر إلى الحرمين للحج والزيارة ثم للذهاب إلى مصر للدراسة في الأزهر فأذن أبي، فسافرت إلى الحرمين في أول شهر ذي القعدة ١٣٤٧هـ، وزرت القبر النبوي الشريف، ودعوت الله أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووجدت في الروضة المباركة الإمام الحبيب عبد الله بن

طاهر الحداد، فطلبت منه أن يدعو لي بتيسير حفظ القرآن وطلبته أن يقرأ الفاتحة في الروضة النبوية لذلك الغرض، فقرأها ودعا لي وابتدأت الحفظ في الروضة النبوية، ثم توجهت إلى مكة لأداء النُسُك وأقمت متنقلًا بين مكة وجدة وفيهما حفظت القرآن كاملًا في ثلاثة أشهر والحمد لله.

وبعد ذلك سافرت إلى مصر واتصلت بالأزهر وانتسبت إليه في القسم العالي. وبعد ثلاثة أعوام تقدمت لامتحان شهادة العالمية، وكان أبرز أساتذتي الذين حضرت دروسهم في الأزهر الإمام محمود شلتوت.. وكان ﵁ فذًّا في معارفه وعمقه وذرابة لسانه ونصوع بيانه وقوة حجته، وكان بارعًا ماهرًا في تفسير القرآن بأسلوب لا يجارى فيه وهو من أجلّ علماء الأصول والجدل، وله نظريات في الفقه وآراء اجتهادية بالغة الأهمية وحسبنا أن نذكر أن فتاواه الفقهية طبعت تسع مرات، وكان الأستاذ شلتوت من الشهامة وعلو النفس موضع تقدير العلماء. ولي مع فضيلته قصة يتجلى فيها كل ما ذكرته من عظمة الرجل ذلك أنني عندما سجلت رغبتي في الامتحان للعالمية نصحني كثير من الإخوان من العلماء والطلبة بأن أستعين بعالم قدير يعينني على مراجعة ما، لعله يعرض لي من المواضيع الهامة فالتمست عالمًا فلم أجد على كثرتهم من يسعفني لاشتغال كل منهم بمن هو أهم إليه مني، وكنت في هم بالغ فمر علي الأستاذ شلتوت خارجًا من الأزهر فنهضت إليه وسلمت عليه وقبلت يده والتمست دعاءه، فسألني عن حالي فقلت له أني بخير ولا يهمني إلا أنني قد قدمت طلب امتحان العالمية وسُجلَّ اسمي مع الطلبة الذين سيقدمون للامتحان ولكنني لم أجد من أستعين به على مراجعة ما ينبغي مراجعته من أمهات المسائل، فقال لي في اهتمام بالغ: إنني لا أعرف أحدًا غير

مشغول وقال: وأنا مشغول بمراجعة دروس ابن الشيخ المراغي ولولا ذلك لأسعفتك، ثم قال لي: إنني سأعمل على محاولة الوصول إليك كلما سنحت لي فرصة، فأخبرني عن مكان بيتك ورقمه، فذكرت مكان بيتي ورقمه وشكرته على تفضله، وما كنت وما كان غيري يتصور أن الأستاذ الإمام شلتوت في مكانته العلمية والاجتماعية وكبريائه وما عرف به من الترفع يتنازل متكرمًا متفضلًا متواضعًا ليجيب رغبة غريب مثلي، وما راعني إلا شلتوت وهو يصل بيتي لأول مرة ثم يتكرر وصوله وتردده على بيتي طيلة أيام الدراسة لإعداد الامتحان للعالمية، وفي ذلك الوقت فصلت مشيخة الأزهر ما يربو على ستين عالمًا بإيعاز من القصر وكان بينهم أستاذنا محمود شلتوت فذهبت إلى بيته لأول مرة، وكان مجلسه حافلًا بأكابر العلماء وكنت معتزمًا أن أقدم لفضيلته هدية متواضعة، فبقيت معه حتى انصرف من حوله، فقدّمت إليه هديتي في ظرف فلم يفتحه وقذف به في وجهي وانتهرني أشد انتهار، وقال لعن الله علماء السوء الذين يتصرفون بما يوحي إلى أمثالك أنه لا يوجد في علماء مصر من يقدم الفضل لمستحقيه وطالبيه لا يبغون عليه جزاءً ولا شكورًا، واشتد الأستاذ في التثريب ولم يهدأ حتى أنه أمرني بمغادرة بيته مطرودًا، ولما تريثت محاولًا استعطافه رجاء عفوه غادر بيته فتبعته حتى الشارع وما زلت به استجديه العفو حتى عفا عني، ثم استقل الترام وأنا واجم حزين آسف، وعدت أدراجي ومعي ظرفي المشؤوم بكل ما فيه، ولا أخفي أنني أكبرت شلتوت وإن وجه إليّ ذلك التثريب والتأنيب لحماية إحساسه الرفيع، ودخلت الامتحان وبعد شهرين ظهرت نتيجة الامتحان وكنت من الفائزين والحمد لله. وبعد النجاح غادرت مصر إلى حضرموت، وكان والدي لا يزال وزيرًا للسلطنة القعيطية ثم

ما لبث أن استقال من الوزارة وقبل السلطان عمر استقالته. ثم توفي السلطان عمر رحمه الله وأفضت السلطنة القعيطية إلى السلطان صالح بن غالب فاستوزرني فيما فرضت بريطانيا على السلطان صالح المستر انجرامس مستشارًا مقيمًا لعظمته، واستسلم السلطان لانجرامس الذي جعل همه الأول عزلي عن وزارة السلطنة القعيطية فعزلني، وكتب عني انجرامس في كتابه الذي نشره باللغة الإنجليزية عدة صفحات تحامل فيها عليّ وعلى حضرموت وافترى كثيرًا مما في صحفه وقال أنه يرى المكلا التي يتولى حامد وزارتها غير المكلا التي عرفها من قبل، وقال أن عليه أن يواجه المكلا الجديدة وقد واجهها فتغلب على حامد بحديده وناره وبما أزعج به السلطان صالحًا من الإرهاب وفي طليعة الإرهاب الإنجليزي التهديد بعزل السلطان صالح واستقدام ابن عمه ليحل محله مؤيدًا بالإنجليز ومكرهم ودهائهم "انتهى كلام السيد حامد المحضار".

وقد اشتهر أخوه السيد الشاعر حسين بن أبي بكر المحضار شهرة واسعة بسبب شعره الغنائي الرقيق والذي غنى له كثير من المغنيين المشهورين في حضرموت والسعودية والكويت ودول الخليج الأخرى.

الشاعر والصحفي السيد حسين محمد البار (١٩١٨- ١٩٦٥)



وكان من أبرز شخصيات مجلس الشاي الشاعر الصحفي المحامي السيد حسين بن محمد البار، وسنوجز تاريخ حياته فيما يأتي:

ولد في قرية (القرين) من وادي دوعن عام ١٩١٨. وتلقى تعليمه الأول على يد والده العلامة الذي كان له الفضل الكبير في مده بالمعارف والعلوم وخاصة الفقه الشافعي واللغة العربية وآدابها. وقد هاجر إلى جيبوتي عام ١٩٣٤ والتحق بمدرسة النجاح العربية الإسلامية بمعية صهره السيد عبد الرحمن ابن عمر البار ومكث فيها أربعة أعوام حتى ١٩٣٨. ودرس على يد العلامة الأديب المتفنن السيد علي بن أبي بكر السقاف الذي حدب عليه وعرفه على الآداب الحديثة التي كان من أعلامها العقاد والمازني وطه حسين ومحمد حسين هيكل والشعراء المعاصرين من أمثال أحمد شوقي وخليل مطران وحافظ إبراهيم وشعراء المهجر ومجموعة أبوللو. واطلع على مجلة أبوللو التي كان يصدرها الشاعر أحمد زكي أبو شادي. كما اطلع على المجلات الأدبية مثل صحيفة الفتح التي أصدرها محب الدين الخطيب، ومجلة الرسالة التي أصدرها الأستاذ أحمد حسين الزيات والتي كان يطالعها بشغف.

وقد استفاد من أستاذه ومن القراءة في تلك الكتب والمجلات والصحف، فتغير أسلوبه الكتابي من الأسلوب القديم إلى الأسلوب الحديث.

ودرس عنده بالإضافة إلى علوم العربية وآدابها علم المنطق والأصول. وعاد أدراجه إلى مدينة عدن واشتغل فيها مدرسًا للغة العربية وآدابها في مدرسة الفلاح الأهلية ومكث في عدن لمدة عامين ثم عاد إلى وطنه وقريته القرين (دوعن - حضرموت) بعد قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٤٠.

وفي أثناء بقائه في عدن اتصل بالأستاذ الصحفي الأديب الشاعر علي محمد لقمان وتوطدت العلاقة بينهما، وقام صديقه الأستاذ علي محمد لقمان بنشر

أول قصيدة للشاعر حسين محمد البار بعنوان (زفرة) في صحيفة والده فتاة الجزيرة ونذكر منها:

نفذت أسهمي فحّطمتُ قوسي ونبذتُ الهوى وأفرغتُ كأسي
أنا في الحب خائب لم أذق من كأسه الحلو رشفة المتحسّي

وعمل في دوعن مدرسًا في بعض المدارس الأهلية ثم في مدرسة الرباط الحكومية.

ثم انتقل إلى المكلا عام ١٩٥٢ وعمل رئيسًا لتحرير صحيفة الأخبار الأسبوعية (الحكومية) التي سرعان ما تركها ثم عمل مراسلًا لصحيفة النهضة في عدن.

ثم انتقل مرة أخرى إلى عدن وعمل في تحرير صحيفة الجنوب العربي التي كان يملكها السيد أحمد عمر بافقيه (قريبه من جهة أمه) بعد صدورها مباشرة عام ١٩٥٤ والتي انضم إليها فيما بعد عبد الله باذيب وأخوه علي باذيب.

ومكث في عدن حوالي سنة كاملة.

وقد استضافه والدي وسكن في منزله القديم الذي تحول إلى مكتب وكان فيه غرف فارغة فسكن فيها، وكان يأتي في معظم الأيام يتناول الغداء معنا، وتميزت جلسات الشاي بلطفه وعلمه وأدبه وشعره، وكان يأتي إليها بعض أصدقاء الوالد مثل خلف حسن علي وكان الشاعر يداعبه بالقصائد الهزلية الساخرة والجميع يضحك، وهذا يدل على ما كان في عدن من السماحة، وآل حسن علي هم من العجم الذين توطنوا عدن وصاروا من العائلات المرموقة فيها ولم يكن المذهب الإثني عشري الشيعي حائلًا بينهم وبين أهل عدن السنة الشافعية، ولم يكونوا هم مهتمين بالناحية الدينية المذهبية.

وجميع سكان عدن بأديانهم المختلفة ومذاهبهم المتباينة يعيشون في ود واحترام وتبادل للمنافع.

وقد قام والدي في تلك الفترة بطبع أول ديوان لقريبه الشاعر حسين بن محمد البار على نفقته الخاصة بعنوان أغاني الوادي، الذي ظهرت فيه شاعرية البار وتأثره بشعراء الرومانسية مثل علي محمود طه وزكي أبو شادي ومجموعة أبوللو كما أن فيها قصائد واقعية تصور حال المواطن الحضرمي والموظف البائس، وفيها قصائد وطنية وقصائد دينية متعلقة بمدح النبي ﷺ وخاصة في المناسبات الدينية كالمولد والإسراء والمعراج.

ومن قصائده الوطنية قصيدة فلسطين التي يقول فيها:

ماذا عن الوطن المقدس في مرابعه السليبة؟
ماذا عن الشعب الشريد يعيش في دنيا غريبه؟
يشكو إلى الزمن الذي أودى بعزته ذنوبه
يشكو إليه فهل درى ماذا بمهجته الجديبه؟
إنا سئمنا عيشةً بلهاء مجدِبةً رتيبه
عفنا بها لغة الكلام فويح للغةِ المريبه
ولتنطق الأعمال ولتهزُز منابرنا خطيبه
فالسيفُ أبلغ قالةً والفعل أجدر بالمصيبه
أين العزائمُ لا تذيب عنادها أبدا مذيبه؟
والإنطلاقةُ كالشهابِ إذا بدا يرمي لهيبه؟
تخطو إلى الغايات شعبًا لا ترى إلا وثوبه؟

ثم عاد إلى المكلا وأقام بها، وأخرج للناس صحيفته الرائد عام ١٩٦٠ بعد صعوبات جمة في طباعتها وإخراجها حيث لم تكن هناك مطبعة في المكلا تطبع الصحف، فاضطر لطبعها في عدن وكانت ترسل إليه بالطائرة كل أسبوع مما أدى إلى ارتفاع كلفتها وزيادة ديونه حتى توقفت، وكان لسان حال شعبه الذي تأجج في أعماقه الرفض للوجود الاستعماري. وكانت صحيفة الرائد وصاحبها عرضة للمضايقة من السلطة الحاكمة يومذاك.

وللبار شعر مطبوع بالإضافة إلى ديوانه الذي صدر عام ١٩٥٤ بعنوان (من أغاني الوادي)، وله ديوان أصداء وديوان الأغاني وهو شعر منظوم بالعامية والفصحى. وقد جُمع شعره ونشرته دار حضرموت للدراسات والنشر بعنوان " الأعمال الشعرية الكاملة " عام ٢٠٠٤ بعد وفاته بأربعين سنة.

ومن أمثلة شعره الوجداني قصيدة هل تذكرين:

هل تذكرين حديثَنَا ... في روعة الليل البهيمْ؟
هَمسًا كأن خفوتَه ... في الليل أنّات السقيمْ
وكأن نجوانا بسيناء ... الهوى نجوى الكليمْ
ولنحنُ في الظلماء سر ... أو خيالات تهيمْ

وله قصيدة يتحدث فيها عن قريته القرين مطلعها:

قريتي مهبط آمالي ومرتاد خيالي
فسحة الدنيا إذا ما ضاق بي رحب المجال
علمتني كيف أفديها بروحي وبمالي؟
ما بها إلا جمال ساحر أي جمال

النسيم العاطر السلسال يستهوي النخيلا
فتراه موسعًا هاماتها لثمًا طويلًا

ومن شعره الديني قصيدة رسول الإنسانية ومطلعها:

أطلّ ربيعٌ كله النور والبشرُ — يرفُّ بهاء مثلما ابتسم الزهرُ
فحيّ ربيع الكون في ذكرياتِهِ — وسل دافقًا وانثر زهورك يا شعرُ
وقف نادبًا ما ضيّع العُربُ من عُلا — يرنُّ بسمعِ الدهرِ ما بقي الدهرُ
لباب من المجد الأثيل وتالدٌ — من العز فخرٌ دونه يقصر الفخرُ

وله قصيدة الزهراء عندما زار قبرها في المدينة المنورة قال فيها:

تسابقَ يا زهراءُ شعري ومدمعي — حِيالَ ضريح ليته حَلّ أضلعي
بكيتُ ولو كان البكاءُ بنافعي — لقلت لزوارِ البقيعِ اصرخوا معي
بكيت وكم في الدمع بُرءٌ لمهجةِ — وكم من شفاءٍ فيه للمتوجع
ولكنه لم يُشفِ ما في حشاشتي — من الألم الجمّ الخفيّ المقنعِ

ومن أمثلة شعره الوطني والقومي بالإضافة إلى قصيدة فلسطين التي ذكرناها قصيدة يا بلادي:

يا بلادي حَتّامَ في ضيعةِ العمرِ تُصَم الآذانُ عن صيحاتِك
كم رفعنا فيكِ المرير من الشكوى فذابت أصواتُنا في شُكاتِك
كل شيءٍ محيّرٌ فيك للفكرِ مُشِيرٌ إلى عميقِ سُباتِكْ

وقصيدة يوم العروبة ومطلعها:

لبيك يا يوم العروبهْ — يا باعِثَ الذّكَرِ الخصيبَهْ
يا باعثَ التاريخ في — الصَّوَرِ البعيدة والقريبَهْ

صُــوَرٌ مـن الماضي ومن ساعات حاضرِنا الرهيَبة

وقصيدة بورسعيد الخالدة ومطلعها:

قـل للـذي رامَ بالعـدوان يُذكيهـا شعواءَ تأتي على الدنيا وترديها
كفـاك مـا ذقـتَ في دنيـاكَ تجربـة وحسب ما قلت تضليلًا وتمويها
شـريعة الغاب في أقسى مظاهرهـا طَفِقـتَ بيـن بني الإنسـانِ تحييها

وقصيدة يوم الجزائر التي قال فيها:

حَـيّـوا معي يـوم الجزائر وتـلـمـسوا دم كـل ثـائر
وأمضُوا مع الأحـرار نحو النـور حيـث النـورُ سـافِرْ
حـيـث الـكـرامـةُ غـايـةٌ في ظـل تقريـر المصائِـرْ

الشعر الغنائي

وله الكثير من القصائد التي امتلأت بها دواوينه وغناها الكثير من الفنانين الحضارم مثل عبد الرب إدريس ويسلم دحي وعلي السقاف وأبو بكر التوي وإبراهيم الصبان وسالم باطرفي ومحمد سالم بن شامخ وأهمهم دون جدال محمد جمعة خان (١٩٠٣-١٩٦٣) فقد ولد محمد جمعة خان في المكلا من أم دوعنية حضرمية وأبٌ بنجابي هندي من أصول عربية، وكان والده قائدًا موسيقيًا للفرقة السلطانية والتحق هو بهذه الفرقة من سن الخامسة عشر وصار هو رئيسها فيما بعد، ووضع لها موسيقى النشيد الوطني للسلطنة القعيطية في حضرموت، وبعد تقاعده المبكّر كوَّن فرقة موسيقية خاصة به وطوَّر الأغنية الحضرمية، وكان يجيد العزف على الآلات النحاسية، كما أجاد العزف على العود والكمنجة إيجادة تامة، وتميز محمد جمعة خان بتذوقه للشعر الفصيح

وقدرته على غنائه، ومثاله قصيدة العلامة الصوفي الدمشقي عبد السلام نابلسي (١٦٤١ - ١٧٣١) وهي:

عيني لغير جمالكم لا تنظر وسواكمو في خاطري لا يخطرُ
صبرت قلبي عنكمو فأجابني لا صبر لي لا صبر لي لا أصبرُ

وعندما استقر شاعرنا السيد حسين البار في المكلا توطدت العلاقة بينه وبين الفنان محمد جمعة خان وصارا صديقين حميمين وغنى له الفنان محمد جمعة خان العديد من القصائد والأغاني ومثالها:

أسلمي يا موطني يأرض عاد والحقي بالركب فالدنيا طِراد

وغنى له قصيدة:

الشعب يوم انتخب فرحت جميع العرب
كلين صوت وهب والدهر ذلا غلاب

كما غنى له قصائد قومية مثل:

حيوا معي يوم الجزائر وتلمسوا دم كل ثائر

وقصيدة:

يا مصر يا وطن يا مهد أحرار الرجال
نصروك في يوم النضال في يوم معركة القتال

وغنى له قصائد عاطفية مثل:

رد قلبي رد قلبي خلنا نشقى بحبي
ما بغيتك قط جنبي وانت كن للجميع

وقصيدة:

يـا غـايـب عـن الاعـيـان   يـا سـاكـن في الـوجـدان

وقصيدة:

يــا حبيبــي ويــا روحــي ويــا نــور عينــي

ايــش لــي قــد جــرى للهجــر بينــك وبينــي

وقد عملا معًا كمستشارين في الندوة الموسيقية الحضرمية في المكلا التي تأسست عام ١٩٦٠

وقد شاهدتُ الشاعر حسين البار الذي استضافه والدي وهو في غرفتي يعزف العود ويدندن، وكما كان أيضًا يجيد العزف على الكمنجة حسبما ذكره ابنه الأديب الدكتور عبد الله بن حسين البار في كتابه "حسين بن محمد البار" (مطبعة وحدين الحديثة للأوسفست المكلا ٢٠١٥).



الشاعر الصحفي حسين محمد البار وعلى يمينه عمي محمد حامد البار وعلى يساره عبد القادر حامد البار



الشاعر حسين محمد البار وبجانبه صديقه عمي عبد القادر بن حامد البار الذي يحاول العزف على العود



الفصل الثالث
من علماء عدن المشهورين

الشيخ محمد بن سالم البيحاني (١٩٠٨-١٩٧٢ / ١٣٢٦-١٣٩١)



وكنا نذهب مع عمي (كما أسلفنا) إلى مسجد بانصير لصلاة الفجر، وفي فجر يوم المولد النبوي تحدث الشيخ محمد سالم البيحاني (وهو أحد أشهر الخطباء في عدن والجزيرة العربية) عن هذه المناسبة وركز حديثه عن السيدة خديجة رضي الله عنها، وكيف أحبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفدته بمالها ونفسها. وأذكر أن كل الحاضرين كانوا يبكون وهم يسمعون ما لاقته هذه السيدة النبيلة الكاملة الفاضلة من المشاق والمتاعب، وهي تعاني الحصار الظالم في شعب بني هاشم حتى ماتت هي وعمه وكافله والمدافع عنه أبو طالب في عام واحد (السنة العاشرة للبعثة)، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "عام الحزن".

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحبها جدًا ويذكرها كثيرًا حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها من كثرة ذكره لها وقالت: قد أبدلك الله خيرًا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: والله ما أبدلني الله خيرًا منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء" رواه البخاري في صحيحه وغيره. وكانت السيدة عائشة بعد ذلك تذكر فضائل السيدة خديجة ومواقفها العظيمة رضي الله عنها في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي روت أحاديث فضائلها وفضائل السيدة فاطمة عليها السلام.

ترجمة مختصرة للشيخ البيحاني (وترجمة مفصلة في كتابي عدن لؤلؤة اليمن)

ولد الشيخ محمد بن سالم البيحاني (١٣٢٦-١٣٩١هـ/ ١٩٠٨-١٩٧٢م) في بيحان تربى في حجر والده الذي علمه القرآن، وكفى بصره وهو طفل صغير.

وكان الشيخ محمد بن سالم البيحاني يكثر الدعاء لشيخه السيد عبد الله بن عمر الشاطري، وأهدى أول وأهم كتبه "إصلاح المجتمع " لوالده ولشيخه السيد عبد الله الشاطري.

وفي تريم مكث أربع سنوات متتالية من آخر سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٢م إلى منتصف سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م وهو في كنف السيد عبد الله الشاطري يرعاه ويوجهه ويعلمه ويحدب عليه. وللبيحاني قصائد في شيخه السيد عبد الله بن عمر الشاطري العلوي الصوفي المربي وفي أحدها يقول:

هو الشاطري العالم العامل الذي　　تعلمت من تقريره الشرح والمتنا

إذا مـا بـكـت عـيـنـي عـلـيـه لآلـئـا فـذلـك مـمـا كـان يحشو بـه الأذنـا
قضى زمنـا في خـدمـة العلم رافـعًا بـنـاء ربـاط لا يـشـابـهـه مـبـنـى
وأي غـريـب جـاءه فـهـو واجـد به العلم والقوت الضروري والسكنى

ومما قال البيحاني في تريم:

رعـى الله أيـام الوصـال وإذ كنـا مع السادة الأشراف في البلد الغنا
تريم التي طاب الحديث بفكرها فيـا حبـذا الغنَّـاء ويـا حبـذا المغنـا

وهكذا كانت منارات العلم في الإسلام وأربطته يجد فيها الغريب العلم والقوت الضروري والسكنى، والرعاية الإسلامية الصحيحة والقدوة المثلى فيتعلمون العلم والعمل، ويكون رائدهم جميعًا الإخلاص لله سبحانه وتعالى فيبارك الله سبحانه وتعالى في علومهم وفي أثرهم.

وقد ذهب الشيخ البيحاني بعد ذلك إلى الأزهر وتعلم على يد شيوخه الكبار وعلمائه الأماجد، ولكنه لم ير في حياته مثل الشاطري قط.

واتسعت مداركه العلمية والأدبية في مصر، فقد كانت مصر تموج بالعلماء وبالحركات الدينية والسياسية في زمنه.

الجمعية الإسلامية الكبرى:

وعندما عاد الشيخ محمد بن سالم البيحاني إلى عدن قام بنشاط الدعوة والتدريس والإمامة والخطابة، وساهم في تأسيس الجمعية الإسلامية الكبرى عام ١٩٤٩م، وكان يرأس هذه الجمعية الشيخ المحامي محمد عبد الله (من أصل هندي توطن أهل عدن وكان من رجالاتها، وذهب إلى بريطانيا لشرح قضية عدن والجنوب في البرلمان، وتوفي هناك، وقد اتهمهم بعض

أهل عدن الحكومة البريطانية بسمّه)، وهي (الجمعية) التي أقامت المعهد العلمي الإسلامي.

وسعى الشيخ البيحاني سعيًا حثيثًا في تكوين المعهد الإسلامي. وقد قام الشيخ البيحاني بتكوين لجان لجمع التبرعات ولوضع المناهج، وسافر إلى دول الخليج والحبشة وأريتريا لجمع التبرعات عندما رأى أن المبلغ الذي جمع في عدن لم يكن كافيًا.

تأميم المعهد الإسلامي: ومن أعجب العجب قيام الأستاذ عبد الله باذيب بإغلاق المعهد الإسلامي رغم أنه كان أحد الذين درسوا على يد الشيخ محمد بن سالم البيحاني، ثم كان عضوًا فاعلًا في رابطة أبناء الجنوب، ثم تأثر بالماركسية وذهب إلى موسكو وعاد منها شيوعيًا ماركسيًا، ومع ذلك نتيجة تربيته السابقة لم يتورط مثل زملائه في الحزب في الدماء والاغتيالات؛ بل كان أبعد الناس عنها، وقد كان ينتقد ما وصل إليه زملاؤه الماركسيون الذين أوصلوا البلاد إلى مستنقع آسن مليء بالدماء...

وتجمع لدى البيحاني اتجاه صوفي معتدل واتجاه سلفي متزن، وفكر إسلامي حديث يتبع مدرسة محمد عبده ورشيد رضا لينفتح على العالم ويدرك ما يدور فيه مع اتجاه تربوي إصلاحي سياسي. وكان يرى أن الإصلاح إنما يتم أولا عن طريق التربية، ولهذا كان جهاده كله تربويًا وتعليميًا. وهي أيضًا مدرسة محمد عبده المخالفة لطريقة أستاذه جمال الدين الأفغاني التي كانت مشوبة بالسياسة والثورية إلى حد كبير والدخول في متاهاتها.

وقد أنكر البيحاني على هؤلاء وهؤلاء وكره كثرة الأحزاب والتعصب لها، كما كره الاختلافات المذهبية والدينية التي مزّقت الأمة.

والبيحاني يكره التعصب للمذهب أو للشيخ أو لقول معين، ويجادل بالحسنى إلا إذا أصرَّ الخصم، فحينئذ يشتد في إنكاره على ما يراه واضح البطلان، وقد يشتدُّ في محاربة البدع وتقديس القبور نتيجة محاربتهم له في اتجاهه الإصلاحي.

إن البيحاني لم يلتزم بمذهب بعينه سواء أكان قديمًا أم حديثًا، ولم تعرف طبيعته الهادئة التعصب المقيت لرأي أو قول أو مذهب، بل كان يدعو دائمًا إلى التسامح بين المسلمين وتقبّل الآراء بكل انفتاح طالما كانت مدعومة بالدليل من الكتاب والسنة.

وقد ندّد البيحاني رحمه الله في كتبه وشعره بالتفرق والتمزق واعتبره داء الأمة الذي حطّمها. وكان يقول: "ويؤسفنا والله، ما نراه من أزمة بعيدة بين علماء الدين وحملَة الشريعة من الهجر والنفرة، وهم يعلمون أثر ذلك، وما يجرّه على الأتباع من الويل والشرور، فقد جعلوا تلاميذهم فرقًا وأحزابًا وصيَّروهم أعداء يلعن بعضهم بعضًا، ويحكم هذا بكفر هذا، ويضلِّل الجاهل منهم العالم، وهم يعرفون النتيجة الحتمية لاختلاف الخاصة وتعصُّب العامة".

وله ٦٣ مؤلفا منها:

- أستاذ المرأة.
- آشعة الأنوار على مرويات الأخبار "في مجلدين كبيرين - نظم".
- إصلاح المجتمع.
- أطيب الكلام من سيرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

وكنت أحضر بعض خطب الشيخ البيحاني في مسجد العسقلاني كما كنت أحضر خطبه في المناسبات الدينية مثل الإسراء والمعراج والهجرة والمولد

النبوي في الاحتفالات التي كانت تقيهما رابطة أبناء الجنوب، وكان الشيخ البيحاني أبرز خطبائها آنذاك، ولم ألتقي به شخصيًا إلا بعد عودتي من القاهرة كطبيب في عدن، وقد كوَّنت في تلك الفترة مع بعض الإخوة المركز الثقافي الاجتماعي الإسلامي، وتوطدت صلتنا بعلماء عدن الذين تكرموا بإلقاء دروس يوم الجمعة في المركز كما كانوا يساهمون بخطبهم في المناسبات والاحتفالات الدينية كانت لي عدة لقاءات خاصة مع الشيخ البيحاني (رحمه الله رحمة الأبرار).

وفاته

كان جزاء الشيخ البيحاني أن قام عبد الله باذيب بإصدار أمره بتأميم المعهد العلمي وتحويله إلى إدارة حكومية، وقد تألم البيحاني أشدّ الآلم من ذلك، كما أن الأوضاع الشيوعية في البلاد قد أصبحت لا تطاق، فأخذت تضيّق الخناق على العلماء وتغتال من يتجرأ على الكلام ولو في أضيق نطاق. فغادر الشيخ إلى تعز بعد أن قام الشيخ هائل سعيد أنعم بالاتصال بالرئيس القاضي عبد الرحمن الأرياني (رئيس الجمهورية اليمنية) ليتوسط لدى حكومة الجنوب الماركسية في السماح للشيخ محمد بن سالم البيحاني بمغادرة عدن فانتقل الشيخ البيحاني بهذه الجهود والوساطة إلى تعز حيث استقبله صديقه الوفي الثري صاحب المشاريع الخيرية العديدة، وهيأ له منزلًا يليق به. ولم يطل العمر بالشيخ البيحاني، فقد كانت وفاته في ٢٤ ذي الحجة ١٣٩١هـ الموافق ١٠/ ٢/ ١٩٧٢م وأوصى بأن يدفن في المقبرة تحت المسجد المظفر ففعل صديقه الشيخ هائل سعيد ذلك. ثم أقام له مسجدًا كبيرًا باسمه في تعز تخليدًا لذكره وتذكيرًا بفضله وجهاده وعلمه.

ولا شك أن الشيخ البيحاني قد لعب دورًا سياسيًا عندما ساهم في تكوين كتيبة الشباب اليمني في القاهرة، كما ساهم في تكوين الجمعية الإسلامية الكبرى التي كان لها دور في مقاومة الإنجليز ونشر الوعي الديني والسياسي والمطالبة بعروبة عدن ويمنيتها بعد أن حاول الإنجليز -منذ قدوم القرصان القبطان هينس واحتلاله لعدن عام ١٨٣٩م- أن يجعلوها مدينة مختلطة تكاد تكون الأغلبية من سكانها من غير اليمنيين، واعتبروا الهندوس وكل من ولد في عدن عدنيًا، بينما اعتبروا ابن لحج أو يافع أو حضرموت (وهي كلها تحت الحماية البريطانية) أجانب إذا ولدوا في مناطقهم، فضلًا عن أبناء الشمال، ووقف ضد جهود الجمعية العدنية المنادية بعدن للعدنيين (أي المولودين فيها فقط)، وعمل على أسلمة عدن بعد أن تم تغريبها وتهنيدها (جعلها هندية)، وعمل في هذا المجال مع رابطة أبناء الجنوب وشارك في احتفالاتها الشعبية، وكان خطيبها المفوه وخاصة أنهم استغلوا المناسبات الدينية مثل الاحتفال بالهجرة النبوية والإسراء والمعراج والمولد النبوي... الخ وقد ترجمتُ للشيخ البيحاني ترجمة وافية في كتابي عدن لؤلؤة اليمن (إصدار كنوز المعرفة جدة ٢٠١٢ ج ١/ ص ٣٢٨-٣٧١).

وبعد أن استقر في تعز كانت الأشواق تزداد إليه إلى عدن فقال هذه القصيدة:

أحن إليك يا بلد المعالي ... وما لي لا أحن وألف ما لي
أحن إليك والأنفاس حرّا ... ونار الحب تطفي بالوصال
وأسأل عنك زُوّاري جميعًا ... وما يشفي الجواب من السؤال
وفي عدن العزيزة كل شيء ... يعزُّ عليَّ من أهلي ومالي
ولو إني سكنت على الثريا ... لقلت إليك يا عدن مآلي

ولـي في الأرض إخـوان أعـزاء ... كـرام في الجنـوب وفي الشـمال
ومنهـم مـن يـرى أني أبـوه ... ويحسـب نفسـه أحـد العيـال
ويعطينـي مـن الدنيـا كثيـرًا ... كمـوج البحـر يزخـر باللآل
جـزى الله الجميـع عظيـم أجـر ... وكافأهـم علـى طيـب الفعـال
ولكـن معهـدي ولـه حياتـي ... بذلـت ومـا جمعـت مـن الحـلال
وكنـت أعيـش في عـدنٍ إمامًـا ... لأعظـم مسـجد وبـه اشـتغالي
وكنـت خطيبـه والنـاس حولـي ... قـد اجتمعـوا ليسـتمعوا مقالـي
وكان الـدرس يومًـا في البخـاري ... وفي سـبل السـلام مـع الرجـال
رجـال العلـم والآداب حقًّـا ... وواحدهـم هـو الرجـل المثالـي
وللتفسـير نعقدهـا دروسًـا ... وإن حدَّثـتُ فالإسـناد عـال
ومـا ابـن جريـر، وابـن كثيـر، إلا ... شـيوخًا قـد مـلأت بهـم خيالـي
فيـا حلقـات درس (العسـقلاني) ... غيابـي عنـك أمـرٌ كالمحـال
ولـن أنسـاك لا والله حتـى ... أوسـد في الثـرى بعـد انتقالـي
وهـل يـا معهـد الإسـلام تبقـى ... بأيـدي العابثيـن بـكل غالـي؟
وفيـك عصـرت أفـكاري ولمَّـا ... بنيتـك بعـد أعـوام طـوال
أتـاك العابثـون بـكل جهـد ... وصـرت إلـى الـذي بـك لا يبالـي
إلـى (باذيـب) أرسـلها دموعًـا ... ومـن تلـك الدمـوع إلـى كمـال
وإن أفنيـت مـن عينـيَّ دمعـي ... فـإن دمـي سـيكتب لـي نضالـي
وحاشـا أن تضيـع جهـود مثلـي ... وقـد أفنيـت عمـري في النـزال
ولسـت بخائـنٍ وطنـي ودينـي ... وقومـي يعرفـون صحيـح حالـي
ومـا واليـت يومًـا أجنبيًـا ... وللباغيـن مـا أنـا بالموالـي

ولكـن مـن يوافقنـي اعتقـادًا ... ويسـعى مثـل سـعيي في المجـال
فـذاك هـو الصديـق ولـو بعيـدًا ... سـواء كان خلفـي أو قُبالـي
تجنبـت السياسـة منـذ عهـدٍ ... بعيـدٍ واعتصمـت بالاعتـزال
ومـا أنـا بالبليـد وليـس يخفـى ... علـيَّ الصـدق أو كـذب المقـال
ولكنـي سـأكتم بعـض أمـري ... وبعـض الأمـر تظهـره الليالـي
لكـي لا يحسـب الجُهَّـال أني ... أتاجـر باتصـالٍ وانفصـال
ومـا أنـا بالـذي يرتـاد خبـزًا ... ومـاءً بالمـكارم والمعالـي
وكيـف أبيـع أوطـاني ودينـي ... وعرضـي بالقليـل مـن النـوال
وكفـي لا تُمـدُّ إلـى خسـيسٍ ... ونفسـي لا تعيـش علـى السـؤال
وبيتـي كان في عـدنٍ مقـرًا ... وكنـت أعـده مثـل القنـال
فللغربـاء في بيتـي مقـامُ ... وللأضيـاف ممتلـئ العـدال
وأهـل العلـم يجتمعـون عنـدي ... لأمـر العيـد أو أمـر الهـلال
وللوجهـاء والأعيـان يـوم ... إذا اجتمعـوا بـه للاحتفـال
لعقـد الأمـر في شـيء مهـمٍّ ... وفيـه يُحَـلُّ معقـود العقـال
ومكتبتـي تضـم مؤلفـاتٍ ... لتشـفينا مـن الـداء العضـال
فأيـن أنـا وأيـن جميـع هـذا؟ ... وأيـن القصـر والغـرف العوالـي؟
وهـل سـتعود أيـام تخلَّـت؟ ... ويـا لله أيـام خـوالي
نعـم سـتعود والدنيـا بخيـرٍ ... وأمـرك نافـذ يـا ذا الجـلال
وشـأن الخيـر أن يبقـى دوامًـا ... وأمـا الشـر فهـو إلـى الـزوال
ولسـت بقاطـعٍ صلتـي بقومـي ... وإن قطعـوا بـلا سـببٍ حبالـي
وإن جهـل العـدو علـيّ عمـدًا ... ففـي الأعـداء مثـل (أبـي رغـال)

وحكـم الله عـدل في القضايـا وما لـي غيـر صبـري واحتمالـي
وأنتظـر الرجـوع إلـى بـلادي وطعـمُ العيـش في الأوطـان حالـي
وإلا فالـوداع وسـوف أدعـو لهـا بجوارحـي ولسـان حالـي

رابط القصيدة مع المنشد سعيد البحري بصوت جميل مؤثر:

https: //www.youtube.com/watch?v=CtYmhZQoPA8

الشيخ علي محمد باحميش (١٣٢٨-١٣٩٧هـ/١٩١٠-١٩٧٧م)



ولد بمدينة الشيخ عثمان بمحافظة عدن وتوفى والده وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، وقد بدأ في طلب العلم الشريف وهو صغير، فاستفتح بدراسة القران الكريم قراءة وحفظًا على يد الفقيه عامر والفقيه إسماعيل بن علي إمام مسجد العيدروس سابقًا، ثم التحق بمدرسة الحكومة الابتدائية لمدة سنتين. ولم يواصل الدراسة لظروف صعبة مر بها، فعمل في عدة وظائف مختلفة تناسب سنه آنذاك، ومع هذا لم يمنعه العمل من المضي في طريق العلم، فتفقه وقرأ النحو والصرف والفقه على يد العلامة قاسم بن أحمد السروري وغيره من العلماء.

وجمع الشيخ علي باحميش بين طلب العلم وطلب الرزق، وسافر إلى بلاد الصومال والحبشة عام ١٩٢٦م، وعاد إلى البلاد وفتح متجرًا بسيطًا عمل فيه ست سنوات تقريبًا، ثم واصل طلب العلم وتحمل في سبيله المشقة والتعب. فارتحل سنة ١٩٣٠م إلى الحبشة فالسودان فمصر، ومكث هناك سبعة أعوام حتى تخرج وحصل على الشهادة الأهلية والعالمية سنة ١٩٣٨ ثم عاد إلى عدن في نفس العام وعمل مديرًا لمدرسة بازرعة الخيرية الإسلامية أكثر من عشر سنوات (وهي ابتدائية متوسطة وثانوية)، وكان من تلاميذه في المدرسة عدد من نوابغ عدن ومنهم عبد الله عبد الرزاق باذيب وأخوه علي، ثم أصدر صحيفة الذكرى عام ١٩٤٨م وهي أول صحيفة دينية أسبوعية والتي أسهم في تحريرها الكاتب الأستاذ أحمد عوض باوزير، وكان فيها كثير من المجادلات والأبحاث العلمية ورد فيها على بعض مقالات عبد الله باذيب التي نشرها في صحيفته المستقبل.

واشتهر باحميش بخطبه القوية في مسجد العيدروس ومقارعته للداعين لسفور المرأة والآخذين بالحداثة، والداعين إلى التغريب، وكان مدافعًا قويًا عن الإسلام والشريعة الإسلامية ويعد الشيخ علي باحميش من أوائل المشاركين في برنامج إذاعة عدن منذ تأسيسها سنة ١٩٥٣م، هو والعلامة محمد سالم البيحاني فكان حديث الخميس يقدمه الشيخ البيحاني وحديث الجمعة يقدمه الشيخ علي باحميش، وكانت إذاعة عدن تنقل خطبة الجمعة من مسجد العيدروس مباشرة، والتي يلقيها العلامة باحميش استفاد الكثيرون من دروسه ومحاضراته الخاصة والعامة في المنزل والمسجد ومن أبرز تلاميذه الشيخ محمد عبدالرب جابر، والسيد صادق بن محمد العيدروس خطيب

جامع العيدروس بعدن والشيخ أحمد مهيوب إمام وخطيب مسجد الشيخ عبدالله رحمه الله والأستاذ أنور محمد حسن إمام مسجد أبان سابقًا والسيد سالم عبد الله الشاطري (والذي درس أيضًا على يد الشيخ محمد سالم البيحاني).

وأوقف الشيخ علي باحميش عن الخطابة نهائيًا عندما تولى الشيوعيون السلطة عام ١٩٧٥م.

وقد كان أقوى العلماء وأشهرهم في الرد على الشيوعيين وتخرصاتهم ومحاربتهم للإسلام، وهددوه مرارًا ومنعوه من الخطابة تمامًا في مسجد العيدروس، وانتقل إلى مسجد أبان يلقي دروسًا ويتحدث عن الأوضاع السياسية والاجتماعية بدون تصريح، مما أغضب الحكومة الشيوعية فأرسلت من يصدمه بالسيارة عند خروجه من بيته ذاهبًا إلى مسجد أبان وأصابوه إصابات بالغة فنقل إلى المستشفى حيث توفي بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٩٧هـ، ١٢/ ١٠/ ١٩٧٧م رحمه الله رحمة الأبرار فقد كان شجاعًا لا يخاف في الله لومة لائم.

من مؤلفات الشيخ علي باحميش:

- فقه الصيام.
- الفتاة بين السفور والحجاب.
- دُرر المعاني.
- تحذير المسلمين.
- فصل الخطاب في ثبوت الشهر برؤية هلاله دون حساب..
- خطب منبرية ومقالات.

السيد مطهر الغرباني (مولده ١٣١٥هـ - وفاته ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)

هو السيد مطهر بن مهدي الغرباني الحسني السحولي (منطقة السحول في إب) العدني. أخذ العلم من العلامة محمد بن حسان اليماني المتوفى سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧ م. وعمه العلامة إسماعيل بن حميد بن محسن الغرباني المتوفى ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).

عاش السيد مطهر الغرباني سن شبابه في تعز وتعلم اللغة التركية ودرس بالمدرسة الأحمدية. وفي عام ١٣٦٧هـ /١٩٤٨م زجت به السلطات في السجن مع مجموعة كبيرة من العلماء والضباط الذين اتهموا بالمؤامرة في قتل الإمام يحيى حميد الدين أو شجعوا عليها. ثم أفرج عنه لعدم ثبوت التهمة وسافر مباشرة إلى عدن حيث عمل مدرسًا للدين واللغة العربية في مدرسة بازرعة الخيرية الإسلامية. ثم عقد مجالس العلم في مسجد أبان وتولى الإمامة والخطابة في هذا المسجد التاريخي الهام. وتخرج على يديه مجموعة كبيرة من العلماء، منهم: الشيخ السيد محمد بن عبد الله الهدار، والأستاذ محمد سعيد الصائغ والشيخ أحمد بن علي الدندراوي (شيخ الطريقة الدندراوية فيما بعد) والسيد سالم بن عبد الله الشاطري والسيد محمد ابن علي باحسن آل جمل الليل وخطيب مسجد حسين الأهدل والشيخ محمد عبد الرب جابر (أحد الأعضاء المؤسسين والبارزين في المركز الثقافي الإسلامي بعدن وإمام مسجد الشوزري بشارع الزعفران في كريتر عدن) والشيخ أحمد بن محمد مهيوب وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

- كشف القناع في أحكام الرضاع.
- شرح القصيدة الجامعة لمعاني التوحيد والعقيدة.
- ثمرات الجنة في خلاصة عقائد أهل السنة.
- رسالة صغيرة في الكحول والكولولنيا (اعتبرها طاهرة العين وليست نجسة مع حرمة شربها، وقد استفدت منها في كتابي "الخمر بين الطب والفقه").

وكان السيد مطهر من كبار العلماء في عدن وأوسعهم معرفة بالفقه، وقد تعاطف مع المركز الثقافي الإسلامي وكان يحبني ويكثر من الدعاء لي وتوجيهي.

توفي في عدن في ٣ ذي الحجة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

وقد تعرض تلميذه السيد سالم بن عبد الله الشاطري أيضًا لصدمة شديدة بالسيارة دبرها الشيوعيون وأدت إلى إصابته إصابات عانى منها طول عمره ولكنه أنقذه الله وأطال عمره ونفع به العباد والبلاد في حضرموت والحجاز وغيرهما. وقد توفي السيد سالم الشاطري في جدة في شهر شعبان ١٤٣٩هـ الموافق أبريل ٢٠١٨م. وهناك ترجمة وافية في كتاب " عدن لؤلؤة اليمن " ج ١/ ص ٣٠٢-٣٠٧.



الشيخ محمد عوض باوزير (١٣٣٠هـ/١٩١١م - ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)

ولد الشيخ محمد عوض باوزير في منطقة غيل باوزير في حضرموت وحفظ القرآن ودرس على يد علمائها حتى أتقن الفقه وصار قاضيًا للدولة القعيطية وصار رئيس محكمة الاستئناف ثم اختلف مع السلطات وترك المنصب وهاجر إلى الصومال البريطاني حيث عمل مدرسًا للدين وواعظًا وإمامًا لأحد المساجد هناك، ثم ذهب إلى الحجاز عن طريق اليمن والتقى بكثير من علماء مكة والمدينة، ثم عاد إلى عدن وعمل موظفًا مع التاجر عبد الله عبيد بامطرف ثم صار شريكًا له ثم استقل في تجارته وتوسع فيها.

وكان له نشاط اجتماعي وديني كبير فقد شارك في تأسيس المعهد العلمي بعدن وأشرف على مدرسة بازرعة الخيرية وانتخب رئيسًا للجمعية الحضرمية ورئيسًا للجمعية الإسلامية ونائبًا لرئيس الجمعية الإسلامية للتربية والتعليم (المعهد العلمي الإسلامي) كما انتخب أمينًا عامًا لهيئة علماء الجنوب في عدن وعضو في جمعية مكافحة السل وشارك في بناء مسجد النور بالشيخ عثمان وساهم بكثير من الأعمال الخيرية في عدن وغيرها.

وتولى الخطابة والتدريس في مسجد الشيخ السيد حسين الأهدل في كريتر عدن لفترة طويلة من الزمن.

وفي عام ١٩٦٧م سافر إلى الحجاز هو وأسرته بعد أن اضطربت الأحوال كلها في عدن وكثرت فيها الفتنة واستقر في جدة وافتتح عملًا تجاريًا ناجحًا وحصل على الجنسية السعودية وتولى أولاده من بعده هذا العمل التجاري الناجح ووافته المنية في جدة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م رحمه الله رحمة الأبرار.

الشيخ كامل عبد الله صلاح

ولد في مكة المكرمة ودرس على يد علمائها الكبار وصار من جملة العلماء ولكنه هاجر مع من هاجر من علماء مكة عندما سقط حكم الأشراف وذهب إلى عدن واستقر فيها وعندما دخلت المدرسة الابتدائية في كريتر عدن (السيلة) كان هو مديرًا للمدرسة وأستاذًا فاضلًا عالمًا بالدين واللغة العربية.

واشتهر في عدن كأحد علماءها ثم ذهب إلى لحج وصار قاضيًا فيها واستقر فيها فترة ثم عاد إلى عدن مرة أخرى وعرف بعلمه الواسع ودروسه في الدين في عدة مساجد بما فيها مسجد الشيخ عبد الله العامودي ومسجد بانصير. واختير كأحد كبار العلماء في الجنوب وصار عضوًا في هيئة كبار علماء الجنوب.

وعندما عرض عليه العودة إلى مكة المكرمة اعتذر عن ذلك لأنه قد توطن عدن وله زوجة وأولاد فيها.

وكان منزله بجوار منزلنا وابنه عدنان أحد أصدقائي رغم أني أكبر منه بعدة سنوات.

وعندما ساءت الأحوال في عدن رجع الأخ الأستاذ عدنان كامل صلاح إلى وطنه الأصلي مع أخواته إلى المملكة العربية السعودية واستقر في جدة وصار أحد رجال الأعمال وبنفس الوقت له مساهمات صحفية في عدة صحف ومن بينها صحيفة المدينة حيث له عمود أسبوعي يكتب فيه.

والدكتورة سامية العمودي هي إحدى حفيدات الشيخ كامل عبد الله صلاح.

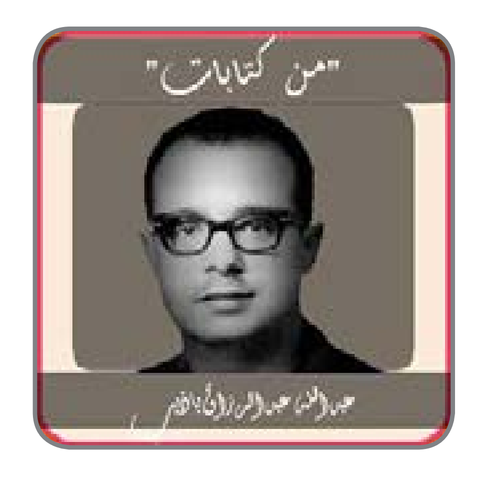


الفصل الرابع
صلتي بالصحافة والأستاذ عبد اللّه باذيب

صلتي بالصحافة

بدأت صلتي بالصحافة عندما نشر لي أستاذي لطفي جعفر أمان موضوع إنشاء "من هو قدوتي " في إحدى الصحف المحلية عندما كنت في السنة الرابعة الابتدائية، وكان يفعل ذلك تشجيعا لتلاميذه الصغار.

الأستاذ عبد اللّه عبد الرزاق باذيب (١٩٣١- ١٩٧٦م)



وفي المرحلة الثانوية اتصلت بالأستاذين عبد الله باذيب وأخيه علي باذيب اللذين كانا يعملان في صحيفة الجنوب العربي، وكانت صحيفة الجنوب

العربي قد أسسها السيد أحمد عمر بافقيه لتكون لسان حال (رابطة أبناء الجنوب العربي)، وقد عمل عبد الله باذيب قبلها في صحيفة النهضة التي يملكها ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الرحمن جرجرة، والتي كان على صلة وطيدة برابطة الجنوب العربي، بل كان عبد الله باذيب نفسه وقحطاني الشعبي ومجموعة كبيرة من الكتاب أعضاء في هذه الرابطة.

وقد انتقل الأستاذ عبد الله باذيب من صحيفة النهضة إلى صحيفة الجنوب العربي، ومكث فيها عدة سنوات ثم انتقل إلى صحيفة الفجر.

وكان عبد الله باذيب المولود في الشحر ١٩٣١ والذي انتقل مع والده وأسرته الكبيرة إلى عدن.

وكان أحد الطلاب المتميزين في مدرسة بازرعة التي درس فيها المرحلتين الابتدائية والمتوسطة... وتعلم على يدِ الشيخ الأزهري العلامة علي باحميش اللغة العربية وشيئًا يسيرًا من علوم القرآن والدين، كما تعلم أيضًا على يد العلامة الشيخ محمد سالم البيحاني وخاصة اللغة العربية والنحو وآدابها وشيئًا يسيرًا من علوم القرآن والدين، ثم انتقل عبد الله باذيب إلى المدرسة الحكومية الثانوية واستمر فيها إلى السنة النهائية؛ ولكنه لم يكملها بسبب اضطراره إلى العمل لفقر والده وضيق حاله.

وأصدر مع مجموعة الأدباء والأصدقاء مثل عائض باسنيد مجلة المستقبل الأدبية والفكرية عام ١٩٤٩ وهو لا يزال طالبًا في الثانوية وعمره آنذاك تسعة عشر عامًا فقط.

وقامت المجلة بمهاجمة الأدب التقليدي وأدب المشايخ، ورد عليه الشيخ محمد البيحاني والشيخ علي باحميش، وسفّهوا بعض آراءه.

وانتقد عبد الله باذيب الشاعر الأديب الأستاذ الشاعر الكبير محمد عبده غانم بشدة مع أنه كان يُعتبر من أفضل شعراء عدن في ذلك الوقت، كما انتقد بشدة الشاعر علي محمد لقمان مع أنه كان من رواد الشعر في عدن وأكثرهم إنتاجًا ومكانة. وانتصر للأستاذ لطفي واعتبره رائدًا للشعر الحديث ولكنه بعد مدة انتقده بشدة أيضًا.

وتميزت مقالات الأستاذ عبد الله باذيب الصحفيَّة بالأسلوب الجميل والدقة الموضوعية وتأييد الحركة العمالية والحركة النضالية ضد المستعمر، وكان يعتبر من أبرز الكتَّاب الذين هاجموا الاستعمار البريطاني، وكان أخوه الأستاذ علي باذيب يسير على هذا المنوال، وأسلوبهُ أكثر سلاسة كما كان يكتب أحيانًا مقالات أدبية.

وعندما تعرفت عليهما شجعاني على الكتابة بعد أن عرضت عليهما بعض المحاولات التي كتبتها، ونشرت مقالات عديدة باسم مستعار ضد الاستعمار والمجالات الوطنية وتأييدًا للحركة العمالية، كما نشرت ثلاثة مقالات باسمي، أحدهما بعنوان زهير بن أبي سلمى شاعر السلام، وهو شاعر جاهلي فحل بل ويعتبر أحد أهم شعراء المعلقات السبع، والذي مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف الذبياني الذين بذلا أموالهما للإصلاح بين قبيلتي عبس وذبيان في الحرب المشؤومة وهي حرب داحس والغبراء

(الخيلين المتسابقين) التي دامت ثلاثين سنة بسبب تافه وهو اعتراض الفرس السابق ليفوز الآخر، فقامت الحرب بين القبيلتين لمدة ثلاثين عامًا حتى كادَ الحيان أن يفنيا. ولهذا مدح زهير بن أبي سلمى صانعي السلام لجهودهما المباركة وبذلهما الأموال بالصلح بين القبيلتين:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وقام زهير بإنشاء قصائد عدة تهاجم الحرب وتدعو إلى السلام، وهو أمر نادر الحدوث في الشعر العربي بصورة عامة، ولم يظهر عند غيره في الشعر الجاهلي قط.

وسُرّ بذلك المقال عبد الله باذيب وأخوه علي، وأفردا له صفحة كاملة باعتباره شعر يدعو إلى السلام. وذلك مما تدعو إليه الحركة الاشتراكية في ذلك الوقت (حركة السلام العالمي).

وكتبت مقالًا آخر عن التصوف الإسلامي ورددت فيه على من قال أن التصوف الإسلامي مأخوذ بكامله من الهندوس والبوذيين، وأوضحت فيه أن أصول التصوف راجعة إلى ذم الدنيا والاهتمام بالآخرة، وهما أمران شدَّد عليهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وذكرت عددًا من أعلام التصوف الإسلامي مثل إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وعبد الله بن المبارك، والجُنيد وغيرهم. ثم ذكرت كيف دخلتْ الفلسفة الاستشراقية إلى التصوف في أشعار الحلاج والسهروردي المقتول (الذي قتله صلاح الدين وهو غير السهروردي صاحب عوارف المعارف) وقد حكم الفقهاء بزيغهما (الحلاج والسهروردي) واتهما بالزندقة فقتلا. وبالتالي اعتبرتُ أن الإضافات الفلسفية التي أُغرم بها المستشرقون هي إضافات خارجة عن التصوف الإسلامي الحقيقي.

وقد نشرت هذه المقالة في صحيفة الجنوب العربي وأنا طالب في الثانوية في كلية عدن بتشجيع من السيد أحمد عمر بافقيه صاحب صحيفة الجنوب العربي ورئيس تحريرها.

وقد نشرت مقالًا عن الفنان والرسام الهولندي فان جوخ (١٨٥٣-١٨٩٠) بعد أن شاهدت فلما رائعًا عن حياته وفنه، وقد نشر المقال في صحيفة الفجر التي كان يحررها عبد الله باذيب وصديقه باخبيرة.

وفان جوخ هو أحد أشهر الرسامين التشكيليين والذي تباع كل لوحة من لوحاته بعشرات الملايين من الدولارات بل تعتبر من أغلى اللوحات الفنية التي تباع في العالم.

ورغم أن فان جوخ كان مصابًا بمرض عقلي يؤدي به إلى نوبات من الجنون ونوبات من الصرع، وكانت هذه الحالات تؤثر في فنه وتعطيه تفردًا وتميزًا عن الآخرين (بين الفن والجنون شعرة) وقد بدأت لوحاته تثير الإعجاب عندما رسم عمال المناجم الفقراء والذين يعيشون حياة بائسة وتعاطف معهم كثيرًا ثم تعاطف مع الفلاحين الفقراء وكان محبًا لهم ومتعاطفًا معهم ومن أشهر لوحاته:



آكلو البطاطا



ليلة النجوم



زهرة عباد الشمس





بين الفن والجنون شعرة

وقد رسم مئات اللوحات المنتشرة في مختلف متاحف العالم، ورغم أنه بدأ يحقق شهرة واسعة إلا أن حياته اتسمت بصورة عامة بالبؤس والاضطراب في علاقاته العاطفية المختلفة. وقد أنهى حياته بالانتحار بعد أن مرض ابن أخيه الصغير مرضًا شديدًا ورآه يتألم ويتعذب فلم يطق ذلك فانتحر.



ورفضت الكنيسة القريبة منه دفنه بسبب الانتحار، ولكن كنيسة أخرى قبلت ذلك ودفن فيها. وكانت حياته القصيرة (٣٧) عام مجالًا لكثير من المؤلفات والدراسات والأفلام. فهي تمثل حياة القلق والتوتر والتعاسة التي يعيشها الإنسان الغربي ذو الضمير الحي فقد شاهد مئات من عمال المناجم الأشقياء والتعساء، كما شاهد آلاف الفلاحين الذين كانوا يعانون من البؤس في هذه الحضارة الزائفة وعاش مع مجموعة من الفنانين وعرف معاناتهم وحياتهم المضطربة ورغم دخولهِ الكنيسة ومحاولاته العديدة للاقتراب من التعاليم الدينية كي يتخلص من قلقه إلا أن الكنيسة كانت بالنسبة له مثارًا للتناقض بين ما يعيشه رجالها الكبار من ترف وحياة رغد وبين ما يعيشه أتباعها من الفقراء والمساكين من حياة الضنك والفقر والمذلة. فأدى ذلك إلى اضطراب علاقته بالكنيسة اضطرابًا واضحًا وبعده عنها بعد ذلك، وهو أمر شديد الانتشار في الغرب لأن كل من لديه ضمير حي يحتقر حياة رجال الكنيسة الأثرياء والذين يتعاونون باستمرار مع الطبقات الثرية وملاك الأراضي ثم مع الرأسماليين بعد ذلك، ولهذا اعتبر بعض المفكرين أن الكنيسة ورجال الدين يستخدمون التعاليم الدينية لأغراضهم الخاصة ولمنع الطبقات الفقيرة والمسحوقة من أخذ حقوقهم من هؤلاء الذين يبتزونهم ويمتصون دمائهم كما أن الكنيسة كانت غالبًا في خدمة الاستعمار واستغلال الشعوب ولذلك كانت عليها النقمة في كثير من الأحيان.

وقد كان عبد الله باذيب وأخوه يشجعاني على قراءة الكتب التي تدعو إلى الاشتراكية بل والماركسية، وبالفعل قرأت بعض هذه الكتب وبالذات كتاب رأس المال لكارلماركس (اليهودي) والذي لم يقرأه في ذلك الوقت عبد الله

باذيب نفسه. وقد أعطاني الأستاذ عبد الله باذيب كتاب الدكتور مصطفى محمود " الله والإنسان " والذي قدم له الأستاذ محمود أمين العالم والدكتور عبد العظيم أنيس وكلاهما من كبار الشيوعيين في مصر وقد مدح في كتاب دكتور مصطفى محمود في ذلك الوقت واعتبراه كتابًا ضد الاعتقادات الدينية يفتح الباب إلى الإلحاد. وقد قرأت الكتاب آنذاك ووجدت الدكتور مصطفى محمود متشككًا في بعض الأمور ومتأثرًا بكثير من الفلسفات المختلفة ولكنه قطعًا لم يكن ملحدًا وقد أثار الكتاب في حينه ضجة كبرى في مصر ومنعه الأزهر ودار الإفتاء على اعتبار أنه كتاب يلقي كثيرًا من الشكوك على بعض النصوص الدينية ولكن مصطفى محمود رحمه الله نفى ذلك نفيًا باتًا واستطاع محاميه أن ينفي عنه تلك التهمة وأنه كان متأثرًا ببعض الفلسفات المختلفة ولكنه لم يكن ملحدًا قط وذكر مصطفى محمود في عدة لقاءات على النت هذه القصة وأنه لم يشك قط في الله سبحانه وتعالى، بل كان مؤمنًا طوال مراحل حياته. وزاد إيمانه عمقًا بتوسع مداركه وقراءته ولقاءاته وصار عَلَمًا من أعلام الدعوة الإسلامية وخاصة عندما ناقش الملحدين من الشيوعيين وغيرهم في كتابه "حوار مع صديقي الملحد" ورد على الشيوعية في كثير من كتبه تكفي لإسقاط هذه التهمة حتى في ذلك العهد.

وعلى أية حال إن مصطفى محمود عَلَم من أعلام الإسلام في العصر الحديث، رحمه الله رحمة الأبرار.

ولما ظهرت كتب "معركة الإسلام والرأسمالية" و"السلام العالمي والإسلام" و"العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وهي من بواكير أعمال سيد قطب رحمه الله، ذهبت بهذه الكتب لمناقشة عبد الله باذيب وأخيه في هذه المواضيع، وأن

العدالة الاجتماعية في الإسلام تغنينا عن الماركسية اللينينية، فأخذ مني كتاب معركة الإسلام والرأسمالية لقراءته ثم مناقشته بعد ذلك. ولكنهما ماطلا في ذلك، وحاولت مرارًا أن أناقشهما في هذا الموضوع لكنهما كانا يبتعدان عنه تمامًا، فاقتنعت أنهما لا يستطيعان المناقشة بهذا الباب، وفترت علاقتي بهما، ثم ذهبت إلى القاهرة لدراسة الطب وانقطعت صلتي بهما.

وقد أثارت مقالات أستاذ عبد الله باذيب الحكومة البريطانية وقدموه إلى المحاكمة بتهمة التحريض على الفوضى والثورة على النظام، فخرج عدد غفير من الناس إلى المحكمة وأحاطوا بها، فاضطر الحاكم الإنجليزي إلى اختصار المحاكمة والسماح لعبد الله باذيب بمغادرة عدن والذهاب إلى اليمن الشمالي، وبذلك انتهت هذه المشكلة. وذهب عبد الله باذيب إلى صنعاء واستقبله الإمام أحمد.

ثم اتصل باذيب بالسفارة الروسية في صنعاء والتي كانت تعرف معرفة جيدة نشاطه واتجاهه الماركسي وشجعته على الذهاب إلى روسيا لدراسة الماركسية دراسة عميقة، وبالفعل ذهب إلى روسيا وأجاد اللغة الروسية وتعمق في الماركسية اللينينية وصار بعد عودته أحد أهم رواد الماركسية في اليمن بأكمله.

وكان له دورٌ كبير في الحركة الشيوعية والحزب الطليعي وتولى وزارة المعارف ثم وزارة الثقافة في الدولة الماركسية في اليمن الجنوبي، وأول عمل قام به هو إغلاق المعهد الديني الإسلامي الذي شيّده العلامة الشيخ محمد البيحاني بعد جهود طويلة، وكان معلَمًا بارزًا في التعليم الديني في الجزيرة العربية.

وقد قام عبد الله باذيب بإقفال المعهد ومصادرة ممتلكاته وتحويل المبنى إلى مركز حكومي تابع لوزارة الداخلية.

أحداث صغيرة وهامة في عدن

فريد الأطرش في عدن

زيارة الموسيقار الراحل "فريد الأطرش" قام صاحب السينما الأهلية التاجر حسين خودابخش بدعوة الفنان فريد الأطرش لزيارة عدن وقبل الدعوة وحضر عام ١٩٥٥ مع أخيه فؤاد الأطرش وزوجته إيمان وبصحبة الفرقة الماسية بقيادة المايسترو أحمد فؤاد حسن، وخرج معظم أهالي عدن لحضور حفلات الفنان فريد الأطرش التي استمرت ثمانية ليالي والتي لم يتسع لها إلا ميدان كرة القدم (ميدان الحبيشي). ونزل فريد الأطرش مع فرقته في فندق الصخرة (روك هوتيل) في التواهي، واستضافه والي عدن هيكم بوثم.

وأقام خودابخش لفريد الأطرش حفلًا خاصًا حضره لفيف من فناني عدن مثل أحمد بن أحمد قاسم ومحمد عبده زبيدي وخليل محمد خليل وسالم بامدهف ومجموعة من أعيان مدينة عدن مثل الأستاذ محمد عبده غانم والأستاذ علي محمد لقمان وغيرهم كثير.

أول حديقة حيوان في الجزيرة العربية في عدن ADEN ZOO

أول حديقة حيوانات في شبه الجزيرة العربية بالشيخ عثمان / عدن:

بدأ الحاج عبد المجيد السلفي عمله كبائع اللمليت (لليموناده Lemon light) ومشروبات شركة الكوثر والثلج في محل بالحي التجاري الشيخ عثمان، ثم افتتح محل لبيع الصحف والمجلات بنفس الشارع، وقام بشراء بستان في ضواحي الشيخ عثمان (الشيخ الدويل)، وقام بزراعة البستان بشتى الخضروات والفواكه وأشجار النخيل.

في الوقت الذي جاء من الصومال رجلان صوماليان بسفينة (شراعية) يحملان فيها زوج أسود ذكر وأنثى هدية للإمام أحمد، وأثناء وصول الأسدين لعدن لم يجدوا لهما مكان لبقائهما سوى بستان عبد المجيد، فاستضافهما فترة ثم طرأت بعقله فكرة إنشاء حديقة حيوانات. وتحويل بستانه لهذا الغرض، ففي عام ١٩٥٣ استورد أسدين من الصومال وكبش بخمسه أرجل، ثم استورد أنواع كثيرة من الطيور، مثل: الطاؤوس والنعام والببغاء والصقور والكناري والبوم، ثم استورد حنش كبير (الفايتن Phyten وهو ثعبان كبير ضخم غير سام يمتاز بعضلات قوية جدًا ويقضي على فريسته بعصرها والذي كان طوله ١٦ قدمًا) من الهند والقرود بأنواعها من إفريقيا والنمور والباشق والغزلان والسناجب والضباع والقنافذ والدببة التي أتوا بها من جبال الهملايا من الهند.

وصنع لهم أقفاصًا حديدية محكمة ليشاهدها زوار الحديقة من كل مناطق عدن وكانت تسعيرة الدخول (نص شلن).

كما كان يشتري المواشي الهزيلة التي لا تنفع للأكل واللحوم التالفة لتغدية الحيوانات والبعض الآخر لا تأكل اللحوم فيوفر لها الخضار والفواكه.

كان موقعًا مسليًا ترفيهيًا للصغار والكبار بمدينة عدن ومفيدًا علميًا لطلبة المدارس لمشاهدة الحيوانات عن قرب.

كان موقع الحديقة قريبًا من منازل بعض المواطنين مما سبب ذعرًا لهم.

إنشاء نادي الفروسية

كان في عدن منطقة خور مكسر مجموعة من الخيول تابعة للإنجليز وبعض الخيول التابعة لوديع حسن علي وهذه خيول خاصة وليست للعامة؛ ولكن تعقد مسابقات بين هذه الخيول بأصحابها ويسمح للأهالي حضور

هذه المسابقة بدفع رسوم محددة. ثم أشترى الحاج عبد المجيد السلفي في عام ١٩٦٧م ١٦ حصانًا، وكان ذلك أول بداية لـ نادي الفروسية في عدن في منطقة الشيخ عثمان والذي انتهى في عام ١٩٧٤ م بسبب انتشار وباء الكوليرا في ذلك الوقت. وفي عام ١٩٨٥ م كانت بداية النهاية لبستان عبدالمجيد بسبب كبر السن لبعض الحيوانات وقلة الدخل المالي للحديقة مقارنة بمصاريفها بالإضافة إلى صعوبة استيراد الحيوانات وارتفاع قيمتها؛ لذا قرر ابن المرحوم الحاج عبد المجيد اختيار مكان بعيد وأنسب بالاتفاق مع حكومة عدن في ذلك الوقت ولكن حرب ١٣ يناير١٩٨٦م أفسد قيام المشروع واختفت الحديقة مثل ما اختفى كل جميل بعدن.

رحم الله الحاج عبد المجيد الذي أسعدنا زمانًا بحديقته الجميلة كأطفال قضينا فيها أمتع اللحظات.

كما قام المرحوم عبد المجيد السلفي مع نخبة من رجال عدن ببناء مسجد النور في الشيخ عثمان.







الحاج عبد المجيد السلفي مؤسس أول حديقة حيوان في عدن وفي الجزيرة العربية









الفصل الخامس
مدارس عدن ومراحل التعليم بالنسبة لي

المدرسة الابتدائية السيلة

كانت عدن مدينة تنهض وتسير بسرعة في كثيرٍ من المجالات. وفي سنة ١٩٤٧-١٩٤٨ كان والدي يريد أن يعلمني في البيت ويحضر لي مدرسين ويعلمني التجارة لكي أصبح تاجرًا مثله، لكن كان أحد أقارب والدتي السيد حامد الصافي مدير مدرسة متوسطة، وكان سيُرسل إلى بريطانيا لزيادة دراسته بالتعليم حتى يعود مسؤولًا أكبر، وكان صديقًا للوالد أيضًا فنصح والدي وقال له: قد يضيع الولد يجب أن تدخله المدرسة مباشرة، فدخلت المدرسة وأنا متأخر قد جاوزت السابعة. ولم يوجد لي مكان في مدرسة السيلة في كريتر لأني تأخرت بالتسجيل فأرسلوني إلى المعلا، ومن ثمَّ انتقلت إلى مدرسة السيلة في عدن (سكول دينسي وهي اختصار لكلمة Residency أي محل إقامة المسؤول البريطاني في عدن سابقًا).

وهي مدرسة كبيرة، ومن كبرها وقوتها صارت بعد ذلك المتحف الحربي، ولها الآن أكثر من ٨٠ سنة ضخمة وفخمة جدًا، وكان مديرها في ذلك الوقت الشيخ كامل صلاح، وهو من علماء مكة المكرمة الذين توطنوا عدن وكان له دور علميٌ بارزٌ فيها. وكثير من الأسر المكاوية كانت تأتي إلى عدن؛ لأن

فيها حرية ومنفتحة، ومن هؤلاء جاء الشيخ كامل صلاح إلى عدن وصار مدير هذه المدرسة، ومن ثم ذهب إلى منطقة أخرى في لحج وصار قاضيًا شرعيًا مسؤولًا فيها، وهو رجل فاضل جدًا رحمة الله عليه، وكان جارنا وبيته قريب من بيتنا، وابنه الأخ عدنان كنت أكبر منه بعدة سنوات، لكن نتيجة القرب في الشارع والبيوت المتقاربة جدًا فكان بيننا صداقة، وبعد أن انهارت عدن بالحكم الشيوعي، رجع هو وأهله وأخواته إلى السعودية، وأخذوا جنسيتهم مرة أخرى وصار لديه أعمال تجارية وكان أيضًا صحفيًا يكتب في (صحيفة المدينة) وغيرها، وله مقالات أسبوعية مستمرة من فترة طويلة، هذه أسرة من الأسر المكاوية الحجازية.

وفي آخر سنة ١٩٤٧-١٩٤٨ دخلت إلى المدرسة الابتدائية في كريتر، وكان في نفس الفصل إلى جانبي أخي وزميلي وصديقي شهاب غانم، ووالده كان نائب مدير التعليم في عدن، ومن بعد ذلك تولى إدراة التعليم كلها، وكان من القلائل الذين أتيح لهم الدراسة في بيروت بالجامعة الأمريكية والقلائل الذين أخذوا الشهادات العالية، وبعد ذلك وصلوا إلى الدكتوراه وغيرها، وتعمقت الصداقة بيني وبين زميلي وصديقي بعد ذلك.



مدرسة السيلة الابتدائية والتي تحولت فيما بعد إلى المتحف الحربي في كريتر عدن

وتولى بعد الشيخ كامل صلاح إدارة مدرسة السيلة السيد محمد الباقر ابن حمود الحازمي، وهو من عائلة الحازمي، وهم قد أتوا من المخلاف اليماني (من نجران جيزان إلى عسير)، وكانوا من الأشراف الحسنيين نسبة إلى سيدنا الحسن، وكان فيهم علماء، وجدهم الذي جاء إلى عدن أحد كبار العلماء، عينته الحكومة البريطانية قاضيًا شرعيًا في الصومال ثم أتت به إلى عدن، وصار القاضي الشرعي في عدن، وأولاده دخلوا في سلك التعليم منهم السيد محمد الباقر وأخوه السيد زين الحازمي، الذي بعثته بريطانيا في البعثات الأولى مع السيد حامد الصافي (أحد أخوالي)، وصار من ضباط إدارة التعليم الموجودة هناك.

آل الحازمي هم أخوال والدتي، والصلة حميمة لأنهم أخوال الوالدة مباشرة، جدي عبد الله (عبيد) بن أحمد الصافي تزوج منهم وأنجب مجموعة من أولاده وبناته، وبعد وفاة زوجته من آل الحازمي تزوج امرأة أخرى من آل السقاف وقد تزوج ثلاث مرات، ولكن المجموعة الكبرى من أولاده وبناته كان أخوالهم من بيت الحازمي، فهذه المجموعة مجموعة علم وفضل لهم دور في عدن بعد ذلك. ومن بيت الحازمي الشريفة قدرية زين الحازمي التي تخرجت من الجامعة الأمريكية في بيروت والتي كانت من البعثات الأولى من الفتيات اللاتي تخرَّجن من الجامعة الأمريكية من بيروت. وقد ضمت أيضًا أصغر خالاتي الشريفة عائشة عبد الله الصافي والتي تزوجت من السيد منور ابن حمود الحازمي رحمه الله والذي كان أحد أشهر المذيعين والإعلامين العرب في إذاعة عدن ولندن والكويت وأبو ظبي، وكلتاهما (أي: قدرية الحازمي وعائشة عبد الله الصافي) استقرّتا في الإمارات العربية المتحدة في (أبو ظبي)، وأخذتا الجنسية الإماراتية وكان لهما دور كبير في تعليم الفتيات، ومن الخريجات الأوائل من الجامعة الأمريكية في بيروت فتحية منقوش والتي حصلت على الدكتوراه فيما بعد من الولايات المتحدة، وقدرية عبد القوي خليل وهي أخت زميلنا في كلية عدن أبو بكر عبد القوي خليل.

وتخرجت الدكتورة عزة محمد عبده غانم من ابردين (اسكوتلندا) في الرياضيات وعلم النفس عام ١٩٦٥، وأخذت ماجستير في تعليم المعوقين من كندا، ثم أخذت الدكتوراه من جامعة كارديف بويلز سنة ١٩٨٣ ودرّست في جامعة صنعاء ووصلت إلى درجة أستاذة (بروفيسور) في تلك الجامعة، وكانت قد تزوجت من صديقي الدكتور أبو بكر القربي الذي تولى عدة مناصب وزارية في اليمن وأخرها منصب وزير الخارجية.

ومن ميزات هذه المدرسة الابتدائية أنها كانت تعطي كل طفل في فترة الفسحة كأس حليب طازج حار وحبة موز، وكان علي التركي يمتلك أعدادًا كبيرة من الأبقار ويورد للمدارس الحكومية كلها الحليب، وعنده مجموعة من الفنادق.

وكانت هذه السياسة جيدة جدًا بدلًا من إعطاء الأطفال الغازيات وغيرها. لقد أخذت الحكومة هذا المبدأ السليم في المدارس الابتدائية لأن بعض الطلبة فقراء لا يستطيعون أن يحصلوا على الموز والحليب لكل طفل. هذا النظام مهم للأطفال ويحتاج تعميمه بدلًا من الأكل الذي انتشر بعد ذلك من بوفيهات وغيرها بما فيها من حلويات وغازيات وكلها مواد فيها كمية كبيرة من السكر وملونات ومواد صناعية ضارة صحيًا، فالعودة إلى النظام القديم أفضل ما يحفظ صحة الأطفال.

مدرسة بازرعة الإسلامية الخيرية

كانت هناك مدارس أخرى أهلية بجانب المدارس الحكومية الموجودة، منها مدرسة بازرعة الإسلامية الخيرية التي أنشأها الشيخ محمد عمر بازرعة من جيبه الخاص عام ١٩١٢، ثم استمر بالإنفاق والإشراف عليها ابنه الشيخ علي محمد عمر بازرعة والذي كان صديقًا لجدي حامد بن علوي البار. وفيها مراحل الابتدائية والمتوسطة ثم بعد ذلك الثانوية، وكان مدير المدرسة كلها الشيخ علي باحميش وهو خريج الأزهر الشريف وكان لها نظام جيد في اللغة العربية والتعاليم الإسلامية، بالإضافة إلى المواد التعليمية الأخرى مثل المواد العلمية والأدبية والرياضيات والعلوم وغيرها، وكانت تدرس اللغة الإنجليزية، ولها أنشطة أجتماعية ولها كشافة. هذه مدرسة من المدارس

المهمة التي تخرج منها عدد من شخصيات الجنوب وعدن ومنهم عبد الله باذيب وأخوه علي باذيب وغيرهما وكانا من أوائل الصحفيين المشهورين في عدن.



مدرسة بازرعة التي تخرج منها بعض شخصيات الجنوب العربي (اليمني)

وكانت هناك مدرسة الفلاح التي أسسّها السيد حسين الدباغ المكي أسس مدرسة في عدن ومدرسة في المكلا في فترة مبكرة عام ١٩٣٠، ولكن الإنكليز رأوا أن مناهج هذه المدارس قوية من جميع النواحي دينيًا ولغويًا وأيضًا فيها نشاط كشافة ونشاط علمي، فخافوا من ذلك الاتجاه مما يؤدي بعد ذلك إلى مجموعة من الشباب الذين سيتخرجون ويطالبون بالاستقلال والوطنية، فطلبوا من السيد الدباغ أن يغادر البلد وأن يعود إلى مكة المكرمة فعاد ولكن بقيت مدرسة الفلاح في عدن بعد أن توقفت في المكلا، واستمرت في شارع الزعفران وتولاها بعض الأشراف الذين أتوا من المملكة العربية السعودية من منطقة جيزان وما حولها، وكان الذي تولاها الشريف عدنان، وهي مدرسة فيها

جانب ديني جيد في دراسة وتلاوة وحفظ القرآن والفقه الإسلامي، وأضيف إليها الرياضيات واللغة الإنكليزية، وبدون شك كانت من ناحية تدريس اللغة العربية والناحية الدينية أفضل من المدارس الحكومية بكثير، ولكن من ناحية المواد العلمية الأخرى أقل من المدارس الحكومية توضح هذه الأنشطة الاهتمام الكبير الذي أولاه أهل مكة والحجاز بعدن والمكلا، وقد ذكرنا أن العائلات المكية كانت كثيرة، مثل الشيخ كامل صلاح وهو مكي، وتولى بعده السيد محمد الباقر وهو من آل حازمي الذين جاؤوا من عسير كما أسلفنا.

ومن أهل مكة أسرة آل أمان ومن أبرزهم الأستاذ لطفي جعفر أمان الذي سنفرز له فصلًا خاصًا.

وهناك العديد من المدارس الحكومية الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومنها مدارس للبنات، كما قامت الحكومة ببناء مدارس لأبناء وبنات اليهود، وكانت مدرستهم قريبة من مدرستنا السيلة، كما كان لليهود مدارس خاصة بهم لتعليم الديني لأولادهم وبناتهم وتركز على الناحية الدينية الخاصة بهم. وكان للهندوس مدارسهم الخاصة بهم، وقامت الجالية الهندية المسلمة بفتح مدرستين همام درسة انجن إسلام ومدرسة باجي لالجي الإسلامية، كما قام راجم نار أحد أثرياء الهنود المسلمين بإقامة معهد تجاري يخرّج مجموعة من الموظفين للبنوك والمسائل الحسابية والمالية.

وقد سعى الشيخ محمد سالم البيحاني في إقامة معهد إسلامي ديني، ونجح في ذلك، وقد درّس في هذا المعهد الأستاذ الدكتور أحمد محمد علي من أهل المدينة المنورة، والذي كان أول مدير لجامعة الملك عبد العزيز في جدة عند إنشائها ثم صار رئيسًا للبنك الإسلامي الدولي منذ إنشائه إلى (٢٠١٦).

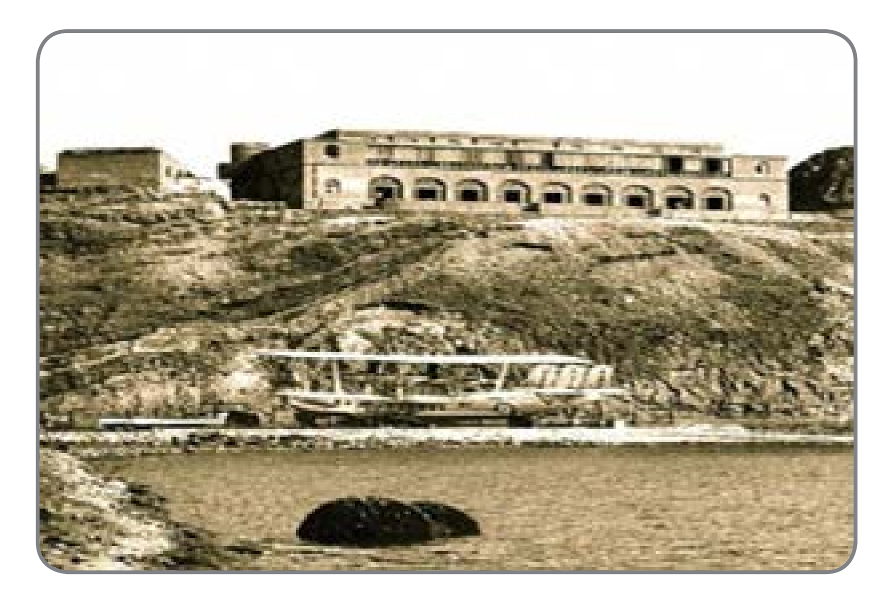
وهناك مدرسة تابعة للإرسالية الدنماركية المعروفة باسم سنت جوزيف (البادري) في عدن وهي من الابتدائية إلى الثانوية، وتدرس في المرحلة الثانوية باللغة الإنجليزية فقط، وتمنع أي لغة أخرى (أما بعد الاستقلال فقد أدخلت اللغة العربية ومادة الدين الإسلامي مرة في الأسبوع)، وبعض طلبتها هم من اللقطاء والأيتام الذين أخذتهم الكنيسة الكاثوليكية في عدن، ولها رسوم رمزية بالنسبة للآخرين. وبطبيعة الحال تدرّس بعض التعاليم المسيحية ضمن النشاط غير المنهجي، ولا تدرس أي دين آخر، بل وتحاول إغراء الطلبة المسلمين بالتحول إلى المسيحية بشكل غير مباشر.



صورة نادرة لمدرسة سانت جوزيف (البادري) بكريتر (أروى) حاليًا

وأنشأت الحكومة البريطانية مدرسة فوق جبل حديد في عدن وجعلتها مدرسة داخلية وهي مخصصة لأبناء السلاطين ومشايخ الجنوب. وهي سياسة ذكية حيث تأخذ أبناء المشايخ والسلاطين ويكونوا عندها كرهائن بحيث لا يستطيع

أي أحد من هؤلاء المشايخ أو السلاطين أن يثور على بريطانيا لأن أبنائهم موجودون لدى بريطانيا، وكانت هذه المدرسة للأذكياء منهم بمواصلة التعليم في بريطانيا. مخصوصة فقط لهذه الطبقة وهم معزولون تمامًا عن المجتمع ويدرسون من الابتدائية حتى الثانوية.



صورة نادرة لمدرسة السلاطين في جبل حديد

وعندما قامت حكومة عدن بافتتاح كلية عدن قام التاجر الفرنسي المشهور البس بافتتاح المعهد الفني في المعلا وهو معهد راقي يؤدي إلى أخذ الشهادة من بريطانيا سانت إنجلز ثم صار هذا المعهد كلية الهندسة فيما بعد.

ومن هذه الأسر المكاوية أسرة الشيخ عبد المجيد المكاوي الذي قدم خدمات جليلة لعدن وأعطته الملكة اليزابيث عند زيارتها لقب سير (KBE) (فارس الإمبراطورية) مع السيد أبو بكر بن شيخ الكاف الذي قام بتعبيد الطريق من الشحر إلى سيون لأكثر من مئتي كيلومتر على نفقته الخاصة كما قام بتهدئة

القبائل وأنفق عليهم أموالًا كبيرة، وقام بافتتاح عدة مدارس ومستشفى صغير أيضًا على نفقته الخاصة، وقد جلب كل ثروته الكبيرة من سنغافورة وأنفقها في هذه المشاريع الجليلة، فاعترفت بفضله حكومة بريطانيا.

ومن آل المكاوي الأستاذ عبد القوي حسن مكاوي ولد في كريتر عدن (١٩١٨-١٩٩٨) وتعلم في مدارسها. كان موظفًا كبيرًا في شركة البس وهو رجل إداري جيد، وفي الخمسينات في القرن العشرين قامت بريطانيا بإجراء انتخابات للمجلس البلدي في عدن، وكانت الانتخابات حقيقية، وكان يسمح لأبناء عدن فقط لدخولها، وبعدها سمحوا بالانتخابات للمجلس التشريعي الذي كان معيّنًا ويرأسه الحاكم الإنجليزي مباشرة، ثم بعد ذلك سمحوا لهم أيضًا بانتخاب رئيس المجلس بدلًا من الحاكم البريطاني، وبعدها سمحوا أن يكون من أبناء عدن رئيس وزراء، وانتخب عبد القوي مكاوي عضوًا لمجلس التشريعي سنة ١٩٥٩ ثم صار رئيسا للوزراء لفترة محدودة (من ٧ مارس ١٩٦٥ إلى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٥ أي فترة ٦ أشهر) خلفًا للسيد زين عبده باهارون وقد أقالت السلطات البريطانية الأستاذ عبد القوي مكاوي بسبب اختلافه معها، وانضم إلى الحركة الوطنية وصار رئيسًا لجبهة التحرير الوطنية، وغادر عدن مع كثير من السياسيين والمناضلين إلى القاهرة التي دعمت الثورة الوطنية في الجنوب.

في ٢٧ فبراير ١٩٦٧ قتل ٣ من أبناء عبد القوي مكاوي عندما انفجرت قنبلة في المنزل وتم الاشتباه بالجبهة القومية للتحرير. ونفت ذلك الجبهة القومية ولكن عبد القوي مكاوي نفسه اتهم الجبهة القومية في كتابه (شهادتي للتاريخ)، وبقي المكاوي إلى حين وفاته في القاهرة في ١٢ أغسطس ١٩٩٨.

بعض أساتذتي في المدرسة الابتدائية

قد درسني فيها عدا الأستاذ لطفي جعفر أمان (الذي سنذكره فيما بعد بشيءٍ من التفصيل) مجموعة من الأساتذة الفضلاء منهم الأستاذ بارحيم وكان شديد الأناقة وكان يلبس طربوشًا متميِّزًا، وكان يدرسنا اللغة العربية وغيرها، وكان لديه مسطرة غليظة يضرب بها من يخطئ، ومن مدرسينا الأستاذ حامد خليفة درسنا العلوم، وأذكر في السنة الرابعة الابتدائية أنه جاء بصور متعددة لمراحل تطور خلق الإنسان من قرد، وتدريس نظرية التطور لأطفال صغار أمر مربك لهؤلاء الصغار، وقد ذهبت إلى والدي اشتكي له ما قاله الأستاذ: هل صحيح أن أصل الإنسان من قرد؟ فقال الوالد ﷺ: كلا، إن الإنسان مكرم خلقه الله سبحانه وتعالى مباشرة من الطين وكرمه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ وقلت له: وماذا أفعل في الامتحان، قال: اكتب كما يقولون ولكن لا تصدقهم، وهذه أول مشكلة كنت أواجهها: اختلاف المعلم والوالد، واختلاف البيت والمدرسة، وهي معضلة لكثير من الطلبة أمثالي، وكان من الواجب أن لا تدرس هذه النظرية على الإطلاق؛ لأنها مثار جدل شديد، وإذا كان لا بد من تدريسها فيجب أن تكون في مراحل الثانوية العالية والجامعات؛ حيث يمكن مناقشتها وما فيها من أراء مصادمة للتصورات الدينية.

والغرض من تدريسها في العهد الاستعماري للأطفال، هو إخراج جيل مضطرب المفاهيم تمامًا، ولديه تشكك في المفاهيم الدينية. على أية حال لم تكن المدارس الحكومية تدرس مادة الدين في المراحل التعليمية إلا نزرًا يسيرًا، وكثير من الطلبة لم يكونوا يعرفون من الدين إلا أقل القليل، ولا يستطيعون تلاوة القرآن؛ بل وبعضهم لا يعرف كيف يصلي، وإذا لم يكن في البيت حاضنة يتعلم فيها الطالب الصلاة والشعائر الدينية وقراءة القرآن، فإنه لا يتعلم ذلك في المدرسة إطلاقًا.

وكثيرٌ من البيوت تهتم بتعليم أطفالها المبادئ الدينية الأولية وقراءة شيء من القرآن وعلى الأقل جزء عم، وبعض الأسر تهتم في تدريس أبناءها وبناتها القرآن والشعائر الدينية، وقد تذهب بهم إلى حلقات دراسة القرآن في المساجد القليلة التي تدرس القرآن، ويختلف هذا من أسرة لأسرة.

وقد درسنا في الابتدائية الأستاذ حامد محمد علي لقمان وهو من أسرة آل لقمان المشهورة والتي درسني منها عدد آخر سيأتي ذكرهم في المرحلة المتوسطة. ودرسني أيضًا الأستاذ إحسان الله ولم يكن حريصًا على التديّن. وقد درسني أيضًا الأستاذ مدّي عدة مواد ومن بينها الرياضيات وكان لطيفًا مع الطلبة.

المدرسة المتوسطة



المدرسة المتوسطة في صيرة والتي أطلق عليها فيما بعد مدرسة الأستاذ لطفي جعفر أمان الثانوية

قد دّرسنا بالإضافة إلى الأستاذ لطفي مجموعة من الأساتذة الفضلاء منهم الأستاذ عمر عبد العزيز الذي درس في جامعة القاهرة كلية الآداب وعاد ليدرسنا اللغة العربية، ومنه الأستاذ حسين دلمار (عدني من أصل صومالي) الذي درسنا اللغة الإنجليزية والذي صار فيما بعد أحد أصدقائي. والأستاذ إبراهيم محمد علي لقمان الذي درسنا الرياضيات وكان بارعًا فيها وفي تدريسها وكان محبًا للسادة ويناديني أحيانًا يا سيد وكنت أحبه كثيرًا.

ومنهم الأستاذ عبد الرحيم محمد علي لقمان خريج الجامعة الأمريكية بالقاهرة الذي كان مديرًا للمدرسة المتوسطة، وكان يدرسنا اللغة الإنجليزية وقواعدها كما كان يستعمل بكثرة اللهجة العدنية الدارجة المضحكة في توبيخ التلاميذ، ولم يكن يضرب أحدًا قط بل يكتفي بالأسلوب الساخر والنكتة العابرة. وأذكر أنه كان من بين الطلبة أحد أبناء السلاطين فغضب عليه الأستاذ عبد الرحيم ذات مرة بسبب أخطاءه المتعددة، وقال له باللهجة العدنية: أنت برنس! أنت برنس أوف جبرت (الجبرت هم فئة محتقرة يقومون بجمع الزبالة والقاذورات من المنازل)، فضحك الطلبة وكانوا يؤذون زميلهم أحيانًا بما قاله الأستاذ عبد الرحيم لقمان. وكان كثيرًا ما يؤنب الطلبة المشاغبين بقول لماذا تضرب ابني؟ ولماذا تعبث بطاولتي؟ ولماذا تشخبط كتابي؟

وكان من بين أساتذتنا أيضًا الأستاذ الشيباني الذي درسنا الجغرافية وكان شديد الاهتمام بالخرائط ويطلب من الطلبة أن يرسموا خرائط القارات وغيرها ويحاسبنا عليها حسابًا شديدًا.

وقد درسنا أيضًا الأستاذ هاشم عبد الله وهو عراقي الأصل وأستقر في عدن وتزوج من أحد بيوتات عدن المعروفة (بيت الباصهي). كان الأستاذ هاشم

أحد الذين اشتركوا في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، ووضع كتابًا بعنوان "جزيرة العرب تتهم حكامها"، وكان يدرسنا اللغة العربية ويتميز بهدوئه الشديد وبلاغته وخطه الجميل وقدرته على القصص بحيث كان يسحر الطلبة بقصصه الجميلة ويجعلهم منتبهين إلى ما يقول، وقد استمر لتدريسنا إلى المرحلة الثانوية في كلية عدن، وقد درسنا أيضًا الأستاذ عبدالله نور الدين مادة العلوم ومنها مادة الكيمياء عندما قام بتجربة في الكيمياء حصل تفاعل شديد وكادت أن تسبب حريقًا، ولكن بفضل الله لم يحدث أي ضرر. وكان أخوه حسن نور الدين قد التحق بالتدريس ودرس في المدرسة الابتدائية، ثم انتقل كلاهما إلى الإمارات وصار عبد الله نور الدين أحد رواد التعليم في الإمارات.

وكانت المدرسة المتوسطة جميلة ومطلة على بحر صيرة، وأمام المدرسة جزيرة صغيرة عليها جبل وفي قمة الجبل قلعة تاريخية منذ أيام الأتراك أو ربما قبل الأتراك لحماية الميناء، وكان مدرس الرسم يطلب منا أن نرسم تلك القلعة مع ساحل صيرة، وهناك جسر (كوبري) يصل بين صيرة وهذه الجزيرة فكان يعطي منظرًا بديعًا، وكنا ننزل في الفسحة مباشرة إلى الساحل، وفي أحد الفصول كنت بجانب النافذة المطلة على البحر وفجأة رأيت مجموعة من الدلافين تتراقص أمامي فشدّت انتباهي وأبعدتني عن الدرس تمامًا، حتى انتبه الأستاذ وصرخ بي ماذا تفعل؟ فقلت: ألا ترى هذه الحيتان تقفز وتتراقص أمامي؟ فقال: انظر إلى الدرس أهم.





قلعة صيرة كريتر عدن

وكانت تتميز المدرسة بملاعبها والمسابقات الرياضية وفرقها الرياضية، وفي آخر السنة كان هناك مسرح، وكان الطلبة يشتركون في التمثليات التي يقوم بإخراجها بعض الأساتذة المهتمين.

وكانت المدرسة تنظم رحلات إلى السواحل الجميلة ومن ضمن ذلك رحلة إلى البريقة (عدن الصغرى) حيث سواحلها الذهبية الجميلة، ونزل الطلبة للسباحة مع بعض الأساتذة، ولكن جاءت دوامات وأصابت الذين توغلوا في السباحة ولم يستطيعوا العودة، وكان هناك هرج ومرج ولم يكن هناك من يجيدون السباحة إجادة تامة حتى من الأساتذة، ولكن بفضل الله مر أحد اللبنانيين الموظفين في شركة المصافي أثناء بناءها ويبدو أنه بطل سباحة فأسرع بإنقاذ الطلبة، وبالفعل أنقذ مجموعة طيبة منهم، ولم نفقد أحدًا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل هذا السباح الماهر.

وفي سنة ١٩٥٣ نظمت الحكومة إحصاء سكاني لمستعمرة عدن واستخدمت المدرسين والطلبة لجمع المعلومات الإحصائية وكان يرأس مجموعتي الأستاذ حسن علي مليباري (وهي كيرالا في جنوب شرق الهند) وكان الأستاذ يسكن في نفس الحارة التي نسكن فيها وينظم الحملات لزيارة المنازل في الفترة المسائية حيث يكون الأهالي عادوا إلى منازلهم، وبالفعل سهرنا عدة ليالي حتى جمعنا المعلومات الوافية المطلوبة، وتمت مكافئة الأساتذة والطلبة بمبالغ رمزية تشجيعًا لهم على ما قدموه من معلومات.

وقد قامت المدرسة برفع أوائل التلاميذ من صف إلى صف أعلى إذا تميزوا في الامتحان الفصلي، وتم نقلي من الصف الأول المتوسط إلى الصف الثاني، حيث كان أخي أحمد يدرس في ذلك الفصل، وقد استطعت أن أتجاوز الفروق في دروس المواد المختلفة بسرعة وأن يكون ترتيبي الثاني في الفصل الجديد وأخي أحمد كان هو الأول، ولكني عانيت فيما بعد من عدم فهم النحو العربي بسبب فقدان عدة دروس نتيجة اختصار الفترة الدراسية، ورغم أني كنت متفوقًا في اللغة العربية ما عدا النحو، ولم أستطع التغلب على هذه المشكلة إلا فيما بعد عندما بدأت الكتابة والتأليف.

ومنذ دخولي المرحلة المتوسطة بدأت بقراءة كتب الأدب العربي وخاصة كتب الدكتور طه حسين بتشجيع من عمي محمد الذي كان مغرمًا بطه حسين، حتى أن بعض زملائي في المدرسة كانوا يسخرون مني، ويدعونني طه حسين.

وفي الفترة المبكرة أحببت قراءة الكتب المختلفة حتى أنني أهملت كرة القدم التي كنت أحبها وكرة التنس التي بدأت أتعلمها، وكل ما لدي من وقت أقضيه في القراءة، حتى المصروف اليومي كنت أقتصد منه حتى أجمع ما يكفي لشراء



الكتب، بل كنت أحيانًا أرفض الذهاب إلى السينما، وأطلب من عمي الآخر عبد القادر ثمن التذكرة لأشتري بها كتابًا، وفي الفترة المتوسطة قرأت معظم كتب طه حسين وعبد القادر المازني وتوفيق الحكيم وعباس محمود العقاد، وبدأت بقراءة أحمد أمين في كتبه العويصة، فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام ويوم الإسلام. وكتب ذكي مبارك وهي رسائل دكتوراة معقدة في الأدب العربي والتصوف والغزالي وغيرها، وكنت أفهم بعضها ولا أفهم الكثير منها، ولكني كنت أصر على قراءتها وإكمالها وإتمامها.

وكنت أسأل والدي عن ما أشكلَ عليّ فيقول لا أعرف الإجابة ولكن سيأتي السيد العلامة حامد المحضار فأسأله، وكان صديق الوالد وكان كثيرًا ما يأتي إلى بيتنا إلى جلسة الشاي في فترة العصر إذا كان في عدن. وبالفعل استفدت من السيد حامد المحضار في فهم الفرَق والمذاهب الإسلامية التي كان يذكرها الدكتور أحمد أمين في كتبه.

وأذكر سنة ١٩٥٤ طلبت منَّا إدارة المدرسة الاستعداد لاستقبال ملكة بريطانيا العظمى الملكة اليزابيث الثانية التي زارت عدن في تلك الفترة، فتعللت بأني مريض وذهبت إلى المنزل ورفضت أن أشارك في استقبال الملكة. مع ابتداء الوعي الوطني في تلك الفترة.

وعندما زرت عدن في بداية القرن الواحد والعشرين، وجدت المدرسة قد تهالكت مبانيها، ولكنها تحمل اسم الأستاذ لطفي جعفر أمان. وتم فصلها عن ساحل البحر بطريقٍ معبّد تمر فيه السيارات، وتحتاج المدرسة إلى ترميم أو إعادة تشييد بعد هذا الزمن الطويل.

كلية عدن



كلية عدن الشيخ عثمان في الخمسينات من القرن العشرين



مجموعة من طاقم كلية عدن من طلاب وأساتذة في الخمسينات



اعتمدت في كتابة هذا الفصل على ما بقي من الذاكرة ومن المحادثة مع بعض الزملاء القدماء وعلى موقع خريجي كلية عدن الذي قام به لفيف من خريجي الكلية على رأسهم الأخ العزيز الأستاذ الدكتور عبد الله السياري ومعه ثلة من الخريجين القدماء من أمثال الأخوة الأعزاء الدكتور شهاب غانم والأستاذ أشرف جرجرة.

http: //www.adencollege.info/html/body_runions1.html

وقد بدأ الموقع بذكر نبذة عن تاريخ عدن أخذها من موقع أسترالي مليء بالأخطاء فهو يذكر مثلًا أن عدن كانت مستعمرة مصرية قديمة ثم صارت مستعمرة رومانية قديمة ثم صارت مستعمرة حبشية قديمة ولم تكن لها أي صلة باليمن إلا بالقرن السابع بعد الميلاد أي بعد ظهور الإسلام بمئة سنة وهذا كله كذب وافتراء.

وقد ذكر الموقع أيضًا أن سلطان لحج وعدن قد تنازل عن عدن لبريطانيا، وهذا أيضًا كذب وافتراء، كما ذكر الموقع أن سكان عدن عندما دخلها القبطان هنس غازيًا سنة ١٨٣٩ كانوا حوالي ستمئة شخص من الصيادين الفقراء، وهذا أيضًا كذب وافتراء، لأنه يقول أن السكان قد زادوا من هذا العدد الضئيل إلى ٢٥ ألف خلال ثلاث سنوات فقط.

والواقع أن سكان عدن هربوا عندما هجمت بريطانيا بمدافعها الرهيبة على ميناء عدن (كريتر) واحتلوها ثم بعد أن استقرت الأمور عاد السكان إلى بلدهم.

ولن أطيل في تخرُّصات وأكاذيب هذا الموقع التاريخي التافه الذي تحدث عن عدن والذي أخذ منه خريجو كلية عدن هذا التاريخ المشوه وقد أوضحتُ تاريخ عدن في كتابي "عدن لؤلؤة اليمن " في ثلاثة أجزاء كاملة إصدار كنوز المعرفة جدة ٢٠١٢.

وقد كان النظام التعليم الحكومي في عدن أربع سنوات ابتدائية وسبع سنوات ثانوية تنتهي بأخذ شهادة الثانوية من جامعة كامبرج البريطانية، ولكن تم تغيير هذا النظام إلى أربع سنوات ابتدائية وثلاث سنوات متوسطة ثم أربع سنوات تنتهي بأخذ شهادة الثقافة العامة (G.C.E) من جامعة لندن، وبعدها سنتان للثانوية المتقدمة لدخول الجامعات في بريطانيا. وبناء على هذا النظام الجديد افتتحت كلية عدن وبدأت أول دفعة من الطلبة في سبتمبر ١٩٥٢. وكانت فكرة إقامة كلية عدن قد راودت السير برنارد رايلي الذي عمل في عدن في ثلاثينيات القرن العشرين كضابط سياسي ثم صار حاكمًا لمدينة عدن من سنة ١٩٣٧الى سنة ١٩٤٠، وسعى سعيًا حثيثًا لإقامة هذه الكلية التي كان يأمل أن تتحول إلى جامعة فيما بعد، وقد اختير لها موقع ملاصق لدار سعد التابعة لسلطنة لحج، وتقع في آخر حدود مستعمرة عدن، وقد خصص لها ٧٣ هيكتار Acre (فدان)، وطالت فترة المشروع حتى تم تنفيذه بالكامل عام ١٩٥٢ بإشراف وتوجيه مستر كريستوفر كوكس المدير التعليمي المسؤول في ذلك الوقت في عدن، وافتتحت رسميًا في ١٣ يناير ١٩٥٣ بواسطة السير كريستوفر كوكس وحاكم عدن السير توم هيكينبوثم.

وقد بنيت بشكل حديث وفيها مباني الدراسة والمختبرات وقاعة كبيرة للمحاضرات والاحتفالات وقاعة كبيرة للطعام وعشرات الملاعب المختلفة بما فيها ملاعب الكرة والتنس الأرضي والبادمنتن وكرة الطائرة ومساكن متعددة للطلبة الداخليين ومساكن للأساتذة المدرسين، وكانت مساكن الإنجليز فخمة تليها مساكن الهنود والمحليين.

كانت الامتحانات لدخول الكلية صعبة حتى ينتقوا الطلبة من كافة المدارس، كما خصصوا مقاعد للطلبة من المحميات الذين أُعطوا المساكن الداخلية.



وكان في الكلية مكتبة جيدة ومسجد كبير للصلاة وقاعة مسرح ومحاضرات، وكان الطلبة يدرسون يومًا كاملًا ويتناولون وجبة الغداء في الكلية، وخصصت فترة ما بعد الغداء لأداء الواجبات والأنشطة الرياضية والثقافية، وكانت الدراسة باللغة الإنجليزية ماعدا اللغة العربية وأدبها، وأما الدين فكانت دروسه ضئيلة ولم يكن فيه أي امتحانات.

وكانت الإجازة الأسبوعية يوم الأحد فقط وبالتالي كان على الطلبة والأساتذة المسلمين العرب أن يقيموا صلاة الجمعة في المسجد، وعادة ما يتولى أحد الأساتذة مثل السيد هاشم عبد الله أو الأستاذ إبراهيم روبلة (عدني من أصل صومالي) أوغيرهما إلقاء خطبة الجمعة كما كان يلقيها بعض الطلبة الكبار، مثل: قيس غانم وشهاب غانم وغيرهما. وقد ألقيت خطبة جمعة بعنوان "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " واعتبرت أن أكبر منكر هو الاستعمار ووجود بريطانيا في عدن ووجوب مقاومتها وإخراجها من عدن، وكانت خطبة الجمعة الوحيدة التي ألقيتها في حياتي.

وقد درّسنا في كلية عدن مجموعة من الأساتذة الفضلاء المحليين مثل: أستاذ لطفي أمان وهاشم عبد الله وعبد الله المحيرز وحسين الحبشي الذي كان بارعًا في التربية الرياضية وإبراهيم روبلة الذي صار فيما بعد أول مدير عدني لكلية عدن.

ومن البريطانيين مستر شربس الذي كان مدير الكلية والذي درسنا اللغة الإنجليزية أيضًا، وكان حريصًا على أن يقوم الطلبة يوم الجمعة بالصلاة بعد دراسة قصيرة في مسجد الكلية ويتتبعهم بنفسه، كما كان يلقي دعاءً كل يوم اثنين (لأن الإجازة الأسبوعية كانت يوم الأحد) وفي صباح كل اثنين يدعو الله

سبحانه وتعالى بدعاء أن يحفظ الكلية وطلبتها ويوجههم إلى الطريق المستقيم وإلى الأخلاق القويمة وإلى العلم النافع، وقد عرفنا أن والده كان قسيسًا ونشأ وهو متدينٌ ولم يكن يدعو إلى دينه قط بل يحرص على أن يتدين الطلبة كل بدينه. ومستر فوكس الذي درسنا الجغرافية، ومستر هنت الذي درسنا الرياضات وكان محبًا للعرب وكثيرًا ما يذكر إنجازاتهم في الرياضيات، ومستر ملر الأيرلندي الذي درسنا الكيمياء خمس سنوات وكان محبًا للعرب ويذهب إلى المطاعم العدنية ويجلس معهم وكانت زوجته أمينة المكتبة، على عكس أستاذ الفيزياء مستر رينولدز الذي درسنا الفيزياء والذي كان يكره العرب ويحتقرهم، ومستر كليفورد الذي درسنا تاريخ الإمبراطورية البريطانية ثلاث سنوات والذي بدأ أول يوم في التدريس بكتابة تحيا ويلز الحرة فصفقنا له تصفيقًا حارًا، ودرسنا اللغة والأدب الإنجليزي مستر ماكنيل ومستر لاودن، ومستر هول الذي تميز بخفة دمه وكثرة نكاته، وكان يتبادل النكات مع أحد زملائنا الطلبة أبو بكر عبد القوي خليل.

ودرَّسنا اثنان من الأساتذة الهنود المسلمين هما: الأستاذ نظير (نذير) وكان بارعًا في الرياضيات، والذي كان يردد الرياضيات ليست ألاعيب وشعوذة (Mathematics is not jugglery) والأستاذ شلوان الذي درسنا الأحياء، وفي السنة الأخيرة كان يأخذنا إلى بستان كمسري القريب من الكلية ومعنا مكروسكوبات صغيرة لندرس النباتات هناك.

كنت أحرص على الذهاب إلى المكتبة في أي وقت فراغ أجده، بالإضافة إلى حصة المكتبة الأسبوعية، وكثيرًا ما أتهرب من حصة الرياضة وكرة القدم وأذهب بدلًا عنها إلى المكتبة، وقد قرأت فيها كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي وهو كتاب ضخم وغير مسموح استعارته. وقرأته كله خلال سنتين.



حوادث في كلية عدن

وقد حدثت عدت حوادث في كلية عدن أهمها بالنسبة لي:

أعز أصدقائي في تلك الفترة حسن سعيد العمودي قد صدمته سيارة الأوتوبيس التي كنت فيها عند عودتنا من الكلية إلى منازلنا، وقد خرج من الأوتوبيس الذي يتقدمنا وقطع الطريق فصدمه الأوتوبيس الذي كنا فيه أنا وأخي، وكانت صدمة كبيرة لنا فهو صديق وجار لنا، وظللت فترة أزور قبره كل يوم تقريبًا وأقرأ له الفاتحة وما تيسر من القرآن، وكنت أشاهد شابًا يقف أمام قبر آخر أيضًا كلما جئت لأزور قبر صديقي، وقد عرفت فيما بعد أنه هو السيد عيدروس عبدو باهارون الذي فقد زوجته الشابة التي كان يحبها، وظل فترة طويلة يداوم على زيارة قبرها والدعاء لها، ثم تزوج أخوه الأصغر حسن باهارون من أختي أسماء وتوطدت العلاقة بين الأسرتين.

قام الطلبة الداخليون في كلية عدن بالإضراب بسبب رداءة الطعام الذي يقدم لهم وخاصة في شهر رمضان، ولم تسمع الإدارة شكواهم بل أرادت معاقبتهم، وكان قد استلم الإدارة مدير إنجليزي جديد هو المستر بورتشيس، وتضامن كثير من الطلبة مع زملائهم المضربين، وكنت أنا وأخي ضمن هؤلاء المتضامنين وأثرنا الصحافة المحلية ضد هذه الإدارة المتعجرفة وأضربنا نحن أيضًا عن الدراسة، وعندما هدأت الأمور أصر مدير المدرسة الإنجليزي على معاقبة الطلبة المضربين بالضرب ومنهم أخي أحمد، فرفض الوالد وبدأت مجموعة من الطلبة بالذهاب إلى مصر التي فتحت أبواب مدارسها لهم للدراسة فيها ومنهم أخي أحمد الذي غادر سنة ١٩٥٦ وكان أخي أحمد يقول عندما ذهبت إلى عدن حصلت الثورة ضد اليهود والحرائق والفوضى وعندما

ذهبت إلى مصر حصل العدوان الثلاثي على مصر، وتطوع للتدريب مع الطلبة الآخرين للمقاومة.

وكانت الحركة الوطنية قد اشتد عودها وكثرت الإضرابات العمالية والمظاهرات الوطنية ضد بريطانيا في عدن، كما قامت بريطانيا بمهاجمة رابطة أبناء الجنوب الذين هرب معظم زعمائها إلى مصر كما هاجمت النقابات العمالية التي كانت تقوم بالإضرابات المتتالية، وكانت الصحافة المحلية في تلك الفترة تشدد الهجوم على سياسة القمع البريطانية، وكان أبرز الصحفيين في تلك الفترة عبد الله باذيب وأخوه علي باذيب وصديقهما باخبيرة. ثم قامت الحكومة البريطانية في عدن بمحاكمة عبد الله باذيب وخرجت مظاهرات حاشدة ضد هذه المحاكمة، واضطرت المحكمة إلى السماح له بالسفر إلى صنعاء ومنها إلى روسيا.

واشتركت مع مجموعة من الطلبة في الكلية بإيجاد تيار مضاد للحكومة الاستعمارية في عدن ومنهم السيد عمر أحمد الشاطري وأبو بكر القربي ومحمد عاصم وغيرهم، وكنت أكتب العديد من المقالات في صحيفة الجنوب العربي وغيرها ضد السياسة الاستعمارية البريطانية باسم مستعار.

بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي على مصر من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، هاجت الجماهير وقامت في مظاهرات عدة واشترك فيها كثير من الطلبة، وعندما عادت إحدى المدمرات التي اشتركت بالحرب إلى ميناء عدن رتبت إدارة المدرسة زيارة هذه المدمرة للطلبة، وطلبتُ إذنًا بمقابلة قبطان المدمرة أو نائبه لأخذ حديث صحفي معه، وقد قمت بأخذ حديث صحفي طويل باللغة الإنجليزية مع نائب القبطان، عن هذه المعركة



وتفاصيلها، وكتبته في صحيفة حائطية في المدرسة (باللغة الإنجليزية)، وقد صدرت هذه الصحيفة بالتعاون مع بعض الزملاء مثل محمد عاصم وعمر الشاطري وأبو بكر القربي وغيرهم، وكان العدد كله هجومًا على السياسة الاستعمارية البريطانية، وقامت إدارة المدرسة بمنع الصحيفة وإزالتها.

ونشرت مقالًا طويلًا بعنوان " الحرية مسؤولية" في مجلة كلية عدن السنوية (١٩٥٧م) يصدرها الطلبة بإشراف إدارة الكلية، يتلخص المقال: في أن الحرية ليست بالإنفلات من الأخلاق والضوابط والأنظمة، بل الحرية هي شعور بالمسؤولية وكلما ازداد الشعور بهذه الحرية كلما ازدادت المسؤولية، وتبدأ هذه الحرية بالحرية الشخصية والانضباط الشخصي والأخلاقي. ثم تزداد لتشمل المسؤولية عن الأسرة وتتسع الدائرة لتشمل المسؤولية عن الوطن بأكمله، وفي الأفذاذ من الرجال والأنبياء والمرسلين تشمل البشرية كلها.

وللإنصاف فإن إدراة المدرسة كانت تسمح بانتخاب الطلبة الذين سيديرون المقصف وأنشطة المدرسة الأخرى، كما أن هناك جمعية عمومية للطلبة لمناقشة هؤلاء الممثلين للطلبة وتدربهم على النظام الديمقراطي.

كان طلبة الكلية من جميع الجنسيات من العرب والصومال والهندوس وبعض الفرس (البارسي) الزرادشت، وبعض اليهود وقليل من النصارى وكان الجميع يعيشون في جو ودي، وكان أحد أصدقائي من هؤلاء البارسي واسمه روسي هودي والا، وكان أبوه مديرًا لمكتب الصحة العامة Public Health وهو الدكتور هودي والا وله بيت جميل مطلّ على بحر صيرة، وكان يدعوني إلى هذا البيت عدة مرات. كما كان لي صديق من جوا (الهند) وهي منطقة استعمرها البرتغاليون وفرضوا على أهلها الكاثوليكية، وكان هو كاثوليكي أيضًا،

كما كان في الكلية اثنان من أبناء يهود عدن وكانوا زملاء لمحمد عاصم وأبو بكر القربي وأحمد جرجرة (وهم بعدي بسنتين)، وكانوا هم آخر من بقي من اليهود في عدن. وكانت مع مجموعتنا التي كنا نذهب بها إلى منزل هودي والا الزميل العزيز حافظ لقمان رحمه الله وهو ابن محمد علي لقمان (رائد الصحافة في عدن) والذي تخرج فيما بعد كطبيب وعمل في الإمارات العربية المتحدة، ولكنه للأسف توفي في حادث مروري وهو شاب في مقتبل العمر.

وفي السنة الرابعة كان علينا أن نتقدم لامتحان الشهادة الثانوية (الثقافة العامة) G.C.E التي تنظمها جامعة لندن، وفي تلك الفترة كان والدي قد سافر إلى مصر واستقر فيها، كما أن أخي أحمد قد سبقني للدراسة في مصر واستقر فيها كما أسلفنا، وكان عمي عبد القادر قد ذهب للعمل في السعودية، وكنت أنا مسؤولًا عن البيت والعمل، وترك لي والدي أن أسحب من البنك ما أحتاجه من المصاريف بالإضافة إلى ما يحوله لي عن طريق السلطان علي عبد الكريم (سلطان لحج السابق) كان يأخذ مبالغ من الوالد في مصر على أن يدفعها لي بالعملة الموجودة في عدن آنذاك (الشلينات المدعومة بالجنيه الاسترليني) وكنت أذهب إليه في قصره (البراق) المطلّ على البحر ساحل صيرة ولم تكن له حراسة، حيث كان قد أخرجه الإنجليز من السلطنة في لحد، وكان يقابلني ويعطيني بعض تحويلات الوالد، وأحيانًا أخرى يعتذر ويطلب مني الزيارة في وقت لاحق، وقد تتكرر الزيارات لأخذ المبلغ المحول من المال.

ولم يكن مسموحًا في مصر التحويل إلى الخارج، وكان الوالد يضطر إلى هذه الطريقة وهي أن يدفع الجنيهات المصرية لمن يحتاجها من أبناء الجنوب ثم يقوم هذا الشخص بدفعها في عدن لأقوم بمصاريف الأسرة (والدتي وأختين)، وفي هذه الفترة لم أهتم بالدراسة كثيرًا رغم استمراري في قراءة الكتب المختلفة،



مع كثرة خروجي مع الزملاء بعد العودة من الكلية إلى البحر، وكنا نتناول العشاء في مطاعم عدن المختلفة، وكانت من أسعد الأيام في فترة الشباب، ومن حسن حظي أن جاء والدي قبل الامتحانات بشهرين، وكانت سياسة والدي التشجيع وإبداء ثقته التامة بقدرتي على الحصول على أعلى الدرجات، فما كان مني إلا أن راسلت جامعة لندن وطلبت منهم إرسال كتب الأسئلة والأجوبة للمواد المطلوبة للدراسة، واختفيت عن أصدقائي لمدة شهر ونصف معتكفًا لدراسة هذه الكتيبات، ودخلت الامتحان ونجحت فيه بثمانٍ مواد فتم قبولي للدراسة في المستوى العالي.

في أثناء انتظار ظهور النتائج اشتغلت في أحد البنوك برغم أني لم أكن واثقًا بنجاحي، وأفادتني هذه التجربة حيث تعرفت على أنظمة البنوك إلى حد ما وبدأت بالاهتمام بالاقتصاد، وبعد أن ظهرت النتائج ودخلت الصف الخامس مع المجموعة التي ستذهب إلى دراسة الطب دخلت امتحان الثقافة العامة في الكيمياء التي لم أنجح فيها من أول مرة ومادة الاقتصاد، وعندما ظهرت النتائج قام مدرس مادة الاقتصاد باستدعائي لحضور بعض كلماته الموجهة إلى طلبته الذين لم ينجح منهم أحد وقال لهم: لي سنة كاملة أدرسكم هذه المادة ومع هذا خيبتم أملي ولم ينجح أحد منكم، وهذا الطالب -وأشار إلي- يدرس المواد العلمية ويُحضر لدراسة الطب ومع هذا نجح من أول مرة في الاقتصاد، وهذا عيب عليكم أن ينجح طالب لم يدرسه أحد في الاقتصاد وأنتم تدرسون طوال السنة ولا تنجحون. أرجو أن يكون هذا عبرة لكم شكرًا لك أيها الطالب النجيب، وأشار إلي وصافحني وانسحبت مسرعًا حتى لا يغضب عليّ طلبته. ونجحت أيضًا في مادة الرسم مع أني لا أجيدها كثيرًا، ونجحت في هذه المواد جميعًا،

وكنت أول من نجح في عدن في إحدى عشر مادة (في المستوى العادي) بفضل الله، ولكن جاء من بعدي صديقي أبو بكر القربي ونجح أيضًا في إحدى عشر مادة لكن بتقدير أعلى. ثم جاء بعده عصام غانم ونال إحدى عشر موضوعًا في المستوى العادي.

وقد قامت كلية عدن منذ افتتاحها في يناير ١٩٥٣ إلى ما بعد الاستقلال الذي تم في نوفمبر ١٩٦٧ بتخريج إحدى عشر دفعة من الطلبة بلغ عددهم أكثر من تسعمئة طالب (وهو عدد ضئيل بالنسبة لعدن والمحميات الذي يبلغ تعدادهم في ذلك الوقت حوالي مليونين ولم تكن هناك مدارس ثانوية حكومية تشبه كلية عدن وبالتالي فإن عدد المتخرجين من الثانوية والحاصلين على شهادتها لا يمثلون إلا شريحة صغيرة من الطلبة) ودرس كثير منهم في الجامعات المختلفة وصار منهم أطباء ومحامون واقتصاديون ووزراء ووكلاء وزارات.

وكان من زملائي مجموعة من أمثال الأستاذ عبد العزيز عبد الغني ﵀ الذي تولى رئاسة الوزارة في الجمهورية اليمنية عدة مرات، ومنهم صديقي العزيز الدكتور أبو بكر القربي الذي تولى وزارة التعليم العالي ثم الوزارة الخارجية، ومنهم صديقي العزيز الأستاذ عبد الله عقبة الذي تولى وزارة الثقافة كما كان مستشارًا لرئيس الجمهورية قحطان الشعبي، وتولى أخوه خالد عقبة منصبًا هامًا في الدولة (إدارة التعليم)، كما تولى صديقي العزيز الدكتور شهاب غانم منصب نائب وكيل وزارة الأشغال والمواصلات وعرضت عليه عدة مناصب أخرى واعتذر عنها إذ كان آنذاك يفكر في الخروج والهروب من النظام الشمولي المتحكم في الجنوب، وتولى زميلي الأستاذ عادل محفوظ خليفة وزارة العدل في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وتولى الزميل عبد القوي رشاد الشعبي



منصب الأمين الدائم للوزارة الخارجية بدرجة وكيل وزارة، كما تولى قريبه وزميلي وصديقي حميد الشعبي منصب وزير الزراعة ووزير التعليم، وتولى زميلنا أنيس حسن يحيى منصب وزير الإسكان ثم منصب وزير الثروة السمكية. تولى صديقي محمد الخادم غالب منصبًا وزاريًا في اليمن الشمالي، وتولى محمد علي هيثم الذي لم يكن في دفعتنا تولى منصب وزير الدفاع ثم منصب رئيس مجلس الوزراء، وتولى الدكتور عبد الله ناشر وزارة الصحة وقام بمجهودات كبيرة لتحسين الخدمات الصحية في الجمهورية الديمقراطية الشعبية ولم يكن من دفعتنا بل كان من الدفعات التالية.

وللأسف توقفت كلية عدن عن دورها في فترة ما بعد الاستقلال ثم تحولت إلى ثانوية للبنات ولم يعد لها ذلك الدور الهام في مجال التعليم كما كان متوقعًا لها.

أستاذي لطفي جعفر أمان



درسني الأستاذ لطفي جعفر أمان في المرحلة الابتدائية (السنة الرابعة)

ثم في المرحلة الإعدادية (ثلاث سنوات) ثم في كلية عدن الثانوية العالية (أربع سنوات).

أسرة آل أمان هي إحدى الأسر المكية التي هاجرت إلى عدن منذ فترة طويلة واستقرت فيها وصارت إحدى الأسر العدنية المعروفة والمرموقة. ولد الأستاذ لطفي بمدينة كريتر (عدن) في حافة القاضي بتاريخ ١٢ مايو ١٩٢٨م. وهي نفس الحارة التي ولدت فيها، وبيتنا قريب من بيت الأستاذ لطفي، كما أن الفنان أحمد بن أحمد قاسم ولد في نفس الحارة (حافة القاضي).

درس الأستاذ لطفي المرحلتين الابتدائية والمتوسطة (الإعدادية) في عدن ثم أكمل دراسة المرحلة الثانوية في الخرطوم والتحق بجامعة الخرطوم ونال دبلومًا في التربية، ثم عاد إلى عدن وصار أستاذًا في المدرسة الابتدائية للسنة الرابعة الابتدائية وذلك سنة (١٩٥١-١٩٥٢م) وهي السنة التي كنت فيها في السنة الرابعة.

وقد أذهلني وأذهل الطلاب برقته المتناهية وكان يحمل في جيبه من الحلويات والبسكويت ليعطي الطالب الذي يجيب إجابة صحيحة بعض هذه الحلويات، ولم يستخدم قط أي وسيلة عنف حتى العنف اللفظي أو التوبيخ الشديد بل كان في منتهى الرقة مع الطلبة، وهو أمر لم نتعود عليه من أساتذتنا السابقين الذين كانوا يستخدمون العنف اللفظي والضرب بالمسطرة أحيانًا أخرى.

وقد تميّز لطفي بتشجيع الطلبة إلى درجة أنه كان ينشر مواضيع الإنشاء التي يطلبها من الطلبة في إحدى الصحف المحلية تشجيعًا لهم، وأذكر أنه قد طلب من الفصل كتابة موضوع إنشاء عن الشخصية التي تعتبرها مثلك الأعلى،

فكتبت أن المثل الأعلى لكل مسلم هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن شخصية الرسول في الأفق الأعلى ومن الصعوبة احتذاؤها. وقد اخترت شخصية والدي كمثل أعلى لي، فَسُرَّ الأستاذ لطفي بذلك وتشجيعًا لي نشر هذا الموضوع في الصحيفة المحلية.

وكان الأستاذ لطفي يستخدم قدراته اللغوية والرسم في توضيح ما يريد إيصاله إلى الطلبة ومما أذكره جيدًا تصويره بالتمثيل والنبرات قصة أصحاب الجنة التي وردت في القرآن الكريم في سورة القلم ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وقص علينا الأستاذ لطفي ونحن مبهورون قصة هؤلاء النفر الذين ورثوا الجنة من أبيهم والذي كان يخرج نصيب الفقراء والمساكين عندما يجمع الثمار، فلما مات الأب اجتمع الأبناء وقرروا سرًا أن يحرموا الفقراء والمساكين من نصيبهم، وذهبوا يتخافتون فلما رأوها صدموا ووجدوها محروقة سوداء، فظنوا أنهم أخطؤوا الطريق ولكنهم تأكدوا أنها هي جنتهم التي أرسل الله عليها ليلًا ما جعلها محروقة كالصريم. فبدؤوا يتلاومون

يلوم كل واحد الآخر واعترفوا بخطئهم وعرفوا فضل أبيهم، ودعوا الله أن يبدلهم خيرًا منها بعد أن تابوا وقرروا أن لا يحرموا الفقراء من نصيبهم.

وقد أستطاع الأستاذ لطفي أن يفهمنا نحن الصغار هذه القصة الرائعة، وأن يصور لنا بصوته وحركاته كيف كانوا يدبرون وكيف كانوا يتخافتون ويهمسون، ويقررون حرمان الفقراء والمساكين من نصيبهم. وأن الله عاقبهم بحرمانهم من الجنة كلها. واستطاع الأستاذ لطفي أن يفهمنا شيئين، الأول: البعد عن الأنانية وعدم حرمان الفقراء من نصيبهم في الثروة الموجودة، وثانيًا: هذا التصوير الفني الجميل الرائع في القرآن الكريم.

وأذكر في مرحلة لاحقة وهو يدرسنا البلاغة (المرحلة الثانوية) قصة الخضر مع سيدنا موسى في قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧] فشرح لنا الأستاذ لطفي كيف جعل القرآن الكريم لهذا الجدار المتهالك إرادة حتى أنه أراد أن ينقض فأقامه الخضر وأعاده إلى وضعه الطبيعي لأنه يحتوي على كنز الغلامين اليتيمين في أهل قرية ظلمة يأكلون مال الأيتام.

وقد جعلني الأستاذ لطفي محبا للشاعر علي محمود طه وأشتري دواوينه منذ المرحلة المتوسطة كما جعلني أحب الرسم وشجعني على ذلك.

ودرسني الأستاذ لطفي في المرحلة المتوسطة اللغة العربية واللغة الإنجليزية التي كان أيضًا يتقنها إتقانًا تامًا، وفي الثانوية في كلية عدن درسني أيضًا الأدب الإنجليزي والتاريخ، ومن ذلك تاريخ الإمبراطورية البريطانية قبل أن يستلمها منه الأستاذ كليفورد الذي أتى من ويلز (بريطانيا) وكنت قد اقترحت على



الأستاذ لطفي تدريسنا الثورة الفرنسية لأنني كنت قد قرأت كتابًا كاملًا عنها فأعجبت بها، وبالفعل قام الأستاذ لطفي بالاتصال بالإدارة التي وافقت بعد شهر بتدريس الثورة الفرنسية، وهذا يدل على حكمة الأستاذ لطفي واستطاعته أن يقنع إدارة المدرسة وإدارة التعليم بالسماح بتدريس الثورة الفرنسية، وهذا يدل أيضًا على سعة أفق إدارة المدرسة والإدارة التعليمية في ذلك الوقت والتي كانت بيد الإنجليز.

وقد وجدت قصيدة رائعة للأستاذ لطفي عن هجرة السيدة زينب بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، والتي تعرضت فيها إلى اعتداء من أحد المجرمين فقال لطفي قصيدته بعنوان "**مصرع زينب بنت الرسول الأعظم**"

الليل ملتحفٌ بجبته المهيبة بالسواد
أحداقه العمياء تدفن في مغاورها الوهاد
فالبيد غرقى دلجة قد كفنتها بالحداد
أبـــنـــيـــتـــي.. يـــرعـــاك ربـــي
هذا نداء الشوق ملحاحًا يناديك قلبي
ستضاء يثرب كلها بالسعد إذ ألقاك جنبي
وتتوه في نظراتها الصحراء والظلم الرهيبة
شيء يجلجل في حناياها ويعصف كالرياح
شيء تحس لهوله ولجنبها وقع الرماح
هي لحظة وكأنما الصحراء إعصار ونار
الركب منفرط وضوضاء ومعركة تدار

هـــي لـــحـــظـــة والـــمـــوت
يـــضـــرب بـــالـــيـــمـــين وبـــالـــيـــســـار
مرقت غوايته الحقود بهبة الجاني "هبار"
يا رب! من؟ وانهدّ هودجها كما انهد النهار
وأريق أطهر ما يراق من الدماء على القفار
وينكفئ النبي على مدامعه الغزار
وتنوء بالحزن الثقيل مطية الليل البهيم
ويطل يوم لا جديد به تبلله الدموع
وكـــأنـــمـــا انـــتـــفـــض الـــنـــهـــار
لما أطل ملثمًا وكأنه شبح أغار
حسر اللثام مروعًا فإذا به الجاني هبار
أمـــحـــمـــد هـــــذه قـــنـــاتـــي
أحـــســـم بـــظـــبـــتـــهـــا حـــيـــاتـــي
أو فاعف عني يا رسول الله للإثم الجسيم
فاهتز روح القدس في أعطاف أكرم من كريم
وَسَخَا النبي بعفوه في لحظة الضعف العظيم

هذه القصيدة الرائعة تنبئ عن محبة لطفي للرسول ﷺ وآل بيته، واطلاعه على السيرة النبوية بصورة مذهلة.

وقد كانت زينب رضي الله عنها قد تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع وكان محبًا لها ومكرمًا لها رغم أنه بقي على دينه ولم يسلم، وبعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة خرج أبو العاص مع قريش في معركة



بدر (السنة الثانية من الهجرة)، وبقيت زوجته زينب في مكة، ووقع أبو العاص أسيرًا بأيدي المسلمين، ولما أرسل أهل مكة الأموال في فداء أسراهم أرسلت زينب في فداءه بقلادة كانت لها من أمِّها خديجة بنت خويلد، فتأثر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وقال لأصحابه الذين أسروه: «**إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردُّوا عليها مالها فافعلوا**»، فأطلقوا سراحه وردّوا مالها. وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد اشترط على أبي العاص أن يخلِّي سبيلها ويأذن لها بالهجرة إلى المدينة المنورة، فوفَّى بذلك.

وقد أنجبت السيدة زينب رضي الله عنها لأبي العاص ولدًا اسمه علي توفَّاه الله صغيرًا، وبنتًا اسمها أمامة وهي التي كان الرسول صلى الله عليه وأله وسلم يحملها على عاتقه في صلاته، ثم لما كبرت أمامة تزوجها الإمام علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة عليها السلام، ثم تزوجت بعد وفاته رجلًا آخر.

وأرسل أبو العاص زوجته زينب رضي الله عنها إلى المدينة المنورة وفي الطريق خرج عليها هبار بن الأسود وآخر اسمه نَافِع بن عبد قيس، فأخافها هبّار برمح له وهي في الهودج وتذكر الروايات أنّها كانت حاملًا فلمّا خافت أسقطت حملها.

وقد أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاحقًا سرية لقتل هبّار ونافع. وذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٨ / ١١ طبعة دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩) : "وأما هبار فكان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجرت فنخس بعيرها فسقطت من فوق بعيرها وأسقطت حملها ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه أعلن هبار إسلامه فقبل منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعفا عنه".

وأسلم أبو العاص بعد وصولها إلى المدينة وأقام فيها وبقيت معه في المدينة إلى السنة الثامنة للهجرة إلى أن توفيت ﵂ متأثرة كما يقال بحادثة الإسقاط.

وقد تأثر لطفي جعفر أمان بتيار الشعر الرومانسي في الأدب العربي عمومًا ومن خلال اطلاعه على أعمال ممثلي ذلك التيار أمثال علي محمود طه وإبراهيم ناجي والتيجاني يوسف بشير وشعراء المهجر وغيرهم تشبع بالقيم الجمالية والفنية للرومانسية وأخذ يتمثلها في شعره وبالذات في أعماله الشعرية الأولى (في ديوانه بقايا نغم). وقد شكل لطفي خلال فترة الخمسينيات والستينيات مع الفنان الراحل أحمد بن أحمد قاسم ثنائيًا فنيًا كان له دوره وتأثيره في نهضة الأغنية العدنية على وجه الخصوص والأغنية اليمنية بصورة عامة. وغنّى له معظم الفنانين في عدن واليمن مثل الفنان محمد مرشد ناجي (مواليد تعز) الذي اشتهر بأغانيه الوطنية والأغاني اليمنية بكافة فروعها وغنى الغناء الصنعاني والغناء اللحجي والغناء العدني وغيرها من الأغاني المختلفة وكانت له شعبية كبيرة وحاول أن يقدم الفن اليمني الأصيل لجماهيره العريضة، كما حاول أن يكتب تاريخ الموسيقى والأغاني اليمنية. ومن أغانيه المشهورة " عظيم الشأن يسَرْ لي مرادي " وهي أغنية دينية جيدة.

وغنى للأستاذ لطفي أيضًا الفنان محمد سعد عبد الله الذي كان له جمهور واسع محب لفنه وأغانيه. وممن غنى للأستاذ لطفي الفنان خليل محمد خليل والذي غنى أيضًا للأستاذ علي محمد لقمان وللأستاذ محمد عبده غانم الذي أسس معه ندوة الموسيقى العدنية سنة ١٩٤٩ وغنى له أول أربع أغنيات منها حرام عليك تقفل الشباك كما غنى له أغنيات أخرى، والغريب حقًا أنه كان مديرًا للسجن العام في عدن ومع ذلك اشتهر بأغانيه العدنية المحضة.

وكان للطفي دواوين شعرية كثيرة هي:

١. بقايا نغم / ١٩٤٨م /

٢. الدرب الأخضر / ١٩٦٢م /

٣. كانت لنا أيام / ١٩٦٢م /

٤. ليل إلى متى / ١٩٦٤م /

٥. إليكم يا إخوتي / ١٩٦٩م/

٦. إلي الفدائيين في فلسطين / ١٩٦٩م /

٧. موكب الثورة (ملحمة شعرية) / ١٩٦٩م /

وله مجموعتان من الأغاني العدنية هما: (ديوان "ليالي"، وديوان "أعيش لك")

وقد طبعت أعماله الكاملة في جزأين عام ١٩٩٧

ومن أشهر قصائده: قصيدة "يا بلادي".

"يا بلادي"

اقفزي من قمة الطود لأعلى الشهب
وادفعي في موكب النور مطايا السحب
واستقلي كوكبًا يزهو بأسنى موكب
فلقد مزقت عن نفسي كثيف الحجب
ولقد حطمت أصنام الدجى المنتحب
وهوى البرج على أوهامه والكذب
وانبرت بي في المدى أجنحة من لهب

تـزرع الأضـواء في جفن الليالي المتعب
وتنيل الجـدب مـن شؤبوبها المنسكب

***

يـا بـلادي لم أعـد أسـطـورة في الكتب
لم أعد من ألف (ليلة) ليلة من عجب
لم أعـد أنـقـاض مجد في ضمير الحقب
لم أعـد أدفـن دمـعـي في رغـام الغيهب
لم أعـد طيف خيال بـالـرؤى مختضب
أو أنينًا راعـف الجـرح بـصـدر مجدب
أو نشيدًا مخجلًا يضحك منه الأجنبي
أشرق المسعى فللنور شـذى مـن مطلبي
والسـنا يغمـر أفقـي وطريقـي الذهبـي

***

يـا بـلادي.. يـا نـداء هــادرًا يعصف بي
يا بـلادي.. يا ثـرى جـدي وابني وأبي
يا رحيبًا من وجـودي لوجود أرحب
يـا كـنـوزًا لا تـسـاويـهـا كـنـوز الـذهـب
اقفزي من ذروة الطود لأعلى الشهب
اقفزي.. فالمجد بسام السنا عن كثب
اقـفـزي.. فالمجد مـا دان لمـن لم يثب

***

يا بلادي كلما أبصرت (شمسان) الأبي
شاهقًا في كبرياء حرة لم تغلب
صحت يا للمجد في أسمى معالي الرتب
يا لصنعاء انتفاضات صدى في يثرب
يا لبغداد التي تهفو لنجوى حلب
يا لأوراس لظى في ليبيا والمغرب
يا لأرض القدس يحمي قدسها ألف نبي
يا لنهر النيل يروي كل قلب عربي
فأملاي كأسك من فيض دمائي واشربي
يا بلادي.. يا بلادي يا بلاد العرب

بالإضافة إلى شعر لطفي الرومانسي والعاطفي فإن له إسهامًا كبيرا في مكافحة الاستعمار والإشادة في الثورة ضد الإنجليز وله ديوان كامل في تأييد الثورة والكفاح بعنوان " موكب الثورة (وهو ملحمة شعرية) "، كما أن له ديوانا كاملا في تأييد الكفاح الفلسطيني ضد الصهاينة بعنوان " إلى الفدائيين في فلسطين ".

وأشاد بالثورة التي أطاحت بالحكم الاستعماري وله قصائد كثيرة عندما انتصرت الثورة على الاستعمار وانسحب الإنجليز من عدن ومنها القصيدة التالية (بلادي حرة) :

تجلى الصباح لأول مرة
وطار الفضاء طليقًا رحيبًا
بأجنحة النور ينساب ثرة

وقبلت الشمس سمر الجباه

وقد عقدوا النصر من بعد ثورة

وغنى لنا مهرجان الزمان

بأعياد وحدتنا المستقرة

وأقبل يزهو ربيع الخلود

وموكب ثورتنا الضخم إثره

تزين أكاليله ألف زهرة

وينشر من دمنا الحر عطره

ويرسم فوق اللواء الخفوق

حروفًا تضيء لأول مرة

بلادي حرة..

وله قصيدة أخرى بعنوان "المهرجان الأكبر" ألقاها بنفسه بصوته الرخيم وإلقائه الجميل وهي مسجلة كما ترونها:

https: / /www.youtube.com /watch?v=KDHrFADLcWQ

ورغم انتشار القصائد الوطنية للأستاذ لطفي إلا أن الجبهة القومية اتهمت لطفي في إحدى المراحل بالتجسس عليها وتم اعتقاله بالفعل وذلك قبل الاستقلال، ولكن بفضل الله عرف أحد تلاميذ الأستاذ لطفي وهو عبد الملك إسماعيل الذي كان أحد الأعضاء القيادين في الجبهة القومية فاعترض على ذلك وذهب إلى السجن وأخرج الأستاذ لطفي من السجن بعد أن مكث فيه شهرًا كاملًا، وقد تبين لهم أن تلك التهمة كانت باطلة.

وقد ذهبت أنا وأخي الدكتور أحمد علي البار لزيارة أستاذنا لطفي في الشقة التي كنا فيها قبل أن يسكنها لطفي وهي على ساحل صيرة لم يفتح لنا إلا بعد تردد والنظر في العين السحرية، ولمَّا فتح وجدنا الأستاذ لطفي حاملًا مسدسًا كبيرا (revolver) (فصحنا ما هذا يا أستاذ؟ فرد علينا: مش شايفين كل واحد ماشي بالبندقية والمدفع وأنا خايف أن يهجم علي واحد من هؤلاء الأوغاد) وهذا كان قبل الاستقلال بفترة وجيزة عندما احتدم الصراع بين الجبهة القومية وجبهة التحرير الوطنية.

ويقول د. أحمد علي الهمداني عن شعر لطفي السياسي والوطني: "الشاعر لطفي أمان المثقف ثقافة عالية لم يكن يتحرك مع هذه الأحداث تحركًا أعمى وإنما كان يعيش هذه الأحداث التي رآها قد غيرت في حاصل الوعي الوطني والاجتماعي في مجتمعه. ويقيني أن القناعة الصادقة هي التي جعلت هذا الشاعر يتفهم عن دراية ومعرفة أوضاع الحياة والناس في بلاده فأرسل قيثارته الشجية تردد أغاني الوطن وأناشيد الحب للإنسان والأرض، فالشاعر الكبير لا تحركه الأحداث وإنما هو يتحرك في داخل هذه الأحداث ويهبها من حرارة موهبته الحياة التي تعبر عن صدق الوطن وعمق الوطنية".

ومنها قصيدة يا مزهري الحزين:

يا مزهري الحزين؟
من يرعش الحنين؟
إلى ملاعب الصبا.. وحبنا الدفين؟
هناك.. حيث رفرفت
على جناح لهونا

أعذب ساعات السنين..

يا مزهري الحزين

يامزهري الحزين

الذكريات.. الذكريات

تعيدني في مركب الأحلام للحياة

لنشوة الضياء في مواسم الزهور

يستل من شفاهها الرحيق والعطور

وبعد هذا كله

في صحوة الحقيقة

ينتفض الواقع في دقيقة

يهزني

يشد أوتادي إلى آباري العميقة

يشدها.. يجذب منها ثورتي العريقة

ويغرق الأوهام من مشاعري الرقيقة

ويخلق الإنسان مني وثبة وقدرة

عواصفا وثورة

هنا.. هنا

إذ زمجرت رياحنا الحمراء

تقتلع القصور من منابت الثراء

وتزرع الضياء

وتغدق الغذاء.. والكساء والدواء



على الذين آمنوا بأنهم أحياء
وخيرة الأحياء
في الحقل..
في المصنع..
وفي كل بناء
يا مزهري الحزين
يا مزهري الحزين
يا مزهري الضعيف
ما عاد شعبي ينسج الأوهام في لحن سخيف
عن قيس ليلى... (روميو جوليت)..
أسماء كثيرة
دبت.. دبيب النحل في أسفارنا المثيرة
دبت بنا بحملة الأفيون في سفن خطيرة
كي توهم الدنيا بأنَّا أمة الوهم الحقيرة
لكننا.. يا مزهري المحزون..
يا ضعيف
نبني.. نحيلك أنت من وترٍ حريريٍّ رهيف
مستضعف باك..
إلى وثب.. إلى ضرب عنيف
كي يشهد المستعمرون بأننا حقًا نخيف
لا لا لن نخاف

أو أن نموت مع الضعاف
اسمع إذا مني
ووقع لحن قصتي الجديد
وابعث به في مركب الشمس العتيدة للخلود
اسمع.. أنا من قبل قرن أو يزيد
قرن وربع القرن بل أكثر من عمري المديد
كانت بلادي هذه ملكي أنا
ملكي أنا
خيراتها مني ومن خيراتها أحيا أنا
كانت وما زالت
وهذي قصتي فانصت لنا
في ليلة مسعورة موتورة الظلماء
أوفت إلى شواطئي مراكب الأعداء
يقودها القبطان هنس إنجليزي حقير
يقرصن البحر الشهي
وجيفة من الضمير
هذا الحقير
أرسى هنا
ومد عينيه إلينا في اشتهاء
ونسج المزاعم النكراء في دهاء
مدعيًا أن جدودي هاجموا سفائنه

ونهبوا خزائنه
وأننا بكلمة غريبة قراصنة
تصوروا.. نحن إذا قراصنة
وهكذا انداح له الغزو إلى أقصى الحدود
ودنس البلاد بالجنود والنقود
وبذر القلاقل
وفرق القبائل
ولملم الدجى على أطرافه يصول
يمد من أطماعه مخالب المغول
لكننا على المدى
منذ احتلال أرضنا كنا يدًا
يدًا تصافح الرفيق في الكفاح لا العدا
وقطعة الرغيف
والمبدأ الشريف
زادان كانا كافيين للبقاء
فنحن شعب لا ينال الضيم منا ما يشاء
هاماتنا فيها من الشمس بريق الكبرياء
لا نعرف الدموع
إلا وأن نحيلها دماء
تعلو على ضفافها بواسق الإباء
وكلما مرت بنا أعوامنا الطويلة

نغرس من ثورتنا بذورنا الأصيلة
في كل جيل صاعد يؤمن بالضياء
بالأرض بالمعول بالسلاح بالبناء
ومن هنا تصلبت عقيدة السلاح
ونحن منذ خلقنا نعرف ما معنى السلاح
نعرفه ونرضع الأطفال منه للكفاح
ونصنع الرصاص من مرارة الألم
وننتشي نرتقب الفجر الجديد في شمم
حتى بيوتنا التي طلاؤها الغبار حيث عم
ترمي على سيمائنا ظلالها وتبتسم
وانتفض الزمان
دقت السويعة الأخيرة
فاندفعت جموعنا غفيرة غفيرة
تهز معجزاتها في روعة المسيرة
وجلجلت ثورتنا تهيب بالأبطال
الزحف يا رجال
الزحف والنضال
فكلنا حريه تحن للقتال
وهكذا تفجر البركان في ردفان
ورددت هديره الجبال في شمسان
وانطلقت ثورتنا ماردة النيران



تضيء من شرارها حرية الأوطان
وتقصف العروش في معاقل الطغيان
وتدفع الجياع في مسيرة الإنسان
يشدّهم للشمس نصر يبهر الزمان
وهكذا تبددا
عهد من الطغيان لن يجددا
وحلقت على المدى
ثورتنا تهتف فينا أبدا
يا عيدنا المخلدا
غرد
فإن الكون من حولي طليقا غردا
غرد على الأفنان في ملاعب الجنان
الشعب لن يستعبدا
الشعب لن يستعبدا
قد نال حريته بالدم والنيران
وقتل القرصان

وعاش لطفي حياة حافلة مليئة بالأحداث متأثرًا ومؤثرًا فيها رغم قصر حياته، ووفاته في سن النضوج (٤٣ سنة).

وقد شغل لطفي بعد تخرجه من الجامعة وعمله بالتدريس عدة وظائف في مجال التربية والتعليم، فقد عمل محاضرًا في مركز تدريب المعلمين ومفتشًا في المدارس، فضابطًا للمعارف ومسؤولًا عن المطبوعات والنشر،

فمديرًا للتربية والتعليم ثم وكيلًا لوزارة التربية والتعليم حتى وفاته. والى جانب عمله في التربية والتعليم فقد عمل كمذيع في إذاعة عدن عند تأسيسها.

وفي الفترة الأخيرة من حياته عانى لطفي من المرض فنقل إلى القاهرة للعلاج غير أنه توفي في ١٦ديسمبر ١٩٧١في مستشفى القوات المسلحة بالمعادي في القاهرة، رحمه الله رحمة الأبرار.

الشاعر الملهم الوطني عبد اللّه هادي سبيت (١٩٢٠-٢٠٠٧)





لقد تعرفت على الشاعر المرهف والمكافح والمجاهد الأستاذ عبد الله هادي سبيت لأول مرة عن بعد عندما كان الشاب الصغير محمد صالح حمدون يغني قصيدته يا شاكي السلاح في دار سعد التي كانت تتبع حكومة لحج في ذلك الوقت (عام١٩٥٥) وكانت الجماهير تذهب من مستعمرة عدن إلى دار سعد المجاورة لها لتحضر هذه الحفلات الوطنية والتي أججت الثورة في أنحاء الجنوب والتي أشادت بالثورة الجزائرية وتضحياتها وبطلتها جميلة بوحيرد، ثم التقيت بعد ذلك بالشاعر المرهف في القاهرة عندما ذهبت لدراسة الطب، وأعجبت به إعجابًا شديدًا لرقته ودماثة خلقه وروحه الوطنية الوثابة وشاعريته الرقراقة وتدينه وتقواه وحبه للرسول ﷺ وآل بيته.

ثم التقيته في جدة بعد أن هاجر إليها مع وفد الرابطة التي استقرت فيها لفترة حتى السبعينات من القرن العشرين، ثم عاد إلى عدن ومن ثم سافر إلى تعز واستقر فيها وتزوج وأنجب ابنًا وعانى من شظف العيش مع عزة نفسه.

وقد كرمته وزارة الثقافة بدرع صنعاء عاصمة الثقافة العربية وكرمته مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة ومحافظة تعز.

مولده وبداية حياته

وقد ولد في حوالي ١٩٢٠ في مدينة الحوطة عاصمة محافظة لحج ترعرع وتلقى تعليمه في مدينته، أكمل الإعدادية التي كانت أعلى مرحلة دراسية في ذلك الوقت ودرس عند شيوخ الدين القرآن الكريم وشيء من الفقه، واطَّلع على الآداب العربية القديمة والمعاصرة بقراءاته وجلساته مع الأدباء، وقد تأثر بصورة خاصة بالقمندان الأمير أحمد فضل العبدلي في شعره وأدبه.

وعمل مدرسًا وعُين في دائرة المعارف وشغل بعض المناصب في سلطنة لحج، ثم هرب إلى اليمن الشمالي عندما هاجمت حكومة بريطانيا رابطة أبناء الجنوب ومنعت السلطان علي عبد الكريم من العودة إلى وطنه وعزلته عن الحكم وهاجمت اتجاهاته الوطنية، وثم هاجر إلى مصر كما فعل كثير من أعضاء الرابطة.

شارك في النضال ضد الاستعمار بشعره الوطني الوثاب الذي التفت حوله الجماهير وغنت أناشيده مع من غناها ومثالها قصيدة يا شاكي السلاح:

يا شاكي السلاح شوف الفجر لاح
حط يدك على المدفع زمان الذل راح
هذا الغير سيد وحنا له عبيد
يا من مات يهناله من القهر استراح
هذا الماء سال هذا الغصن مال
هذا الزهر يتنسم على ضوء الصباح
أرضي والنبي ويل للأجنبي
ديني يأمرني أن أحمل السلاح
إلى آخر القصيدة

وقد غناها محمد صالح حمدون لشاب الصغير آنذاك، ثم غناها أحمد يوسف الزبيدي وعبد الكريم توفيق وفضل محمد اللحجي وفيصل علوي.

وقد بدأت موهبته في كتابة القصائد الغنائية وصياغة الألحان في الأربعينيات من القرن العشرين، وهو يعد من أكبر الشعراء في لحج بعد القمندان أحمد فضل العبدلي.

وله عدة دواوين شعرية وهي:

- الدموع الضاحكة (١٩٥٣).
- مع الفجر (١٩٦٥)
- الظامئون إلى الحياة.
- الفلاح والأرض.
- أناشيد الحياة (١٩٦٨).
- مسرحية الوضوء (١٩٧٤)
- رجوع إلى الله (١٩٨٧).

وقصائده تحتوي على الشعر الوطني والشعر الغزلي والاجتماعي، مع روح صوفية هفافة ومثال شعره الاجتماعي والغزلي قصيدة بانجناه وهي تتحدث عن جني القطن الطويل التيلة الذي زرع في لحج وأبين ضمن مشروع اقتصادي وزراعي، اهتم به السلطان علي عبد الكريم سلطان لحج والسلطان محمد بن عيدروس ابن سلطان يافع السفلى، والذي قام فيما بعد بحرب وطنية ضد الإنجليز.

وقد اهتمت سلطنة أبين بمشروع القطن وكانت هي البادئة فيه وتبعتها سلطنة لحج ويافع السفلى، وهو أكبر المشاريع الزراعية الناجحة في المنطقة، والتي أدت إلى إقامة محالج قطن كبيرة وتصدير هذا القطن الجيد النوعية إلى بريطانيا، واستفادت المنطقة وانتعشت أحوالها، وأصبح موسم جني القطن موسمًا شعبيًا وخاصة بعد أن وضع عبد الله هادي سبيت قصيدته المشهورة بانجناه والتي غناها فضل محمد اللحجي وعبد الكريم توفيق وأحمد يوسف

الزبيدي وفيصل علوي وكان أفضل من غناها الفنان والإذاعي القدير الأستاذ عبد الرحمن باجنيد رحمه الله (الذي انتقل إلى هولندا بعد وصول الحكم الشيوعي وتولى هو وصديقه محمد عمر بلجون القسم العربي في إذاعة هولندا)

وإليك بعض مقاطع هذه القصيدة التي مزجت الاحتفال بجني القطن مع الغزل الرقيق مع الاهتمام بمشروع اقتصادي زراعي هام جدًا في هذه المنطقة والذي رفع مستوى المعيشة للمواطنين وأوجد العديد من فرص العمل:

بانجنـــاه من غصنه / واهابوي من حسنه / يشفي القلب من حزنه بانجنى الذهب الأبيض / لا يـــدوَلْ ولا يأرَضْ ... إلى آخر القصيدة.

https: / /www.youtube.com /watch?v=fjD3zZeVuPo

وهو من الشعراء الغنائيين الذين جدَّدوا في الأغنية اليمنية، وتميزت أشعاره بالنزعة الوطنية ومقارعة الظلم والاستعمار وإسهاماته الكبيرة في مرحلة النضال ضد الاستعمار البريطاني في الشطر الجنوبي من اليمن، ومن خلال قصائده الوطنية التي تغنى بها كبار الفنانين كان يسهم في تأجيج حماس الجماهير للنضال ضد المستعمر، كما أن له قصائد عكست مواقفه القومية مع ثورة الجزائر والثورة المصرية.

ساهم في عام ١٩٥٧ في تأسيس ندوة الموسيقى اللحجية كأول عمل مدني مؤسسي للاهتمام بالأغنية.

وهو إلى جانب كونه شاعرًا فإنه أيضًا ملحن موسيقي وقد غنى من ألحانه عدد كبير من الفنانين في لحج وعدن وتعز.

ومن شعره الديني قصيدة:

تـفـكـر.. فـفـي التفكير خـيـر عـبـادة
سمعنا وصلينا بقلب سما زهـدًا
إلى من أتى بالنور كي يكتب السعدا
سمعنا وآمـنـا بـمـا جـاء وارتــوت
مـداركـنـا حـتـى انـتـفـعـنـا بـه جـدًا
وعـشـنـا مـع الـمـخـتـار مـع آلـه مع
الصحابة والأنصار من حفظوا العهدا
رأينا الـذي قد كـان منهم ومـا جرى
وكيف يزيل الصبر ضـرًا إذا اشتدا
رأيـنـا رجـالًا إن بـدا نـور أحمد
وجدت نفوس الكل قد أصبحت جندًا
وكـم نشروا الرعب المميت لكافر
تخطى حـدود الله بالكفر فانهدا
..... إلـى آخـر القصيدة الرائعة

هذا ملخص سريع لحياة الشاعر الملهم المناضل والزاهد المتبتل إلى الله عبد الله هادي سبيت رحمه الله رحمة الأبرار.



الفصل السادس
الأديان

الإسلام في عدن واليمن

أسلم أفراد من أهل اليمن منذ فترة مبكرة ثم تبعهم الأوس والخزرج (من قبيلة آل جفنة وهم من الغساسنة الذين استوطنوا الشام وصاروا نصارى تبعًا للدولة الرومانية البيزنطية) وأهل يثرب (المدينة المنورة) هم من أهل اليمن فأسلموا وهاجر إليهم الرسول ﷺ وصارت عاصمة الإسلام المدينة المنورة. ومناقب الأنصار رضي الله عنهم لا تعد ولا تحصى لكثرتها ويكفيهم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩].

إرسال خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب إلى اليمن

ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن فمكث فيها ستة اشهر يدعوهم إلى الله فلم يسلم منهم أحد، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمر خالدًا بالعودة إلى المدينة، وهذه الحادثة قد رواها البيهقي في دلائل النبوة وابن القيم في زاد المعاد وغيرهما، "عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (بعث

رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أبي طالب وأمره أن يُقْفِل خالدًا (يرجعه ويردّه)، وقال: مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقّب معك فليعقّب ومن شاء فليقبل. قال البراء: فكنت فيمن عقّب (بقي) مع عليّ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا فصلى بنا علي، ثم صفنا صفًا واحدًا، ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعًا، فكتب عليّ إلى رسول الله بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرَّ ساجدًا، ثم رفع رأسه فقال: «**السلام على همدان، السلام على همدان**» ويروى عن سيدنا علي أنه قال عند إسلامهم: «**ولو كنت بوابًا على باب جنةٍ لقلت لهمدان ادخلي بسلام**»، وفي رواية أخرى: «**ولو كنت رضوانا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام**». ثم تتابع أهل اليمن علي الإسلام، وقدمت وفودهم إلى المدينة المنورة، وكانً ذلك في رمضان السنة العاشرة الهجرية.

وأرسل الرسول صلى الله عليه وأله وسلم إلى باذان وهو حاكم صنعاء فأسلم باذان ومن معه وأقره الرسول على حكمه. وباذان هو من الأبناء، أي من أبناء الفرس الذين جاؤوا مع سيف ذي يزن عندما طرد الحبشة وتزوج هؤلاء الفرس من اليمنيات وأنجبوا منهن أبناء ومنهم باذان الذي أسلم وحسُن إسلامه.

وأسلمت قبيلة خولان العالية بأكملها مثلما أسلمت قبيلة همدان وتنافسوا بالخير والمسارعة إلى الإسلام، وكذلك فعلت كثير من قبائل اليمن ومن قبيلة خولان ظهر أبو مسلم الخولاني الذي كانت له كرامة عظيمة حيث أدخل النار وخرج منها سالمًا وإليك مختصرًا في سيرته.

العلاء بن الحضرمي

هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن الحضرمي، كان أبوه قد سكن مكة وحالف "حرب بن أمية " والد أبي سفيان، وكان للعلاء عدة أخوة منهم "عمرو" الذي كان مشركًا وقتل في بدر. وقد أسلم العلاء قديمًا في مكة المكرمة وكتب القرآن وعُرف بالشجاعة والإقدام والورع والإيمان العميق وكان صاحب إرادة قوية وبصيرة وبُعد النظر ومعرفة بالرجال والرغبة الشديدة في خدمة الإسلام، وله كرامات كثيرة سيأتي ذكر بعضها. وفي السنة الثامنة للهجرة بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلاء بن الحضرمي ومعه أبو هريرة يؤذن له إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى (والبحرين قديمًا تطلق على المنطقة الواقعة ما بين الكويت إلى رأس الخيمة وإلى الأحساء) فأسلموا وبقي عليهم واليًا ثم عاد إلى المدنية، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منعوا الزكاة في خلافة أبي بكر الصديق، فأرسل العلاء بن الحضرمي فأخضعها وأعادها إلى دائرة الإسلام، فعن عروة بن الزبير قال: وبعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي في جيش من المسلمين إلى أهل البحرين وكانوا قد منعوا الجزية، وبعث أبو بكر إليهم حين منعوا حق الله في أموالهم فسار إليهم وأخضعهم. (أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد).

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام العلاء بعبور البحر ودعا الله سبحانه وتعالى بدعاء: يا حليم! يا حكيم! يا علي! يا عليم! (قالها ثلاثا). فعبر هو وأصحابه البحر على خيولهم وجمالهم لمقاتلة الفرس في اصطخر وكان معه خليد بن المنذر بن ساوي والجارود بن المعلى وسوار بن همام، فأمرهم على الجند وعبرت الجنود من البحرين إلى فارس، وقيل في إحدى الروايات أن أهل

فارس تمكنوا من قطع خطوط رجعة المسلمين، فقام خليد في الناس فخطبهم وهاجموا الفرس وقاتلوهم قتالًا شديدًا بمكان يدعي طاؤوس فقتل سوار والجارود، وقتل من أهل فارس أعداد غفيرة، ثم خرج المسلمون يريدون البصرة فلم يتمكنوا من الرجوع إلى البحر، واضطروا بسبب تفوق الفرس العددي الساحق، أن يعسكروا ويتحصنوا، ولما بلغ عمر بن الخطاب ﵁ عزله وفي عدة روايات أخرى لن يعزله بل أراد أن يوليه البصرة، فلما سار إليها وافته المنية.

(مصنف ابن أبي شيبة والمجالسة وجواهر العلم الدينوري)

كان أبو هريرة يقول أحب في العلاء بن الحضرمي ثلاث خصال:

١- قطع البحر.

٢- دعا الله في الدهناء (الصحراء) نبع لهم ماء فارتووا.

٣- نسي رجل منهم بعض متاعه فرد فلقيه.

ومات العلاء وهم في الصحراء فدفنوه في الرمل وخاف بعضهم أن يفترسه حيوان فرجعوا فلم يجدوه. واختُلف في سنة وفاة العلاء حيث قال بعضهم: سنة ١٤ هـ، وقال بعضهم: سنة ٢١هـ، رضي الله عن العلاء صاحب رسول الله وصاحب الكرامات الكثيرة.

أبو مسلم الخولاني

أبو مسلم الخولاني اختلف في اسمه ولكن أشهر أسمائه: عبد الله بن ثوب، ولد في اليمن وعرف بلقبه أبو مسلم الخولاني، وأسلم في آخر أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو من قبيلة خولان العالية إحدى أشهر قبائل اليمن التي أسلمت بكاملها مع همدان وغيرها من قبائل اليمن، وقد ظهر

الأسود العنسي في آخر أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وادَّعى النبوة واستطاع أن يكتسب الأنصار وأن يحتل صنعاء من باذان الذي أسلم وأقره الرسول على حكم صنعاء، وعندما ادَّعى النبوة وازداد سلطانه في اليمن على هذه الضلالة رفض عبد الله بن ثوب (أبو مسلم الخولاني) التسليم بنبوته وقد سأله العنسي وكرر ثلاث مرات أن يشهد بنبوته فظل متمسكًا بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأشعل العنسي نارًا كبيرةً وعظيمةً ورماه فيها ثلاثة أيام خرج بعدها أبو مسلم الخولاني سليمًا ولم يحترق، وعندما رأى العنسي هذه الكرامة التي أكرم الله عزَّ وجلَّ هذا المؤمن خاف على سلطانه وأمر أبا مسلم بالخروج من اليمن فرحل قريرًا سعيدًا بإيمانه العظيم واتجه صوب المدينة المنورة لينعم برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجده قد توفي قبل أن يصل إليه. وعندما دخل المدينة المنورة دخل المسجد النبوي ليصلي ويصلي عند سارية في المسجد، فلمحه عمر بن الخطاب ﵁ وذهب إليه يسأله: ممن الرجل؟

فرد عليه: من اليمن.

فسأله: ما فعل الذي أحرقه الكذاب بالنار؟

فرد قائلًا: ذاك عبد الله بن ثوب (وهو الاسم الحقيقي لأبي مسلم)!

فقال سيدنا عمر: أنشدك بالله أأنت هو؟

فرد الرجل: اللهم نعم.

فاعتنقه عمر وبكى ثم ذهب به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق ﵄ وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الله ﵇...".

تولى عمر ﵁ بعد وفاة أبي بكر مباشرة، وطلب أبو مسلم الخولاني من عمر ﵁ أن يرسله إلى الشام غازيًا فأرسله.

ذهب مع المجاهدين في غزو الروم وكانت له كرامات كثيرة ومنها أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر فقال: أجيزوا بسم الله ويمر بين أيديهم، فيمرون بالنهر الغمر فربما لم يبلغ من الدواب إلا الركب، فإذا جازوا قال: هل ذهب لكم شيء؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامن له فألقى بعضهم مخلاته عمدًا فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت، قال: اتبعني فاتَّبعه، فإذا بها معلقة بعود في النهر، قال: خذها.

ومن كراماته: أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق، فقال: هل عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غزلا. قال: ابغينيه وهاتي الجراب، فدخل السوق فأتاه سائل وألح، فأعطاه الدرهم وملأ الجراب نشارة مع تراب وأتى وقلبه مرعوب منها، وذهب ففتحته فإذا به دقيق حوارى. فعجنت وخبزت فلما جاء ليلًا وضعته، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق، فأكل وبكى.

أخذ العلم عن عمر بن الخطاب وعبادة بن الصامت وعوف بن مالك الأشجعي ومعاذ بن جبل وأبي عبيدة الجراح وأبي ذر وغيرهم...

وأشهر تلاميذه: عطاء بن أبي رباح وإبراهيم بن عليّة وجُبير بن نُفير وحرام ابن حليم الدمشقي وشرحبيل بن مسلم الخولاني وصخرة بن حبيب وعبد الله ابن عروة بن الزبير

وكان كثير الصلاة وكثير الصيام مجاب الدعوة واستشهد أثناء إحدى المعارك في غزوهِ للروم سنة ٦٢ هـ ونقل جثمانه إلى داريا بالقرب من دمشق التي توطنها وقبره فيها معروف

ذكره ابن سعد في "الطبقات" في الطبقة الثانية وقال: "كان ثقة توفي زمن يزيد ابن معاوية".

"تهذيب الكمال" للمزي.

كتاب الزهري.

وائل بن حجر الحضرمي

ومن رجال اليمن الذين أسلموا ومدحهم صلى الله عليه وآله وسلم وائل بن حجر الحضرمي وهو من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم. وفد على رسول الله وكان رسول الله قد بشر أصحابه بقدومه قبل أن يصل بأيام، وقال: يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعًا راغبًا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك.، فلما دخل عليه رحب به وأدناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له رداءه وأجلسه عليه مع نفسه، وقال: اللهم، بارك في وائل وولده. واستعمله النبي على الأقيال من حضرموت وأقطعه أرضًا، وشهد مع علي صفين، وكان على راية قبائل حضرموت يومئذ.

حجر بن عدي الكندي

وفد على النبي ﷺ هو وأخوه هانئ بن عدي، وهو من شباب الصحابة وقال بعضهم بل هو من التابعين. كان حجر بن عدي من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وممن شهد الجمل وصفين معه. وكان حجر أحد المعدودين الذي شاركوا في دفن أبي ذر الغفاري. وكان حجر أحد قادة الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام حيث فتح عدرا التي قتل فيها فيما بعد وشارك في القادسية. وكان حجر يلقب ب"حجر الخير" لشدة ورعه.

كان حجر من أنصار علي بن أبي طالب وشيعته حيث أسرع إلى مبايعته حينما تولى الخلافة وبقي ملازمًا له لا يتركه، وحارب معه في معركة صفين وكان من قيادات الجيش وكان قائده لمذحج والأشعريين وعلى كندة وحضرموت وقضاعة والمهرة، وكان فارسًا مبارزًا وقتل عددًا من أنصار معاوية بالمبارزة. ولما استشهد الإمام علي تولى بعده الإمام الحسن الذي وافق على التنازل للحكم لمعاوية للحفاظ على دماء المسلمين واشترط على معاوية أن يكون الخليفة بعده وأن لا يمس معاوية أنصار علي بأي أذى؛ ولكن معاوية بعدما استتب له الأمر أذى أنصار علي وطلب منهم أن يلعنوه وانتقد ذلك بشدة حجر بن عدي فأرسله زياد بن أبيه مكبلًا إلى معاوية الذي قتله سنة ٥١ هـ.

أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل

وأرسل رسول الله ﷺ معاذًا وأبا موسى إلى اليمن وأمرهما بالتيسير والتبشير والاتفاق فيما بينهما، فقد ثبت عن أبى بردة ابن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخلاف، واليمن مخلافان: تهامة وعليها أبو موسى الأشعري وأرسل معاذ بن جبل إلى الجَنَدْ (بالقرب من تعز)، ثم قال: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا**»، وفي رواية: «**وتطاوعا ولا تختلفا**» - وانطلق كل واحد منهما إلى عمله.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا**

لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري ومسلم وأهل السنن. وكانت عدن تابعة للجند وقد وصلها معاذ ابن جبل ﵁ وبنى فيها مسجدها الجامع ثم دخلها أبو موسى الأشعري الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تهائم اليمن وأضاف إليها أبو بكر ﵁ عدن.

وأبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس من قبيلة الأشاعرة في تهامة اليمن وقد قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل الهجرة وأسلم ثم عاد إلى قبيلته في اليمن، فدعى إلى الإسلام ثم خرج في بضعة وخمسين رجل من قومه فيهم أخويه وأمه؛ ولكن السفينة جرفها الموج إلى الحبشة حيث كان جعفر بن أبي طالب وأصحابه مهاجرين، فخرجوا جميعًا في سفينتين إلى المدينة المنورة فوجدوا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عائدًا من فتح خيبر (السنة السبعة الهجرية)، فأسهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهم فيمن حضر الفتح، وشارك أبو موسى في عدة معارك بعد ذلك في فتوح العراق والشام.

واشتهر أبو موسى بصوته الجميل وحسن قراءته للقرآن حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود**» كما اشتهر بعلمه، ولاه عمر ﵁ البصرة، وقد ورد في فضل الأشاعرة قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى**» وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأشعريين بقوله: «**إن الأشعريين**

إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم» متفق عليه.

وأما معاذ بن جبل رضي الله عنه فهو من قبيلة الخزرج الأنصارية أسلم وعمره ١٨ سنة وكان قارئًا للقرآن حافظًا له جميلًا وسيمًا شجاعًا، وقد أحبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: «**يا معاذ إني أحبك فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» رواه أبو داود. وكان معاذ يطيل القراءة عندما يؤم قومه ويقرأ بسورة البقرة في صلاة العشاء أو الفجر، فاشتكاه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له الرسول: «**أفتان انت يا معاذ؟ إذا أممت القوم فاقرأ** ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ **ونحوها، فإن فيهم المريض وذو الحاجة والشيخ الكبير، وإذا صليت لنفسك فأطل ما شئت**». متفق عليه.

وعندما أرسله إلى اليمن كما تقدم قال له لعلِّي لا أراك بعد يومي هذا فبكى معاذ بكاءً شديدًا، وأمره الرسول أن يكف عن البكاء، وعاد معاذ من اليمن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذهب إلى فتوح الشام مع أبي عبيدة ابن الجراح، وكان ممن توفي بطاعون عمواس ودفن هو في منطقة الأغوار في الأردن بالقرب من مدفن أبي عبيدة الجراح وضرار بن الأزور وشرحبيل ابن حسنة وعامر بن وقاص، ومشاهدهم معروفة وتعد هذه المقامات من أهم المزارات الدينية والتاريخية في الأردن، وأول هذه المقامات مقام أمين الأمة أبوعبيدة عامر بن الجراح، ومقام الصحابي الجليل ضرار بن الأزور، وهذان المقامان الكريمان هما أول ما يستقبل الزائر من سلسلة المقامات المنتشرة في منطقة وادي الأردن.



مسجد ضرار بن الازور



مسجد غور الأردن أبو عبيدة ابن الجراح

يضم مقام أبو عبيدة الصحابي الجليل مسجدًا للرجال يتسع لآلاف المصلين وعددًا من قاعات متعددة الأغراض أخرى رئيسية للاجتماعات وقاعة ملكية ومركز ثقافي كبير، إضافة إلى مكتبة تضم أمهات الكتب الإسلامية ومكاتب خاصة للمشرفين على المقام ومركز كمبيوتر ومأذنة وحديقة نخيل

ميزت مقام أبو عبيدة، وتعقد فيه حلقات العلم والدراسة وتقام فيه المسابقات الرمضانية وموائد الرحمن في شهر رمضان المبارك.

أما مقام الصحابي الجليل ضرار بن الأزور والذي يرقد في منطقة ضرار (والتي سميت على اسمه)، فهو لا يبعد عن مقام أبو عبيدة سوى كيلو متر واحد وهو من المقامات التي شملها الإعمار الهاشمي الأخير ويضم مقام ضرار بن الأزور مسجدًا للرجال ومصلى للنساء.

وفي الاتجاه نحو شمال منطقة ديرعلا والتي ضمت رفات أبو عبيدة وضرار بن الأزور وعلى ما يقارب ٢٠ -٢٥ متر يقع مقام شرحبيل بن حسنة ويعتبر مقام شرحبيل ﷺ من المقامات التي شملها الإعمار الهاشمي وهو ما زال قيد العمل وفي التجهيز الأخير، وتبلغ مساحة المقام ٦٥٠ م وهو يضم مصلى للرجال وآخر للنساء.

أما مقام عامر بن وقاص والذي يعد المقام الأوسط في منطقة الأغوار الشمالية فتبلغ مساحته الإجمالية ٥٢٠ م ويزوره من ٦٠٠-٧٠٠ زائر شهريا.

ومقام معاذ بن جبل يضم أيضًا وفاة ابنه عبدالرحمن الذي توفي صغيرًا، وقد بني المقام من نوع مميز من الحجر الأصفر وتبلغ مساحته ٦٥٠ م تقريبًا ويزوره ما يقارب ١٥٠٠ سائح شهريًا.

وأصبحت هذه المنطقة ذات أهمية سياحية دينية، وقد زرتهم مرتين قديمًا.

وكانت عدن في أول الأمر تابعة لأبي موسى الأشعري فدخلها ونشر الإسلام فيها وبنى مسجدها ثم تحولت عدن إلى إمرة معاذ ابن جبل ﷺ وصارت تابعة للجَنَد ودخلها وصلى في مسجدها وخطب على منبرها، وكذلك فعل الإمام علي بن أبي طالب ﷺ حيث دخل عدن وصلى في مسجدها وخطب على

منبرها وذلك قبل عودته من اليمن ليلحق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع.

زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي

أسلم في بيعة العقبة الثانية وبقى في مكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم هاجر إلى المدينة ويقال له زياد بن لبيد الأنصاري المهاجري وقد شهد بدر وأحد والخندق والمشاهد كلها، وأرسله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى حضرموت داعيًا للإسلام وواليًا عليها، فانتشر الإسلام بها.

ولما ظهر الأسود العنسي في صنعاء وقتل شهر بن باذان واستولى على صنعاء وما حولها كثر أنصاره، وفر منه معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري إلى حضرموت، ولما قتل الأسود العنسي عاد معاذ بن جبل إلى صنعاء وولاه أهلها الحكم وذلك في أيام أبو بكر الصديق ولكنه ترك الحكم وذهب إلى المدينة ثم ذهب بعد ذلك إلى فتوح الشام كما تقدم.

وقد ارتدَّت بعض مناطق من حضرموت وكان فيمن ارتدَّ الأشعث الكندي، فقاتله زياد بن لبيد بمن معه من المسلمين حتى انتصر عليه وأرسله مقيدًا إلى أبي بكر الصديق فعفى عنه أبو بكر وتزوج الأشعث أخت أبي بكر الصديق، وكان الأشعث فيمن قاتل مع علي في صفين، وتزوج الإمام الحسن بن علي جعدة بنت الأشعث الكندي، وقيل أن معاوية أعطاها ألف ألف حتى تسم الحسن عليه السلام ففعلت ذلك كما يقال ووعدها من تزويجها لابنه يزيد فوفَّى لها بالمبلغ ولكنه رفض تزويجها ابنه يزيد خوفًا عليه منها.

قال ابن الأثير في "أسد الغابة في معرفة الصحابة" وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم فمات منه، ولما اشتد مرضه قال لأخيه الحسين ﵄: يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه إني لأضع كبدي، قال الحسين: من سقاك يا أخي؟ قال: ما سؤالك عن هذا؟ أتريد أن تقاتلهم؟ أكلهم إلى الله عز وجل ".

وقال الذهبي ﵀ في كتابه " تاريخ الإسلام":

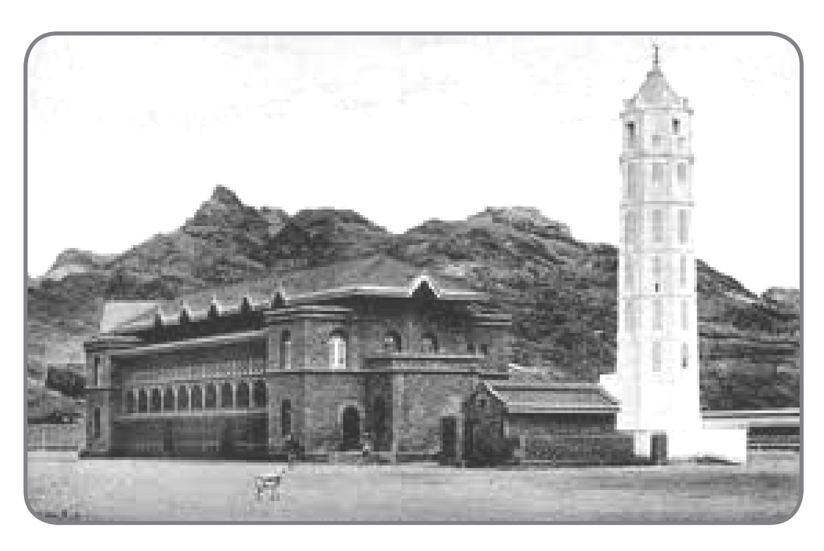
" قال ابن عبد البر: قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سمَّ الحسنَ زوجته بنت الأشعث بن قيس، وقالت طائفة: كان ذلك بتدسيس معاوية إليها وبذل لها على ذلك".

وقال الحافظ ابن حجر ﵀ في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة": " يقال إنه (الحسن بن علي ﵉) مات مسمومًا، قال ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: دخلت أنا وصاحب لي على الحسن ابن علي فقال: لقد لفظتُ طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مرارًا فلم أسق مثل هذا، فأتاه الحسين بن علي فسأله من سقاك؟ فأبى أن يخبره رحمه الله تعالى ".
وقال أيضًا ابن حجر في كتابه " تهذيب التهذيب"، وإسماعيل بن إبراهيم وابن عون ثقتان حافظان، وعمير بن إسحاق: قال ابن معين في رواية: لا يساوي شيئًا ولكن يكتب حديثه، وقال عثمان الدارمي: قلت لابن معين كيف حديثه؟ قال: ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات.

وبقيت حضرموت على الإسلام تحت إمرة زياد بن لبيد في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وتوفي لبيد سنة ٤١هـ في بداية عهد معاوية.

وقد ذكر أهل التاريخ مجموعة من الحضارم الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم وائل بن حجر الحضرمي وحجر بن عدي الكندي.

مسجد عدن الذي بناه أبو موسى الأشعري ثم معاذ بن جبل رضي الله عنهما



منارة عدن وبقربها محكمة عدن سابقًا والتي تحولت إلى مكتب البريد وخلفها أقيمة مكتبة عامة باسم مكتبة ليك (مكتبة مسواط) صورة من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي

هذه المنارة التاريخية هي كل ما تبقى من أول مسجد بني في عدن في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الطيب بامخرمة في كتابه "ثغر عدن": بني جامع عدن في طرف البلد... ويقول الحافظ ابن الديبع في كتابه "تحفة الزمن": بأن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عدن في أيام الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخطب على منبرها وذلك في منتصف السنة العاشرة للهجرة، وتوجه من اليمن ليلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وساق الهدي، فكان القارن الوحيد من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأعيد بناء هذا الجامع وتمَّت توسعته في الفترة ما بين عامي ٨٦-٩٢هـ / ٧٠٠-٧١١م حيث تم بناؤه في عهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وذكر السيد عبد القادر بن عبد الله المحضار في كتابه " التذكير بأخبار العباد

والبلاد" أن أهل عدن وجدوا بساحله قطعة كبيرة من العنبر فاختلفوا فيه، فبعثوا إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز فأمرهم ببيعها وجعل ثمنها في بناء الجامع.

ثم جاء من بعده الأمير عمران بن محمد بن سبأ الزريعي المتوفى بعد سنة ٥٦٠هـ وجدد بناء المسجد ونصب منبرًا جديدًا وكتب اسمه على المنبر وقام المجاهد علي بن داود الرسولي بإصلاح هذا المنبر وتجديده، ثم جدد بناء الجامع السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري المعاصر للإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدني وصديقه في أواخر القرن التاسع الهجري.

وقد تولى الخطابة فيه العديد من علماء وخطباء عدن منهم القاضي علي ابن أحمد بن عبد الله القريظي.

ومع مرور الزمن وعدم تجديد بناء المسجد صار بناؤه متهالكًا عندما هجم الكابتن هنس على عدن وضربها بالمدافع تهدم جزء كبير من المسجد، وسمح القبطان هنس للهنود السيخ والإنجليز بالإقامة في المسجد وتلويثه، وتم بعد ذلك تهديمه تهديمًا تامًا وبقيت منه المنارة التاريخية الموجودة إلى اليوم، وقد انتقد ولستد في مذكراته تلويث الجنود له.

ومن المساجد الأثرية

مسجد أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه والمذاهب الإسلامية في اليمن



هذه الصورة لمسجد أبان، وهو المسجد المنسوب لأبان بن عثمان بن عفان ﵁، والذي جدد بنائه الأخير الشيخ هائل سعيد أنعم

ينسب هذا المسجد لأبان بن عثمان بن عفان ﵁ وقد كان أبان من التابعين ومن العلماء ومن فقهاء المدينة، وأقام في عدن يعلم الناس أمور دينهم، ثم رجع إلى المدينة المنورة وتوفي بها سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م.

وقد بنى مسجده هذا عند إقامته في عدن، وولد له الحكم بن أبان، وكان أيضًا من الفقهاء والعلماء، ثم ظهر ابنه إبراهيم بن الحكم بن أبان المعروف بالعدني وهو الذي رحل إليه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (وهو من قبيلة يمنية) بعد أن ذهب إلى صنعاء ليأخذ علم الحديث من عبد الرزاق الصنعاني، فلما وصل إلى عدن وجد إبراهيم على غير ما كان يظن من العلم فقال: لله ما أنفقناه من الدريهمات، وكانت زيارته لعدن عام ١٨٩هـ.

وقد دخل اليمن الإمام محمد بن إدريس الشافعي وانتشر مذهبه في المناطق الجنوبية في اليمن بما فيها حضرموت إلى تعز وعدن وما حولها، وأما الإمام مالك بن أنس الأصبحي فهو من قبيلة ذي أصبح اليمنية المعروفة، ولكنه لم يذهب إلى اليمن بل كان مولده وحياته كلها في المدينة المنورة، ولهذا لم ينتشر مذهبه في اليمن.

وقد انتشر مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان في بعض مناطق تهامة وخاصة بعد قيام الدولة الزيادية وبنائهم لمدينة زبيد حيث كانوا من الأحناف الذين أتوا من العراق في عهد المأمون العباسي الذي ولَّاهم على اليمن.

مسجد الشيخ جوهر

هذا المسجد قديم منذ القرن الخامس أو السادس الهجري، وكان يعرف باسم رباط الشيخ سعد الحداد، ثم أقام فيه الشيخ جوهر المتوفى سنة ٦٢٦ هـ واشتهر باسم مسجد الشيخ جوهر الذي عاش في عهد الملك سعود آخر ملوك الأيوبيين في اليمن، وكان عبدًا عتيقًا يشتغل بتجارة القماش، واشتهر بالصدق والأمانة وحسن المعاملة وصار من كبار الأولياء المعروفين في عدن.

وللأسف أُهمل المسجد منذ فترة طويلة ولم يتم تجديد بناءه، وبجوار المسجد مجموعة من القبور لكثير من الأولياء الصالحين والعلماء ومنهم القاضي العلامة ابن كبّن وفاته ٨١٦هـ، ومنهم الفقيه أحمد بن حسن بن شينا (أصله من الصين وصار من علماء الإسلام) توفي ٨١٦هـ، ومنهم العلامة القاضي محمد بن سعيد بن علي الطبري وفاته ٨٤٢هـ، ومنهم القاضي الفقيه العلامة محمد بن مسعود بن سعد أبو شكيل (باشكيل) الأنصاري ٨٧١هـ، ومنهم مفتي عدن العلامة عبد الله بن أحمد بامخرمة وفاته ٩٠٣هـ، ومنهم

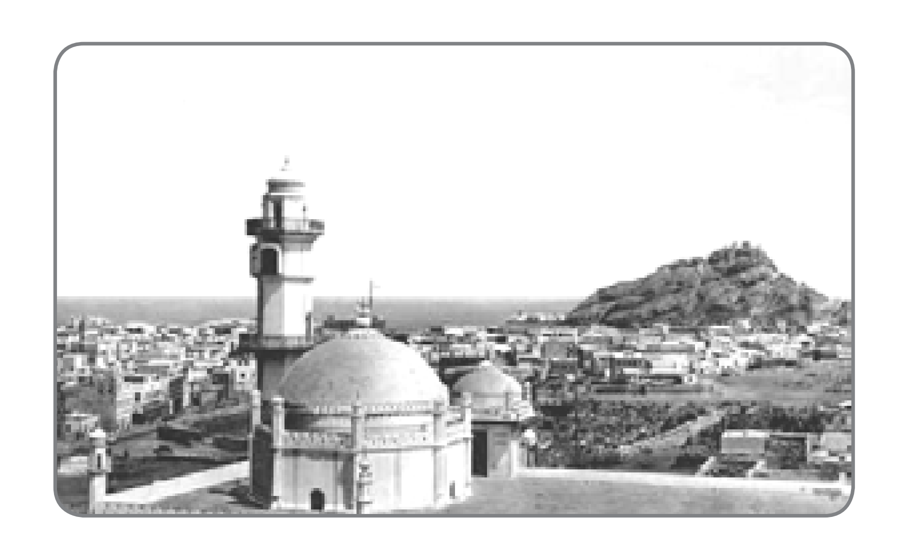
العلامة الفقيه أحمد بن الشيخ عبد الله بامخرمة ٩١١هـ، ومنهم الطيب عبد الله بامخرمة صاحب كتاب " تاريخ ثغر عدن" وكتاب " قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر" وفاته ٩٤٧هـ ودفن في قبر جده لأمه القاضي محمد بن مسعود باشكيل وبالقرب من قبر والده وأخيه.

مسجد العسقلاني

ومن دخل عدن الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري وغيره من الكتب الكثيرة والذي زار اليمن وعدن سنة ٨٠٦هـ، ومكث في عدن ستة أشهر وقد التقى في عدن العلامة أبا بكر بن يوسف بن إسحاق بن المستأذن والعلامة عبدالرحمن بن حيدر بن علي الشيرازي وغيرهم من العلماء، وقد تم بناء مسجد في موقع البيت الذي سكن فيه الإمام بن حجر العسقلاني وجدده الشيخ علي بن عبد الله اليافعي في أواخر العقد التاسع من القرن الثالث عشر الهجري. وفي عام ١٣٦٩ هـ هدم المسجد القديم وبني مسجد كبير من دورين وأعيد بناؤه، وأشرف العلامة الشيخ محمد بن سالم البيجاني على بنائه.

مسجد العيدروس

ومن مساجد عدن المشهورة مسجد الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس (٨٥١هـ -٩١٤هـ) الذي توطن عدن في أواخر القرن التاسع الهجري وبنى فيها مسجده المشهور، وقد بنى المسجد سنة ٨٩٠ هـ.



جامع العيدروس بمنارته المميزة

مسجد حسين الأهدل في عدن (٨٥٠-٩٠٣ هـ) صديق العيدروس وتلميذه وكان من كبار العلماء والمحدثين المشهورين في عدن واليمن بأكملها.



مسجد حسين الأهدل

مسجد الذهبي (البصال) والمدرسة الياقوتية

ينسب هذا المسجد إلى الشيخ العابد الناسك الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المعروف بالبصال الشافعي المتوفى سنة ٧٥٨هـ، أحد العلماء المشهورين والذي ترجم له الكثير من العلماء لقد كان لهذا المسجد دور عظيم في إقامة الصلوات والجمع والدروس الدينية وألحقت به المدرسة الياقوتية المشهورة، وفي هذا المسجد المبارك أقام الكثير من علماء مدينة عدن كالإمام محمد بن أحمد باحميش.

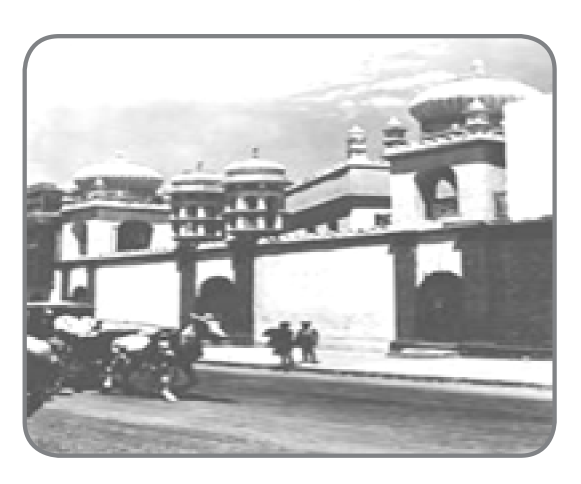
مساجد آل عراقي في عدن

اشتهرت هذه الأسرة التي قدمت من العراق وأقامت العديد من المساجد والمدارس وبرز منها عدد من العلماء المشهورين منهم الشيخ العلامة السيد أحمد ابن عبد الرحمن (الجعفري نسبة إلى الإمام جعفر الصادق) (٧٢٥-٧٦٦هـ)، وقد أقامت هذه الأسرة عدة مساجد في عدن والبريقة وكانوا حريصين على إقامة مساجد صغيرة بالقرب من أماكن الصيادين لعدم توفر مساجد لهم وبالتالي قد تفوتهم الصلوات، وكانوا حريصين على تعليمهم وقد اشتهرا هؤلاء العلماء بالولاية والصلاح والعلم.

وهناك عشرات المساجد المعروفة في عدن التي لها تاريخ طويل مثل مسجد الشيخ عبد الله العمودي في زقاق من شارع الزعفران الذي كنا نصلي فيه التراويح ومسجد حامد أيضًا في الزعفران الذي كان فيه عدد من الخطباء والوعَّاظ، ومسجد بانصير القريب من منزلنا والذي كنا نصلي فيه معظم الصلوات وبه ملحق بتعليم الأطفال القرآن الكريم (معلامة).

مساجد الشيعة

وهناك مسجد للشيعة الإثني عشرية (إمامية وهو في طريق العيدروس إلى ميدان الحبيشي (ميدان كرة القدم) وقبل مستشفى الولادة (الكينين).



مسجد الإثني عشرية في كريتر، ويقع في طريق العيدروس

وكان للبهرة (الشيعة الإسماعيلية) مسجد في أحد منازلهم في سوق البهرة.

ما ورد في فضل اليمن

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

ورد في سبب نزول هذه الآية عن عياض الأشعري رضي الله عنه أومأ رسول الله ﷺ إلى أبي موسى الأشعري، فقال: «هم قوم هذا». وذكره أهل التفسير وأصحاب الحديث والذهبي في سير أعلام النبلاء (سيرة أبي موسى الأشعري).

عن ابن عمر قال: ذكر النبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**». قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**». قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فقال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»، (قالوا: إنه مسيلمة الكذاب) رواه البخاري. وقيل: إن المقصود بنجد هي العراق أو كل ما كان شرق المدينة المنورة.

عن النبي ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**» رواه الشيخان، وفي رواية لمسلم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**». أخرجه بخاري ومسلم:

عن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان هاهنا - وأشار بيده إلى اليمن - والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين - عند أصول أذناب الإبل، من حيث يطلع قرنا الشيطان - ربيعة ومضر**» رواه البخاري.

عن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ نظر قِبَل اليمن، فقال: «**اللهم أقبل بقلوبهم وبارك لنا في صاعنا ومُدنا**» رواه الترمذي.

عن أبي أمامة الباهلي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن من خيار الناس الأملوك أملوك حمير وسفيان والسكون والأشعريين (قبائل يمنية)**» رواه الطبراني.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الإيمان يمان، وهم مني وإلي**» (كنز العمال للمتقي الهندي).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن جلوس، فأوسعنا له فجلس وقال: «**أين أصحابي الذين أنا منهم وهم مني؟ وأدخل الجنة ويدخلونها معي؟**»، فقلنا: يا رسول الله أخبرنا! قال: «**نعم، أهل اليمن المطّرحون في أطراف الأرض، المدفوعون عن أبواب السلطان، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يقضها**» أخرجه الطبراني والهيثمي.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا مر بكم أهل اليمن يسوقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم فإنهم مني وأنا منهم**» أخرجه الطبراني وأحمد.

عَنْ ثَوْبَانَ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ؟ فَقَالَ: مِنْ مَقَامِي إلى عَمَّانَ، وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ؟ فَقَالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**» صححه مسلم.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفا ينصرون الله ورسوله هم خير من بيني وبينهم**» رواه الإمام أحمد.

عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض**» أخرجه أحمد في سنده وأبو يعلى والبزار والطبراني.

عن عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعيينة بن حصن (رئيس قبائل فزارة من نجد) : «**أي الرجال خير؟ قال: رجال أهل نجد،**

قال: كذبت، بل هم أهل اليمن، الإيمان يمان، والحكمة يمانية». أخرجه أيضًا من حديث معاذ بن جبل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الإيمان يمان والفتنة هاهنا. هاهنا يطلع قرن الشيطان -وأشار بيده إلى نجد-**» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي- باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

عن أبي قلابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الأمانة في الأزد وحضرموت فاستعينوا بهم**» أخرجه بسنده سلمة بن سالم العوفي الصحاري في كتابه " أنساب العرب " وقد اشتهر الحضارمة خاصة بأمانتهم إلى يومنا هذا فتولوا الأمور المالية أينما ذهبوا واستقروا.

وهناك أكثر من ثلاثين حديثًا في فضل أهل اليمن وفي ما سبق غُنية.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﵁ قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: **ما تذاكرون؟** قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدآبة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ثم نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**» رواه مسلم.

وقعرة عدن: هي مدينة كريتر (فوهة بركان) خامد وكان ثائرًا لمدة طويلة من الزمن وذلك قبل خمسة ملايين سنة ثم خمد ثم سيثور في آخر الزمان وهو آخر العلامات العشر.

الدول الإسلامية (السنية) التي حكمت اليمن وعدن باختصار شديد

دخلت اليمن ومنها عدن في الإسلام منذ أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تتبع حكم أبو موسى الأشعري ثم تحولت إلى إمرة معاذ ابن جبل رضي الله عنه واستمرت تحت حكم الخلفاء الراشدين، وفي عهد عثمان رضي الله عنه حكم عدن أبان بن عثمان بن عفان لفترة قصيرة ثم ترك عدن وترك ابنه الحَكم فيها.

بسر بن أرطأة قاتل الأطفال

وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أرسل عبيد الله بن عباس ليحكم اليمن ولكن معاوية أرسل جيشًا ضخمًا استولى على اليمن بقيادة بسر بن أرطأة وفر منه عبيد الله بن عباس ثم قام بسر بقتل طفلين صغيرين لعبيد الله ابن عباس وهو أول من قام بقتل الأطفال في الإسلام وكما قام بسبي نساء المسلمين واعتبارهم جواري وعبيدًا وباعهن في الأسواق. وقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" سيرة بسر بن أرطأة وذكر قتله للطفلين الصغيرين ابنيّ عبيد الله بن عباس كما ذكر سبيه للمسلمات وبيعهن في الأسواق وذكر عنه أنه كان قاسي القلب فظًّا يستخدم القتل لأدنى سبب وقد فعل ذلك في المدينة المنورة حتى هرب منه بعض الصحابة وذلك لأخذ البيعة لمعاوية بالقوة والإرهاب؛ لأن أهل المدينة كانوا قد بايعوا الإمام علي وثبتوا على بيعتهم له. وقد ذكر الإمام الذهبي في سيرة عبيد الله ابن عباس قصة قتل الطفلين وقسوة بسر ابن أرطأة وشدته على المسلمين الذين لم يبايعوا معاوية (كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ج٣ / ص ٤٠٩-٤١٠ سيرة بسر بن أرطأة وسيرة عبيد الله بن عباس ج٣/ ص٥١٢-٥١٣ ط٣ مؤسسة الرسالة بيروت).

وغضب الإمام علي رضي الله عنه وأرسل جيشًا لمحاربة بسر بن ارطأة الذي هرب من اليمن ودخل المدينة، فهرب منه كثير من أهلها منهم: جابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري وغيرهما، وقتل فيها كثير من الناس ليأخذ البيعة لمعاوية.

الحكم الأموي في اليمن

وعانت اليمن أثناء الحكم الأموي من ظلم الولاة، وقامت بعدّة ثورات استمرت إلى العهد العباسي.

اليمن في العهد العباسي

بعد سقوط الدولة الأموية صارت اليمن تحت الحكم العباسي وقد قامت عدة ثورات في العهد العباسي، ومن بين من اتهم بذلك بالثورة في العهد العباسي الإمام الشافعي الذي اقتيد إلى الخليفة هارون الرشيد مقيدًا ليقتلهم، ولكن محمد ابن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة توسط لدى هارون الرشيد وأنقذه من القتل.

الدولة الزيادية في عهد المأمون ٢٠٦-٤١٠هـ

وفي عهد المأمون ثارت اليمن فأرسل القائد محمد بن إبراهيم بن زياد سنة ٢٠٦هـ وهو (حفيد عبيد الله بن زياد الذي ذبح الحسين في كربلاء) فولاه المأمون حكم اليمن بما فيها عدن وأقام الزياديون ببناء مدينة زبيد وجعلوها عاصمتهم واتخذت زبيد المذهب الحنفي؛ لأن بني زياد كانوا يتبعون المذهب الحنفي الذي تتبعه الدولة العباسية. واستمرت أسرته تحكم اليمن فترة طويلة باسم الدولة الزيادية إلى سنة ٤١٠هـ.

نجاح الحبشي ينهي الدولة الزيادية ويقيم الدولة النجاحية ٤١٠هـ

أنهى نجاح الحبشي (وهو أحد عبيد الدولة الزيادية) وحكم اليمن بما فيها عدن.

بنو معن يثورون على الدولة النجاحية ويحكمون عدن حتى ٤٥٢ هـ

وثار بنو معن على بني نجاح واستولوا على عدن.

الدولة الصليحية ٤٥٢هـ وحكمت عدن واليمن وأنهت حكومة آل نجاح الحبشية في اليمن

قام علي بن محمد الصليحي عام ٤٥٢ هـ فأخذ عدن من بني معن بن زايدة وكون الدولة الصليحية بأكملها في اليمن وهي دولة إسماعيلية تتبع الدولة الفاطمية في مصر وتزوج المكرم بن علي الصليحي على قريبته السيدة بنت أحمد الصليحي (التي عرفت فيما بعد باسم الملكة أروى) وجعل مهرها دخل ميناء عدن الذي يقدر بمئة ألف دينار ذهبا كل سنة، ولما مرض زوجها المكرم وأصيب بالشلل حكمت باسمه عشرين سنة ولما مات زوجها حكمت اليمن باسمها مباشرة لمدة ثلاثين سنة وهي أول وآخر امرأة تحكم في التاريخ الإسلامي ولمدة طويلة من الزمن والملكة أروى هي من مواليد عدن وقد جعلت مقر حكمها في جبلة بالقرب من إب بدلًا من صنعاء واستطاعت بذكائها ودهائها أن تحكم اليمن خمسين سنة، ورفضت أن تتزوج بعد وفاة زوجها المكرم بن علي الصليحي رغم أن الخليفة الفاطمي أمرها بذلك، وهي التي أسست المذهب الإسماعيلي في الهند وهذه الطائفة تعرف باسم البهرة وهم يذهبون كل سنة لزيارة قبرها وقصرها في جبلة منذ ذلك الزمان إلى اليوم.

الدولة الزريعية في عدن

انتهت الدولة الصليحية في عدن وما حولها على يد بني زريع سنة ٥٢٥هـ وهي أيضًا تنتمي إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي التابع إلى الدولة الفاطمية.

انتهاء الدولة الزريعية في عدن وابتداء الدولة الأيوبية في اليمن ٥٦٩ هـ

انتهت الدولة الفاطمية باستيلاء صلاح الدين الأيوبي على الدولة في مصر والذي أرسل أخاه طوران شاه سنة ٥٦٩هـ إلى اليمن ليحكمها بدلًا من الدويلات الشيعية الإسماعيلية وصارت اليمن والحجاز والشام كلها تحت حكم الدولة الأيوبية السنية الشافعية.

بدء الدولة الرسولية في اليمن ٦٣٠هـ

عين الأيوبيون أحد قوادهم نور الدين بن علي بن رسول واليًا على اليمن عام ٦٣٠هـ الذي أسس الدولة الرسولية واستقل بحكم اليمن واتصل بالخليفة العباسي الذي ولاه رسميًا على اليمن. وكانت الدولة الرسولية من أقوى الدول في اليمن والتي حكمت اليمن بأكمله شمالًا وجنوبًا إلى ظفار وصلالة (في عمان الآن) ووصلت الدولة الرسولية إلى مكة والمدينة في فترات متقطعة وكان كثير من حكام الدولة الرسولية أدباء وحكماء وأطباء وشعراء.

انتهاء الدولة الرسولية وبداية دولة الطاهرية

وتولى بعد الدولة الرسولية مجموعة من بني طاهر تولوا حكم عدن وما حولها إلى صنعاء الذي كان يحكمها الأئمة الزيدية.

الدول الأوروبية تحاول الاستيلاء على عدن

بما أن عدن كانت ميناءً مهمًا في الطريق إلى الهند فإن الدول الأوروبية حاولت الاستيلاء على عدن وأول من فعل ذلك دولة البرتغال القوية والتي وصلت إلى الهند وحكمت أجزاء منها وقد احتلت البرتغال بعض موانئ عمان والخليج العربي وحاولت الاستيلاء على الشحر فهُزمت ثم حاولت الاستيلاء على عدن وهزمت أيضًا، وقد نجحت البرتغال في الاستيلاء على سقطرى لفترة محدودة ولكن أهالي سقطرى من المسلمين والنصارى اتحدوا ضد دولة البرتغال وطردوه،ا وتحول نصارى سقطرى إلى الإسلام لأن البرتغاليين حاولوا أن يجبروهم على ترك مذهبهم القديم (الآريوسي) وتحويلهم إلى الكاثولوكية فرفضوا ذلك وانضموا إلى المسلمين وأعلنوا إسلامهم وطهَّروا بلادهم من رجس هؤلاء البرتغاليين.

الدولة العثمانية تحتل اليمن وعدن

ولما ضعف حكم الطاهرين استطاعت الدولة العثمانية أن تحتل عدن وأن تحميها في نفس الوقت من هجوم البرتغاليين الذين دخلوا إلى البحر الأحمر وأرادوا الاستيلاء على جدة وغزو مكة والمدينة حفظهما الله تعالى. وقد قامت الدولة العثمانية بصد هذا العدوان وهزيمته والحفاظ على الحرمين الشريفين من الغزو البرتغالي الهمجي.

ضعف الدولة العثمانية وتمدد الدولة القاسمية الزيدية

لما ضعف حكم العثمانيين على اليمن تركوا عدن التي انطوت تحت حكم الدولة القاسمية الزيدية التي حكمت اليمن بأكملها.

اليافعي والعبدلي يحكمان عدن

لما ضعف حكم الأئمة الزيود استطاع الأمير حسين عبد القادر اليافعي أن يحكم عدن ويافع ولحج وأبين، وتعاون السلطان اليافعي مع حاكم لحج فضل بن علي العبدلي في حكم عدن واقتسام دخل مينائها بالسوية.

وقد ضعفت التجارة في ميناء عدن وصار دخلها ضئيلًا فاستولى عليه حاكم لحج ورفض أن يعطي حاكم يافع نصيبه منها، وقوية شوكة حاكم لحج حتى استولى على حكم عدن تمامًا، وانتهى حكم العبادلة على عدن بهجوم الكابتن هنس عليها عام ١٨٣٩م الذي سبق ذكره وصارت عدن مستعمرة بريطانية تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية منذ ذلك الحين إلى أن تحولت إلى مستعمرة تابعة للتاج البريطاني ثم استقلت عن حكم بريطانيا في نوفمبر ١٩٦٧ م.

الإمام زيد والمذهب الزيدي

ظهر مذهب الإمام زيد في المناطق الشمالية من اليمن بعد دخول الإمام يحيى ابن الحسين القاسم الرسي إليها (٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ) والرس هي مدينة صغيرة شمال شرق المدينة المنورة (وهناك مدينة أخرى أكبر منها معروفة باسم الرس موجودة في نجد). والإمام زيد هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين شهيد كربلاء ولد بالمدينة المنورة سنة ٦٦هـ واشتهر بالعلم وله مسند عرف بمسند الإمام زيد، وانتشر مذهبه بعد وفاته، وقد ثار على هشام بن عبد الملك الأموي عندما زادت جرائمه وظلمه وخاصة أن أهل العراق كتبوا له يبايعونه، ولكن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر كتب إليه يا عماه إن هؤلاء الشيعة من أهل العراق قد كذبوا على جدك الحسين بعد أن بايعه مئة ألف وتخلُّوا عنه ليبطش به عبيد الله بن زياد بن أبيه في كربلاء وقبله جدك الإمام علي بن

أبي طالب الذي قال عن شيعته الكذبة والجبناء يا أشباه الرجال ولا رجال وقد غدروا به. فيا عمي لا تذهب إليهم فهم كذابون وخونة.وبالفعل عندما وصل إليهم كانوا مئة ألف قالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فمدحهما وترضَّى عنهما، فقالوا: أتمدحهما وهما أخذا الخلافة من جدك؟ فانصرفوا عنه، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الرافضة وهو أول من أطلق عليهم هذا الاسم ولم يبقَ معه سوى ثلاثمئة من أنصاره الذين قاتلوا معه حتى استشهد. ثم قام هشام بن عبد الملك باستخراج الجثة وصلبها فمر شاعر وقال: علو في الحياة وعلو في المماتِ، فلما بلغ ذلك هشام قال: ارموه في كناسة الكوفة فرموه حتى تحلل، فليعامله الله بما يستحق.

وقد قامت دولة للزيدية في الديلم (جنوب بحر قزوين شمال إيران) بقيادة حسن الأطروش وقامت بينهم وبين الشيعة الإثني عشرية (الإمامية) عدة حروب، وقد هاجم الشيعة الزيدية في كتبهم الشيعة الإمامية الجعفرية كما هاجموا الشيعة الإسماعيلية في اليمن وغيرها، فالغريب أن يحصل تحالف هذه الأيام بين الحوثيين الذين يزعمون أنهم زيدية وبين شيعة إيران الإمامية الجعفرية الخمينية، وللأسف تحول بعض الحوثيين إلى المذهب الشيعي الجعفري الخميني

الدولة الزيدية

قامت الدولة الزيدية في اليمن في صعدة وامتدت إلى صنعاء وما حولها، ثم امتدت إلى اليمن بأكملها ومرت بمراحل مختلفة منذ عام ٢٨٤-١٣٨٢هـ / ١٩٦٢- ٨٩٨هـ م أول من حكم فيها الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ٢٨٤ - ٢٩٨ هـ/ ٨٩٨ - ٩١١ م، وأخر من حكم فيها محمد البدر بن

أحمد حميد الدين الذي حكم أقل من أسبوع في صنعاء وانتهى حكمه في ثورة السلال في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، ثم انتقل إلى الطائف واستمرت الحرب بين الملكيين والجمهوريين لعدة سنوات.

وقد بلغت هذه الدولة أوجهًا في أيام الدولة القاسمية التي أسسها الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد في القرن السابع عشر الميلادي وفي عهد المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم استتب له الأمر وتوحد اليمن ووصل حكمه إلى صلالة (سلطنة عمان حاليًا)، وحكم المهرة وحضرموت واليمن الجنوبي بأكمله واليمن الشمالي بأكمله إلى نجران وعسير من عام ١٦٤٤-١٦٧٦ م / ١٠٥٤ - ١٠٨٧ هـ.



الفصل السابع
اليهود في عدن واليمن

اليهودية في عهد بلقيس وسليمان عليه السلام

يهود عدن لهم فترة طويلة من الزمن فهم جزء من يهود اليمن، الذي بدأ من عهد بلقيس وسليمان عليه السلام، يعني قبل حوالي ألف سنة قبل الميلاد قالت بلقيس ملكة سبأ كما يرويها عنها القرآن الكريم ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

اليهودية في عهد تبع الأكبر أسعد أبو كرب الحميري (القرن الرابع الميلادي)

ثم اختفت اليهودية من اليمن بعد عهد بلقيس وعادت مرة أخرى في عهد تُبّع الأكبر في القرن الرابع - الخامس الميلادي والذي غزا بعض البلدان كما وصل إلى شمال إفريقيا ووصل إلى التبت التي تتبع الصين حاليًا والغريب حقًّا أنني رأيت في برنامج تلفزيوني من الـBBC بعض أهل التبت لديهم عادات يمنية ويحتفظون بالخناجر، كما أن رقصاتهم رقصات يمنية. وبعض الألفاظ عربية هي يمنية مثل لفظ صندوقة (صندوق) ويسجدون للشمس عند طلوعها كما كانت تفعل بلقيس قبل إسلامها مع سليمان، والتقى تُبّع الأكبر في يثرب باثنين من أحبار اليهود فأخبراه أنه قد قرب عهد نبي من العرب وأن مكة هي موطنه الأصلي، فذهب إلى مكة وكسى الكعبة بالديباج (الحرير) وعظم البيت الحرام

وذبح الذبائح الكثيرة لأهل مكة وما حولها ثم اصطحب اليهوديان معه إلى اليمن ودخل في الدين اليهودي ومنذ ذلك الحين استمرت اليهودية إلى اليوم.

اليهودية في عهد ذي نواس الحميري (ملك يمني حميري يهودي)

انتشرت اليهودية بصورة واسعة في عهد ذي نواس واضطهد المسيحية عندما ظهرت في نجران فاضطهدهم وعذبهم، وعمل الأخاديد وأشعلها بالنيران ورماهم فيها، وهي لا تزال موجودة كمعلم تاريخي في نجران (جنوب المملكة العربية السعودية) إلى اليوم، وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [سورة البروج: ٤-١٠]، إن هذه الآيات نزلت في نصارى نجران وقصة تعذيبهم، بينما ذكر آخرون أنها نزلت في قوم آخرين واستدلوا بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الباب.


منطقة الأخدود في نجران المملكة العربية السعودية





خريطة منطقة نجران وموقع الأخدود

هجوم الحبشة على اليمن

وأدى استبداد الملك اليهودي ذي نواس إلى ذلك الهجوم من الحبشة على اليمن بتشجيع من الدولة الرومانية البيزنطية، واستطاعت الحبشة أن تهزم ذي نواس وأن تحتل اليمن، وقام بعد ذلك أبرهة الأشرم الحبشي بمحاولة الهجوم على مكة المكرمة، وقصة أبرهة قد وصفها الله تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، وقد قُتل أبرهة نتيجة هذه الطير الأبابيل هو ومعظم جيشه، ثم عاد ابن أبرهة إلى اليمن ليحكمها.

وقد ولد الرسول محمد صلى الله عليه وأله وسلم في عام الفيل بعد خمسة أشهر من حادثة الفيل، واعتبرت هزيمة أبرهة إرهاصًا بقدوم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحفظ الله تعالى البيت الحرام ومكة المكرمة من غزو الأحباش ببركة ميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

سيف بن ذي يزن يثور على الأحباش

وقام سيف بن ذي يزن بالاتصال بالفرس الذين أمدوه بجيش صغير، والذي استطاع أن يدخل عدن ويحررها من حكم الحبشة، ثم انتقل إلى المناطق الأخرى حتى وصل إلى صنعاء وحررها منهم وأنهى حكم الحبشة على اليمن إنهاءً تامًا، وقد قامت القبائل العربية بتهنئة القائد سيف بن ذي يزن بانتصاره على الأحباش ومنها وفد قريش الذي كان يرأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا تاريخ موجز وبالتالي أبيح لليهود أن يبقوا كما كانوا سابقًا.

وفي عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسلمت اليمن بكاملها ما عدا مجموعة من اليهود والنصارى الذين دفعوا الجزية وبقوا على دينهم.

يهود اليمن في عهد الصحابة

ظهر في عهد الصحابة ثلاثة من يهود اليمن الذين أظهروا الإسلام وكان لهم دور في التاريخ الإسلامي وهم:

كعب الأحبار: وهو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق من يهود اليمن اشتهر في عهد الصحابة بمروياته الإسرائيلية من التوراة وغيرها وفيها كثير من الأباطيل، وأظهر الإسلام وقال لعمر بن الخطاب ذات يوم: لقد عرفتك من التوراة التي ذكرتك، فاستغرب عمر رضي الله عنه وقال: ذكرتني بالاسم؟ فقال لا ولكن ذكرت صفاتك، ولما كان في بيت المقدس مع عمر رضي الله عنه سأله عمر بن الخطاب: أين ترى أُصلِّي؟ فأشار إلى الصخرة وقال: صلي وراءها (وهي مقدسة عند اليهود ويزعمون أنها مرتبطة بعرش الله في السماء)، فقال عمر:

ظاهيت اليهودية يا ابن السوداء، ثم تقدم عمر ثم جعل هذا المكان خلفه واتجه إلى القبلة مباشرة، وذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أنه قال لعمر قبل أن يقتل: أوصِ يا أمير المؤمنين فإنك ميت بعد ثلاث، فسأله عمر بن الخطاب كيف عرفت ذلك؟ فقال: إني وجدت ذلك في التوراة، فقال عمر: وهل ذكرت التوراة اسمي؟ قال: لا ولكن ذكرت صفتك ويوم موتك (وهذا كذب واضح وافتراء، وقد قرأتُ التوراة وكتب أسفار العهد القديم مرارًا ولم أجد فيها هذا الكلام مطلقًا، وكان كعب الأحبار يزعم أنه يعرف ماذا سيحدث بالتفصيل وأنه يجد ذلك في التوراة وهو كله كذب وافتراء) وكررها في اليوم الثاني والثالث، وبالفعل قتله أبو لؤلؤة المجوسي في اليوم الثالث، فإن صَحَّ هذا الخبر فكعب أحد المتآمرين في قتل عمر.

وكثير من أخباره الإسرائيلية دخلت في التفاسير وفي بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أصلًا لم يرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إنما أسلم وجاء إلى المدينة في عهد عمر رضي الله عنه، وللأسف الشديد استطاع كعب الأحبار أن يكسب ثقة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم عبد الله بن عمر وأبو هريرة، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره قصة الملكين ببابل هاروت وماروت وقال: أنهما نزلا إلى الأرض وظهرت لهم نجمة الزهرة (وهي فينوس وهي آلهة الجمال عند اليونان والرومان وقد عُبدت مع الشمس والقمر في العراق في بابل وفي بلاد الآشوريين، كما عبدها الكنعانيون واليمنيون القدامى، وهذا التثليث موجود لدى كثير من الأمم حيث عبدو الشمس والقمر ونجمة الزهرة التي تظهر في الصباح والمساء) وذكر ابن كثير أن ابن عمر كان يسأل رفيقه في السفر:

هل طلعت الزهرة؟ فلما سأله رفيقه: لماذا تسأل عنها؟ قال: لأنها هي التي جاءت في صورة امرأة جميلة وأضلت الملكين وزنيا بها بعد أن شربا الخمر وقتلا الطفل البريء. وقد ذكر ابن كثير أن هذه الرواية قد صحت رواياتها عن ابن عمر وهي لم تصح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مطلقًا وإنما أخذها ابن عمر من كعب الأحبار الذي زعم أنها من التوراة (وهي ليست موجودة في التوراة أبدًا)، وللعلم فإن التوراة وأسفار العهد القديم كلها مليئة بالأكاذيب والكفر المحض وسب الله سبحانه وتعالى وشتم الأنبياء جميعًا بما فيهم إبراهيم عليه السلام الذي زعموا أنه تزوج أخته سارة، ويعقوب وأبنائه الذين اشتهروا بالكذب وسفك الدماء البريئة والزنا، وقد ذكرت التوراة بأن يهوذا زنا بكنته ثمار (زوجة ابنه)، وأن الابن الأكبر زنا بحليلة والده يعقوب ودنس فراشه، كما ذكر ذلك يعقوب فيما بعد في التوراة الموجودة حاليًا، وأن يعقوب أخذ العهد من أبيه إسحاق بالخداع والكذب، كما شتموا موسى عليه السلام وهارون الذي زعموا أنه هو الذي صنع لهم العجل الذهبي وعبده معهم عريانًا، وكان يرقص له ويسجد له، وأنه شتم هو وأخته مريم أخوهما موسى عليه السلام وعرّاه واستهزأ به، كما شتموا داود وزعموا أنه كاذب مخادع لص زاني الذي يقتل النساء والأطفال بدون جريرة ثم يحرقهم في المحارق، كما شتموا سليمان عليه السلام الذي زعموا أنه عبد الأوثان كلها وأنه كان ساحرًا، وينكر اليهود أن يكون داود وسليمان من الأنبياء بل هما من الملوك الجبابرة السفاحين الزناة وأن أبناء داود الآخرين كانوا أيضًا من الزناة الذين يزنون بأخواتهم ويسكت عن ذلك داود الذي عرف ما فعلوه، وهذا كله موجود في التوراة وأسفار العهد القديم إلى اليوم ويستطيع أي إنسان أن يقرأها. وكل ما يزعمه كعب الأحبار

عن التوراة وأسفار العهد القديم هو كذب وافتراء ليخدع المسلمين؛ ولكن جهابذة العلماء أبانوا زيفها وأنها من خزعبلات اليهود الموجودة في كتبهم.

وهب بن منّبه: هو وهب بن منبه الصنعاني الذماري في اليمن. ولد في سنة ٣٤ للهجرة، كان وهب من أصول يهودية يمنية ويُقال أسلم أبوه على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسُن إسلامه وقد ولد وهب في زمن عثمان رضي الله عنه سنة أربع وثلاثين هجرية، ورحل وحج، وتوفى وهب سنة ١١٠ هـ.

وأخذ عن مجموعة من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وغيرهم، وهو تابعيٌ ثقة، وأخذ عنه كثير من تابعي التابعين.

عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) الصنعاني اليمني الذي أظهر الإسلام، وكان له دور في الفتنة في أيام عثمان رضي الله عنه، وذهب إلى مصر وأثار كثيرًا من الجند ضد عبد الله بن أبي السرح (وهو أخو عثمان من الرضاعة ووالي مصر) بسبب إعطاء عثمان رضي الله عنه له ألف ألف (مليون) درهم مكافأة له على فتوحاته في ليبيا والنوبة، وكان عبد الله ابن أبي السرح قد أسلم ثم ارتد، وقال سأنزل مثلما أنزل الله وقد نزل فيه قرآن من السماء يتلى إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام ٩٣] الأول: هو مسيلمة الكذاب الذي قال أُوحي إلي ولم يوحَ إليه شيء، والثاني: هو عبد الله ابن أبي السرح الذي قال سأنزل مثلما أنزل الله، وقد أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة، ولكن عثمان رضي الله عنه (أخوه من الرضاعة) أتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليعفو عنه، وقال لهم الرسول: «**لمَ لمْ تقتلوه؟**» فقالوا: لو أشرت إلينا لفعلنا، فقال: «**ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين**»، وعلى أية حال فقد

تجاوز عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب وساطة عثمان ﵁ الذي كان حريصًا على هداية أقاربه وتقريبهم للإسلام فقد كان شفيقًا رفيقًا بهم محبًّا لهم الخير في الدنيا والآخرة، ولم يكن من الحكمة أن يتولَّ هذا الرجل الذي ارتد عن الإسلام قيادة الجيوش الإسلامية والفتوح، وكان لعثمان ﵁ اجتهادات في إعطاء الولاة من بني أمية المبالغ الكبيرة والسلطة الواسعة كما كان بعضهم من الفساق مثل: الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي ولاه عثمان الحكم في البصرة فصلى بالناس الفجر وهو سكران، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وقد كان عثمان ﵁ عندما تولى الخلافة كبيرًا في السن وعمره آنذاك ٧٦ سنة أو أكثر وحكم لمدة ١٢ عامًا، واستطاع في السنوات الست الأولى أن يدير دفة الحكم بحكمة واقتدار، فحمده المسلمون ولكنه بعد أن بلغ الثانية والثمانين ضعف وولى أمور الدولة إلى قريبه الشاب مروان بن الحكم بن العاص والذي لعنته السيدة عائشة ﵂ وقالت له: لقد لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت في صلب أبيك.

وقد نفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحَكم بن العاص إلى الطائف عندما كان يستهزئ بالرسول ويمشي خلفه بسخرية، ورأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن أبناء وأحفاد الحكم بن العاص ينزون على منبره كما تفعل القردة فاغتم لذلك ولم يرَ ضاحكًا حتى مات، وقد روى هذه الحادثة مالك ابن دينار يرفعها إلى هند بن هند ابن خديجة ﵂ (ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ذكر هذه الحوادث ابن قانع في "معجم الصحابة" وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة"، وابن عبد البر

في "الاستيعاب" ووقد روى أبو يعلى في مسنده والحاكم نيسابوري في المستدرك على الصحيحين (بخاري ومسلم) عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "«**إني أريتُ في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة**»، قال: فما رؤي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى توفي"، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة.

وهناك أحاديث كثيرة تذكر ذرية الحكم بن العاص وسوء مصيرهم وإيذائهم للمسلمين، ما عدا أشج بني مروان وهو عمر بن عبد العزيز ﵁ الذي أقام العدل وأسس الخلافة كما كانت في أيام جده من أمه عمر بن الخطاب ﵁، ولكن بني أمية سمُّوه وتخلصوا منه بعد عامين ونصف من خلافته.

وأدى تسلط مروان بن الحكم على الحكم في أواخر حياة سيدنا عثمان إلى غضب كثير من الصحابة من بينهم عائشة ﵂ والإمام علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وغيرهم كثير الذين طالبوا بإزاحة مروان من تسلطه على الدولة، ولكن عثمان ﵁ رفض جميع النصائح وأدى ذلك إلى هياج العامة والغوغاء.

واستطاع عبد الله بن سبأ في استغلال هذه الحوادث وسوء أفعال بعض الولاة في إثارة العديد من العامة ضد ولاة عثمان، وانتهى الأمر إلى الثورة وقتل عثمان ﵁. وكان لابن سبأ دور وأيّ دور في هذه الفتنة.

وقد استطاع بمكره وذكائه استغلال الأوضاع السيئة الموجودة حتى أوقد نيران الفتنة وادعى محبة الإمام علي ثم ادعى ألوهية علي، وكان له أتباع

يروجون أقواله، فلما علم الإمام علي بمقولته الشنعاء أمر بالقبض عليهم وأحرقهم بالنار.

وقد ذكر البخاري في صحيحه ج ٨ ص ٤٩ من رواية عكرمة قال: "أُتي علي عليه السلام بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنتُ أنا لم أحرقْهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تعذِّبوا بعذاب الله**»، ولقتلتُهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من بدّل دينه فاقتلوه**». وذلك يدل على أن هذا الحديث لم يبلغ الإمام علي عليه السلام، ولو بلغه لقتلهم ولم يعذبهم بالنار.

ويقال أن ابن سبأ رجع عن قوله فنفاه الإمام علي إلى المدائن فعاد إلى قوله الأول وقيل أنه استطاع الهرب والاختفاء فلم يستطع الإمام علي أن يقتله.

واليهود اليمنيون هم يمنيون تهوّدوا منذ أيام تُبّع الأكبر، وهم في الأصل قبائل يمنية منذ زمن طويل، فهذا جعل لهم البقاء في البلاد اليمنية ككل وانتماء لهذه البلاد.

اليهود في عدن

وقد اشتهر يهود اليمن وبالذات يهود عدن باتصالاتهم الواسعة باليهود في مصر والعراق والشام وفلسطين وفارس، ولهم مدارس وكتب خاصة بهم، وعرف منها مدراشها (كتاب دراسي ديني) جادول المنسوب إلى داود عمران العدني (القرن الثالث عشر الميلادي) وهو دراسة للأسفار الخمسة (التوراة)، كما اشتهر منهم الطبيب يحيى زكريا بن سلمون الذي صنّف كتابًا دينيًا، على الأسفار الخمسة (التوراة ١٤٣٠ م) احتوى على الأسفار الخمسة وشروحها.

وفي عام ١٤٨٤-١٤٩٣ قام داود العلواني بإصدار المدراش الوجيز المغني، وسِفر المراثي مع شرحها، وكلاهما من عدن. وكثرت الكتب اليهودية الصادرة في عدن في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وهناك رسالة من رئيس اليهود هلجون بن نثانيل هلفي إلى الحاخام قدمون بن يفتر ابن بندر في عدن واليمن في الفسطاط في مصر (موجودة في الجنيزة في القاهرة) وتوضح العلاقات الدينية بين الطائفتين اليهوديتين في اليمن ومصر.

وكانت عدن هي المركز الأول والمسيطر على اليهود الموجودين في الهند وسيلان وغيرها، بل كانت القضايا تعود إلى المجلس القضائي اليهودي في عدن من أكثر من عشرين ميناء منتشرة في الهند وسيلان وشرق آسيا، ويحكم فيها السنهدرين اليهودي في عدن، كما كان تجار عدن اليهود يرسلون الأموال إلى مصر وفلسطين وبابل (العراق) لدعم المعابد اليهودية، وذلك من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي.

وقد عُرف يهود عدن بأنهم مولعون بالكتب العبرية وأسهموا بشكل واضح بالعناية بالأكاديميات الدينية في العراق وفلسطين مزودين إياها بتلك الكتب، بما في ذلك أعمال موسى بن ميمون.

واشتهر من عدن في القرن الحادي عشر الميلادي التاجر الكبير أبو علي حسن بن بندر (اسمه اليهودي سارها كهيلوت) وكان رئيس الجماعات الدينية في عدن واليمن، وتولى ابنه منصب ناجيد (أي رئيس) يهود اليمن. وكاد هذا المنصب أن يكون حكرًا ليهود عدن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. وقد وجد أن ١٥٠ مخطوطًا من مخطوطات الجنيزة بالقاهرة هي رسائل من يهود عدن إلى نظرائهم يهود القاهرة، وأغلبها يتعلق بمعاملات تجارية، ولكن بينها رسائل دينية بين الحاخامات.

وكانت الدراسات الدينية اليهودية في عدن متقدمة، وخاصة في المعبد الكبير (المعلامة الكبيرة) كانت هناك العديد من المعابد التي يدرس فيها كتب التوراة والمجلات والزوهار والتلمود وشروح ابن ميمون عليها، وتعليقات سعديا جاون وغيره.

وهناك مبنى (ياشيفا يدعى توراة هاميتزفا ملحقًا بالمعبد الكبير)، وفيه تتم دراسة الزوهار وشولشان عروش وتيكون هاتزوت وقانون إسرائيل.

ويوجد في معبد الفارحي في عدن نسخة قديمة من مخطوط التوراة المعروفة توراة الفارحي، وفي معبد شمويل نسيم في عدن كانت تدرس كتب التلمود والتوراة حتى الأربعينات من القرن العشرين.

وهناك معلامة هانوكه التي أسسها موشيه هانوكه هالفي الذي توطن عدن بعد أن هاجر إليها من أوروبا، وكان يستورد الكتب اليهودية المقدسة الجديدة من أوروبا. وفي احتفالات رأس السنة (روش ها السنة) لعام ١٩٢٤م أقيم معبد جديد في عدن يدعى سكات شالوم والذي اشتهر محليًا باسم معلامة سليم (كلمة المعلامة مشهورة في اليمن وتعني المكان الذي يتعلم فيه الطلبة، وخاصة الصغار منهم.

وكل الكتب الدينية في اليمن كانت مخطوطة تكتب باليد، ولكن المطبعة دخلت إلى عدن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وكانت تطبع الكتب الدينية اليهودية بالعبرية وبالحرف العربي أيضًا.

وهناك اهتمام خاص لدى يهود اليمن بشخصية دينية اشتهرت بالأشعار الدينية التي كان يكتبها بالعربية والعبرية وهو شالوم الشبزي المولود في شبز

في اليمن في القرن السابع عشر الميلادي، وكانوا يعتبرونه صدّيقا ويسافر يهود اليمن لزيارة قبره من أماكن مختلفة. وأما أشعاره فكانت تنشد في المحافل الدينية وفي البيوت، وفي بداية القرن العشرين إلى نكبة ١٩٤٨ م كان يهود عدن يحجون إلى ضريحه، وقد قام يهود عدن بتلحين قصائده وإنشادها في المحافل وفي الزواجات وفي جميع الاحتفالات، ولا يزالون يفعلون ذلك في تجمعهم في لندن، ويعتبرون ذلك من تراثهم الديني الأصيل.

ويقول كتاب يهود عدن: (إن الموسيقى والغناء كانت جزءًا مهمًّا من حياة اليهود في عدن، ولهم أغاني مختلفة دينية واجتماعية، وأغاني الحب والعواطف، ولكن أشهر القصائد التي تم تلحينها هي قصائد شالوم الشبزي.

اليهود في عدن بعد الاحتلال البريطاني

وعندما دخل الإنجليز إلى عدن كان عدد اليهود ألفي شخص تقريبًا، واتصلوا بالكابتن هينس وأمدوه بكثير من المعلومات واشتغلوا جواسيس ضد الدولة العبدلية التي كانت في لحج والتي كانت تحكم عدن والتي حاولت ثلاث مرات أن تستعيد عدن من الكابتن هينس ولم تستطع بسبب قوة المخابرات البريطانية والتي كانت أعداد كبيرة منها بواسطة اليهود. واليهود في عدن اشتغلوا كتجار وكانوا يعملون خاصة في صياغة الذهب، واشتغلوا كجواسيس للحكومة البريطانية وموظفين لها، كما اشتغلوا في بيع الخمور بشكل كبير.

وأذكر أنني قابلت رئيس أحبار اليهود (بيلتش) في نيويورك في مؤتمر انعقد في أغادير في المغرب وحدثته عن يهود اليمن وأنهم يمنيون فاستغرب ذلك أول الأمر ولكنه أقر بالحقيقة بعد ذلك.

في ١٩٤٨ بدأت الحركة الصهيونية في فلسطين بمذابح كبيرة، مذابح دير ياسين وقبية وغيرها، وقتلوا أعدادًا ضخمة من الفلسطينيين حتى يرهبوهم ويخرجوا من بلادهم ويحتلون بلادهم، وكان شامير وبيجن هم القائمين بكثير من هذه المذابح والقتل، فثار الناس في عدن عندما سمعوا الأخبار السيئة هذه، وكانت ثورة طبيعية ولكن كان وراءها أشياء سنذكرها.

وقد أدت الثورة الطبيعية إلى أن يقوم بعض الناس بإحراق بعض أماكن اليهود في كريتر عدن، ونزلت القوات البريطانية وحاولت أن تحمي هؤلاء اليهود وأطلقت النيران مباشرة على كل من يقترب من منطقة اليهود، ولكن الغريب في الأمر أن يهود عدن الذين هاجروا بعد ذلك إلى بريطانيا وكتبوا كتابًا أصدره المتحف البريطاني موثقًا يقول إن جنود بريطانيا كانوا أيضًا يطلقون النار على بيوت اليهود حتى ترعبهم.

وكانت بريطانيا مع رئيس اليهود بنين الموجود في عدن تعمل مع الحركة الصهيونية بتهجير يهود اليمن إلى فلسطين، وبالفعل بعد هذه الحادثة هاجر يهود عدن ويهود اليمن إلى فلسطين، أتوا بهم من مناطق مختلفة من الشمال من (صعدا) وما حولها ومن صنعاء، وأتوا بهم من بيحان وشبوة من المنطقة الجنوبية وغيرها، وتجمع آلاف اليهود في ما يسمى مدينة الشعب الآن في منطقة الحسوة تجمع فيها آلاف منهم، وكانت تشرف عليهم بريطانيا في مخيمات خاصة، وتقوم بتمريض المصابين منهم، وكان بعضهم مرضى وبعضهم



عندهم حالات معدية من الحشرات والطفيليات، فكانوا يقدمون لهم العلاج والدواء والغذاء حتى تتحسن صحتهم.

و بدأت الخطوط الجوية البريطانية في نقل اليهود إلى فلسطين من عدن في رحلات متتابعة وأطلق عليها (بساط الريح) منذ ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وفي خلال سنة تم نقل ٥٠ ألف يهودي من عدن إلى فلسطين جوًّا، وكان اليهود يُجمعون من كل مكان في اليمن، وكان عدد اليهود في عدن قد وصل إلى عشرة آلاف نسمة، ولم يهاجر كل يهود عدن بل هاجر جزء منهم، وقد تكاثروا في إسرائيل بعد ذلك حتى وصل عددهم إلى ٣٠٠ ألف يهودي يمني.

حوادث ١٩٤٨م

كان لليهود في عدن عشرة معابد منها معبد يعرف بالمعبد الكبير وكانت المعابد الأخرى صغيرة في حواري اليهود وهي مدراش (أي مكان لتعليم الطلبة الصغار التوراة وبعض تعاليم التلمود). وكانت لليهود أربعة شوارع رئيسية أهمها ما عرف باسم شارع الملك سليمان الذي لا يزال موجودًا إلى اليوم) وهو يؤدي إلى منطقة البنوك ومدارس اليهود (مدرسة للبنين وأخرى للبنات) وقد احترقت في حوادث الشغب ١٩٤٨.

وقد قامت أول مذبحة لليهود في عدن عام ١٩٣٢ م، بسبب اعتداءات اليهود الصهاينة على الفلسطينيين وإقامة عدة مذابح للفلسطينيين.



هذه صورة للمعبد الكبير في عدن المعلامة الكبيرة

وعندما قام أمير (ويلز ولي عهد بريطانيا) والذي أصبح فيما بعد الملك إدوارد الثامن بزيارة عدن عام ١٩٢١ م أراد أن يقابل رئيس طائفة اليهود بنين مناحيم موشيه، فرفض هذا الأخير أن يذهب إلى التواهي بحجة أن ذلك يوم سبت ولا يجوز له السفر إلى التواهي (تبعد خمسة أميال عن كريتر)، وبالتالي جاء أمير ويلز بنفسه فقابله بنين أمام مدرسة اليهود. وقد عرفت أسرة بنين بالثراء في عدن وكان لهم دور كبير في ترحيل اليهود عام ١٩٤٨م. وهم من الحركة الصهيونية التي أمدت إسرائيل بخمسين ألف يهودي كانوا في اليمن.

وهذا يوضح مدى نفوذ اليهود على الإمبراطورية البريطانية بحيث يأتي ولي العهد بنفسه بزيارة بنين رئيس الطائفة اليهودية في عدن.





التاجر اليهودي ورئيس الطائفة اليهودية في عدن يستقبل أمير ويلز سنة ١٩٢١

ومن المعلوم أن الدين اليهودي يحرم تحريمًا تامًا تزويج اليهودي أو اليهودية بغير اليهودي، وبالتالي فإذا أحبت يهودية مسلمًا فإنها تهرب من أهلها وتعلن إسلامها وتتزوج المسلم (وقد حدث هذا كثيرًا في عدن، ونعرف عائلات تكونت من هذه الزيجات كما حدث في صعدة وريدة وغيرها).

وإذا أسلم يهودي فإنه يطردونه من منطقتهم فيذهب إلى قاضي المسلمين ويعلن إسلامه، ويعلن القاضي ذلك فيسير معه أشخاص وأطفال بالطبل ويصيحون نصر الله دين الإسلام، نَصَرَ الله دين الإسلام، ويلتف حوله الأطفال ويسيرون من منزل إلى منزل ويجمعون له التبرعات حتى يعيش بين المسلمين.

وقد ظهر في عدن كتاب نهلة (نحلة يوسف) عام ١٩٠٦م وقد صنّفه الرابي شمويل بن يوسف (حفيد الموري جوشوا الدان الثالث في عدن)، ويحتوي هذا

الكتاب على جميع الطقوس الدينية اليهودية والتي كانت تمارس في عدن منذ الانتهاء من تلمود أورشليم في القرن الخامس الميلادي إلى العصور الحديثة.

وكان في عدن بيت الدين وهو المرجعية الدينية لليهود ولا يزال يوجد في بريطانيا وغيرها ما يسمى بيت الدين الذي يعتبر المرجعية الدينية وخاصة لليهود الأرثوذكس.

ويشرف على بيت الدين رئيس أحبار اليهود الذي يشرف أيضًا على المعابد اليهودية، وكان في عدن ما بين ستة إلى عشرة معابد وأكبرها ماجن إبراهام، وهو المعبد الرئيسي ويستوعب أكثر من ألف مصلي، وفيه مكتبة تسمى عادة تابوت العهد (وهو أمر يرجع إلى عهود قديمة حيث كانوا يحتفظون بالتوراة في تابوت العهد)، وكان تابوت العهد في عدن يحتوي على ٢٧٠ من أسفار التوراة (كثير منها مكرر)، وتكتب عادة بالعبرية أو بالحروف العربية وعليها شروح أيضًا باللغة العبرية أو العربية.

وكانت عائلة بنين موسى الثرية مسؤولة عن المعابد والمدارس اليهودية ويسمى رئيس اليهود (ناسي) وهو من هذه العائلة، ومن واجباته أن يمثل حكومة عدن البريطانية، وأن يساهم في الإنفاق المالي الطائفة اليهودية لدى حكومة عدن، وأن يساهم في الإنفاق المالي للعناية بالجماعة وأن يوفر التعليم والسكن لليهود الفقراء، وأن يشرف على الجمعيات الخيرية وبيت الدين، وبالتالي كان هو المسؤول الأول في حياة يهود عدن لم يكن منتخبًا بل كانت ثروة الأسرة واهتمامها الديني مصدر سلطتها كما يقول كتاب يهود عدن، وكانت هذه العائلة تملك نصف بيوت عدن وتؤجرها، كما تشتغل بالربا وبيع الخمور... إلخ.

ويذكر كتاب يهود عدن الذين يعيشون في لندن: أن حياتهم في عدن كانت أفضل من حياتهم في لندن أو في إسرائيل التي هاجر إليها بعضهم وغادروها إلى لندن، رغم أن عدن لا تقارن بلندن في إمكانياتها إلا أن الحياة كانت سهلة ورغيدة وكل شيء رخيص في عدن. يقول أحدهم: لقد كانت عدن عالمًا مختلفًا عالمًا خاصًا بهذا القرن الأخير (العشرين)، ولكن في الجانب الآخر عاش الناس في عدن حياة رغدة طيبة، بالرغم من أن بعض الناس (من اليهود) كانوا فقراء إلا أنهم عاشوا في راحة. الطعام كان دائمًا متوافرًا ورخيصًا، لم يكن شيئًا غاليًا في عدن بما في ذلك السيارات. لقد كانت حياة ميسرة سهلة، لأنها كانت منطقة حرة خالية من الضرائب، لقد كانت حياتنا في عدن رائعة وممتعة وكان مجتمعنا أكثر تقاربًا ومودة.

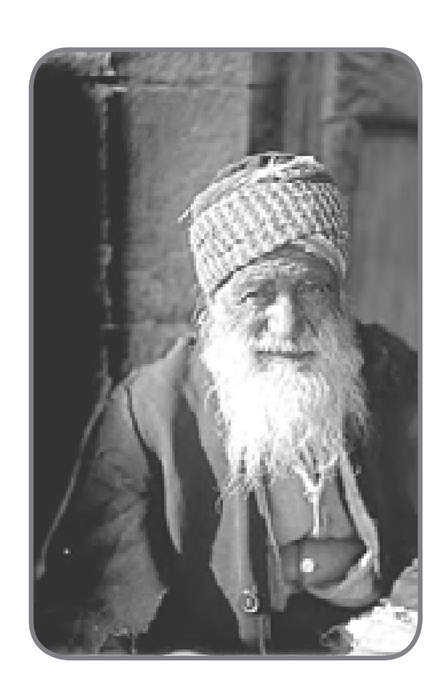
كان الدين هو المبدأ الرئيسي لوجود الجماعة اليهودية في عدن، وقد شكل هذا الرابط دورة الحياة في عدن، وكان المعبد هو نقطة الارتكاز في مجتمع الجالية اليهودية في عدن، وكان كثير من الرجال يذهبون للصلاة في المعبد يوميًا. وأما يوم السبت فيذهب الجميع إلى المعبد ولم يكن هناك أي محل يفتح أو سيارة تتحرك في الحي اليهودي في عدن، وكان يوم السبت يراعى بصرامة.

وكان العرب المسلمون يهدون الهدايا لليهود في أعيادهم والعلاقات ودية حتى عام ١٩٤٨م عندما حصلت الثورة ضد اليهود، ويقول كثير من يهود عدن: إنهم يتمنون العودة إلى عدن ويحنُّون إليها.





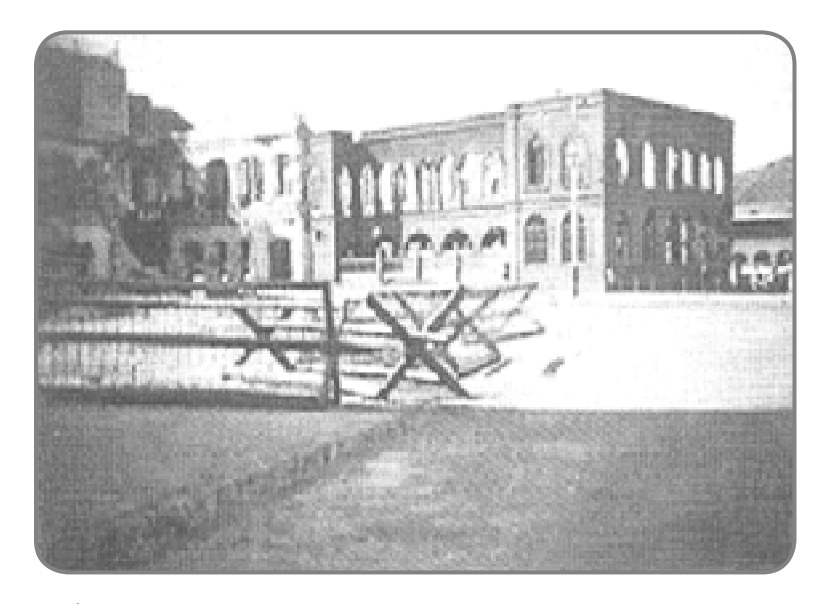
صورة نشرتها الوكيبيديا في بحثها لعروس يهودية إسرائيلية من يهود اليمن من أصل يمني، أصرت على لباس العروس اليمنية اليهودية بكامل زينتها ومجوهراتها في إسرائيل عام ١٩٥٨ م، وهي مشغولات ذهبية وثياب مزركشة ومجوهرات أتوا بها من اليمن وصنعها صاغة يهود يمنيون



صورة شيخ يمني يهودي في بداية القرن العشرين، ومن الصعب جدًا أن تفرق بينه وبين أي شيخ يمني مسلم في تلك الفترة، حيث أن اللباس واحد والعمامة واحدة، بل والأكل والشرب متشابه، بل واللهجة واحدة



مجموعة من الأطفال اليهود في معسكر حاشد سنة **١٩٤٨** م حيث تم تجميع اليهود من حاشد وغيره

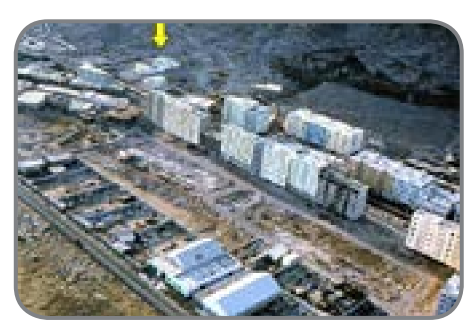


مدرستي اليهود للبنين وللبنات في **٣** ديسمبر **١٩٤٧** م، قبل أن تحترق

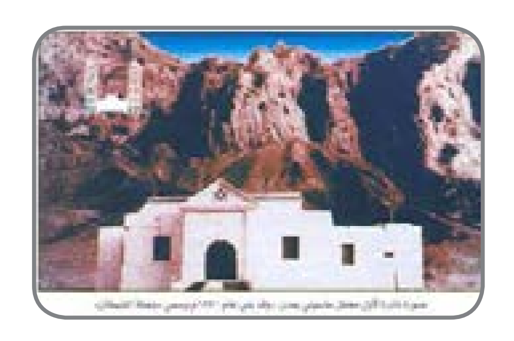
https: //www.youtube.com/watch?v=OalZ1ObAcNQ&feature=youtu.be

مقطع نادر ليهود اليمن بالجزيرة العربية في إسرائيل وهم يحنون إلى حياتهم السابقة في اليمن مع هذا فقد استطاع مقدم البرنامج الإسرائيلي أن يصور حياتهم في اليمن وفي إسرائيل وأن يستغل هذا في الدعوة إلى إعادة العلاقات الودية بين اليمن وإسرائيل، كما قام بتزوير بعض الحقائق التاريخية مثل قوله: إن دية اليهودي عند القبائل اليمنية أضعاف أضعاف دية المسلم، وأن المحافظة على حياة اليهودي عند القبائل اليمنية أهم بكثير من المحافظة على رجل القبيلة المسلم، ولا شك أن المسلمين حافظوا على عهودهم مع اليهود واعتبارهم في ذمة الإسلام والمسلمين. وهناك مبالغات أخرى قام بها مقدم البرنامج الإسرائيلي اليمني مثل قوله: إن جيران اليهود من المسلمين كانوا يبكون لفراقهم اليهود، وقالوا لهم: لماذا تهاجرون إلى فلسطين وهنا موطنكم؟ فأجاب اليهود: لقد ظهر مسيح اليهود وإننا إليه ذاهبون. ومعلوم أن المسيح لم يظهر بعد ولا المسيح والدجال اليهودي، ولكنها دعايات قامت بها الحركات الصهيونية لاستجلاب يهود اليمن المتدينين والذين عانوا بعد هجرتهم إلى فلسطين (إسرائيل).

الجمعية الماسونية في عدن (بنجلة الشيطان كلمة هندية تعني بيت من دور واحد مسقوف)



موقع بنجلة الشيطان شارع المعلا
مكان السهم




بنجلة الشيطان عام ١٨٥٠



شعار الماسونية

كان مقر الجمعية الماسونية في عدن فيما يسمى بنجلة الشيطان (بيت من دور واحد مسقوف بطوب متدرج) الواقع في المعلا والذي أسس في عام ١٨٥٠م، وقد صُمّم المحفل حسب الشروط العقائدية للماسونية، وكان لا يدخله غير الأعضاء، ودون شك كان للسرية دور في إطلاق أهل عدن عليه ذلك الاسم، فكلمة بنجلة تعني عند سكان عدن البيت (بالهندية)، وإضافة اسم الشيطان لها دليل على ارتباطه بالجرائم السرية.

وفي شهر صفر، يقال: إن الجبرت (عمال لجمع البراز قبل وجود الصرف الصحي وهم من أصول حبشية قديمة وتعتبر طبقة منبوذة) وكانوا يقومون بخطف الأطفال أو أي امرأة تمر من قرب هذا المكان لصالح بنجلة الشيطان، وكانت عدن في تلك الحقبة قليلة السكان وخاصة في تلك المنطقة، وتروى حادثة وقعت في فترة الحرب العالمية الأولى عندما وُجِدَ شابًا مذبوحًا بالقرب من بنجلة الشيطان، وكانت كل كمية الدم الذي في جسمه قد سحبت منه.

وقد روت لي والدتي أن امرأة كانت تزور بيتنا خطفت في إحدى المرات وأخذوها إلى بنجلة الشيطان ولكنهم وجدوها هزيلة جدًا وتعاني من فقر الدم (الأنيميا) فلم تعجبهم فأخرجوها وأطلقوها.

وكان المحفل في عدن يضم عددًا من اليهود وغيرهم وله رموز عجيبة ويحتوي على رسومات وإشارات هندسية خاصة.

وعلى واجهته نجمة داوود وفي الخارج المدخل العام، ويدلف منه إلى الباب الكبير بعد صعود عدة درجات، وفي الداخل يقع العامود الأول على اليمين وهو يرمز للشمس، وفي الجانب الأيسر يقع العمود الثاني وهو يرمز للقمر، وفي الأعلى مثلث وهو يعني الحاضر والماضي والمستقبل وفي وسط المثلث يقع شعار الماسونية العالمي الفرجال والمنقلة في حالة التقاء، والثالوث يرمز إلى الولادة والحياة والموت، أما الدرج فهي ترمز إلى ارتقاء الفرد نحو الأخوّة المقدسة.

والغرف لها نوافذ في كل غرفة نافذة ولها حديد حتى يمنع من الدخول عبرها، أما اللون الذي دهن به المحفل فهو الأبيض الذي يرمز إلى النور، ومن الداخل يتكون المحفل من عشر غرف مختلفة من حيث الطول والعرض،

وتعد قاعة الاجتماعات هي الأطول، وتوجد بها عدة صور لرموز وشعارات الماسون، الفواصل خشبية على شكل مربعات وهو نوع من الهندسة المعمارية، والأرضية من الأسمنت.

وعندما يعقد الاجتماع يفرش بساط مربعاته تقع ما بين اللون الأسود والأبيض، أما الكراسي فهي توزع حسب المناصب في المحفل وتوجد طاولة توضع عليها الكتب المقدسة حسب ظهورها في العالم: التوراة، الإنجيل، القرآن، لأن كل منتسب للمحفل يقسم على الكتاب الذي يتبع دينه وخلف الطاولة توجد ثلاثة كراسي والذي في الوسط يجلس عليه الأستاذ الأعظم، وهو أعلى منصب في المحفل، والكرسي على اليمين يجلس عليه المساعد الأول، والكرسي الثاني يجلس عليه مساعد آخر.

وقد اختير لمحفل عدن مكانًا منعزلًا مرتفعًا على سفح الجبل، ويُشاهد من الجهات الثلاث وهو بالقرب من مقبرة اليهود.

ورغم قصص اختطاف الأطفال وغيرهم وأخذ الدماء منهم في هذا المحفل إلا أنه لم تثبت أي قضية من هذه القضايا.

وقد تحولت بنجلة الشيطان بعد الاستقلال إلى مقر الجبهة القومية التي تحولت إلى الشيوعية، وفي بداية الثمانينات من القرن العشرين تمت إزالته، وشيد مبنى وزارة التجارة والصناعة بدلًا عنه، ثم صار هذا المبنى مقرًا لمحافظ عدن لفترة محدودة (المصدر للكاتب نجمي عبد المجيد، الإنترنت صفحة الأمناء بنجلة الشيطان، بتصرف).

https: //alomanaa.net/news16039.html

دم لفطير صهيون

ثبتت حوادث كثيرة في التاريخ لقيام اليهود باختطاف بعض الأشخاص من النصارى واستخدام دمائهم لصناعة فطير عيد الفصح اليهودي (أو عيد العبور أو عيد الفطير). مثلما حدث في قضية الأب توما الكبوجي وخادمه إبراهيم أمارة في دمشق بتاريخ فبراير ١٨٤٠ التي اعترف فيها الجناة بجريمتهم وصدر الحكم ضدهم بالإعدام، ولكن مكايد اليهود ونفوذهم السياسي والمالي استطاعوا إنقاذ هؤلاء المجرمين من يد العدالة، ليس ذلك فحسب بل استطاعوا أن يسدلوا ستار التعتيم على هذه الجريمة البشعة.

ويذكر الشيخ مصطفى الزرقا في مقدمته لكتاب الكنز المرصود: إنهم كانوا يسمعون حوادث كثيرة تحدث في أيامهم في دمشق وغيرها من المدن السورية، ولكنه كان يظن أن ذلك من الغلو ضد اليهود وأن لا حقيقة لهذا الأمر، فلما قرأ تفاصيل جرائمهم في الكنز المرصود وقصة البادري توما الكبوجي، عرف أن لهذه القصص التي كان يسمعها في طفولته أصل.

وقد ذكر الدكتور حسن ظاظا في كتابه " الفكر الديني اليهودي " حوادث كثيرة مشابهة لقصة البادري توما الكبوجي، وإن كانت لم تثبت ثبوتها الجلي الواضح، ومنها اختطاف اليهود للطفل الإنجليزي "هيوج" من مدينة لنكولن بانجلترا عام ١٢٥٥م في موسم عيد الفصح، وقتل طفل آخر في لندن سنة ١٢٥٧م وفي بنورتسهايم بألمانيا سنة ١٢٦١م، وفي فورثامبتون سنة ١٢٧٩م، وفي ميونبخ بألمانيا سنة ١٢٨٧م وفي برن بسويسرا سنة ١٢٨٧م، وفي كولمار سنة ١٢٩٢م، وفي كريس سنة ١٢٩٣م.

وآخر هذه الحوادث اختفاء الطفلة "ميا" في فالرياس في منطقة (فوكلوز) في جنوب فرنسا في ٢٦ مارس سنة ١٩٤٧ وقد عثر على الطفلة في اليوم التالي مقتولة، ومسحوبًا دمها من جروح عملت في الجبهة واليدين والرجلين، وكانت التهمة منصبّة على اليهود ولكن الأدلة كانت غير كافية لإدانتهم.

وعيد الفصح اليهودي (عيد الفطير أو عيد العبور) : هو أهم أعياد اليهود لأنهم يزعمون أن الله أخرج بني إسرائيل من مصر وقتل كل بكر من المصريين ومواشيهم.

ويأكل اليهود في هذا العيد الفطير (الخبز الغير المخمر) سبعة أيام ثم يذبحون شاة ويشون لحمها ويأكلونه قيامًا مسرعين، ثم أضاف الأحبار بعد ذلك وضع دم من نصراني أو غيره إلى الفطير الذي يُحتفظ به ويوزع على جميع معابد اليهود حيث يأكلون منه في ذلك العيد، وهذا يفسّر عمليات قتل ضحاياهم وسحب الدماء منها بصورة بشعة.

واتضحت بعض هذه الحوادث وخاصة في أوروبا في القرن الثالث عشر وما بعده، وأدّت إلى بعض المجازر لليهود، وآخر هذه الحوادث المشهورة قصة البادري توما الكبوجي وخادمه إبراهيم أمارة التي حدثت في دمشق التي ثبتت ثبوتًا قطعيًا باعتراف الجناة بجريمتهم، وأنهم قاموا بها تنفيذًا لتعاليم التلمود، وهم الحاخام موسى أبو العافية وداود هراري وإخوته.

مخطوط التوراة اليمني في إسرائيل





التقى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الاثنين ٢١ مارس/ آذار ٢٠١٦م بدفعة جديدة من يهود اليمن قدمت إلى إسرائيل في عملية سرية.

وضمت الدفعة، التي وصلت إلى إسرائيل ١٩ شخصًا، ١٤ منهم قدموا من مدينة ريدة (بالقرب من صنعاء) وعائلة مؤلفة من خمسة أشخاص قدمت من العاصمة اليمنية صنعاء، وقد أرسلهم الرئيس السابق علي عبد الله صالح مع النسخة القديمة الخطية من التوراة الموجودة في اليمن ويعتقد أن عمرها ما بين ٥٠٠ – ٦٠٠ سنة. وقد قام كسنجر عندما زار اليمن بالاطلاع على هذه المخطوطة وطلب من الرئيس علي عبد الله صالح آنذاك أن يأخذها وأن يدفع

له مبالغ طائلة، ولكن الرئيس عبد الله صالح رفض ذلك وسمح له بأخذ صور منها، ولكن بعد أن ساءت أحوال علي عبد الله صالح وتم عزله وقامت الثورة ضده اتصل بإسرائيل ورئيس الوزراء نتنياهو وعرض عليه أن يرسل هذه النسخة الفريدة من التوراة مع مجموعة من يهود اليمن على أن يقوم نتنياهو باستخدام نفوذه لدى الولايات المتحدة وغيرها لإعادة علي عبد الله صالح إلى الحكم.

وتظهر الصورة الثانية يهوديتان يمنيتان ملتزمتان بالحجاب الكامل والخمار، وهؤلاء يتبعون فرقة صغيرة من اليهود الأرثوذكس (حسيديم) المتمسكين بالحجاب الكامل وعدم خروج المرأة أو سفرها إلا بوجود محرم، والغريب جدًا أن أجهزة الإعلام في العالم كله التي تهاجم الحجاب في الإسلام لا تستطيع أن تهاجم الحجاب في إسرائيل وتعتبر ذلك للحرية الدينية.

وبعد خروج هذه الدفعة من اليمن بقي خمسون يهوديًا يقيم ٤٠ منهم في صنعاء فضلوا البقاء في اليمن.

وقد بلغني أنه لم يبقى من يهود اليمن سوى بضعة أفراد (أغسطس ٢٠١٨).

الحجاب والنقاب وزواج القاصرات في إسرائيل





هذه مجموعة من صور لنساء إسرائيليات محجبات مع مجموعة من الأطفال المحجبات حيث ترى هذه الفرقة من اليهود (الحسيديم) أن على الطفلة أن تبدأ بالحجاب من سن السابعة وأن لا تخرج من المنزل إلا برفقة محرم، والغريب حقًا أن أجهزة الإعلام في الغرب التي تتحدث عن حقوق الأطفال وحقوق المرأة لم ولن تذكر هذه الحقائق، بل تعتبرها من الحقوق الدينية المشروعة لليهود، وبالتالي لا يجرأ أي إنسان في الغرب على انتقادها مهما كانت مصادمة لحقوق المرأة وحقوق الطفل التي يتشدقون بها كل يوم، ويبيح هؤلاء اليهود زواج القاصرات ولا أحد يعترض عليهم في ذلك أيضًا، فأين هي حرية المرأة وحقوقها وحقوق الطفل التي لا يكفون الكلام عنها؟



الفصل الثامن
النصارى في عدن واليمن

دخول المسيحية إلى عدن واليمن

أول من قدم إلى عدن من النصارى القس الهندي الأصل من مدينة ديو، الآريوسي المذهب (أريوس Arius هو قسيس ليبي الأصل ولد ٢٥٦ وتوفي ٣٣٦ وهو أول من نادى بأن المسيح عليه السلام ليس إلاهًا ولا علاقة له بالتثليث فالله واحد أحد وعيسى عليه السلام هو خير البشر إلى زمنه وحاربته القسطنطينية والكنيسة الرومانية رغم أن مذهبه انتشر في عهد قسطنطين الثاني، ولكنه عاد مرة أخرى إلى الاندثار بعد محاربته) والذي يدعى ثيوفيليس أي محب الإله وذلك سنة ٣٤٥ م، وقيل بل سنة ٣٥٦ م. وقد قام هذا القس ببناء كنيسة في عدن وكنيسة في ظفار الحميرية (القريبة من صنعاء). وكان انتشار النصرانية محدودًا رغم أن مملكة أكسوم (الحبشة) حاولت احتلال اليمن في عهد الملكة بلقيس بنت الهدهاد (وهي غير الملكة بلقيس الأولى في عهد سليمان والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم كملكة سبأ دون ذكر اسمها). وقد سمح الملك الحميري لثيوفيليس ببناء الكنيستين إحداهما في عدن لوجود تجار من اليونان نصارى الحبشة وغيرها، وفي ظفار لوجود وفود رسمية من نصارى الحبشة وغيرها، ونصارى اليمن من المذهب الموحد الأريوسي.

وقد دخلت المسيحية في اليمن قديمًا منذ عهد التبابعة، وذكر جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام "ج٢ / ٥٦٨ وحسن صالح شهاب عدن فرضة اليمن كتابًا بالخط المسند اليمني القديم بتاريخ ٤٦٠ ميلادية جاء فيه اسم " شهاب شرحبيل يكف ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم (طودم) أي) " رحمنن وبنهو كرشتسن غلبن " أي الجبال وتهتم (أي التهائم) وفيه عبارة الرحمن وابنه المسيح الغالب. وكذلك كان الملك حسان بن أبكرب أسعد الكامل وشرحبيل يعفر أبكرب والملك ذي أرا أمر أيمن، وكلهم كانوا نصارى واستمرت النصرانية مع اليهودية طوال القرن الخامس الميلادي، ونصارى نجران قصتهم مشهورة خلدها القرآن الكريم في سورة البروج.

وجاء وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة وعرض عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام فأبوا أن يدخلوا فيه وعندما حان وقت صلاتهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أين نصلي؟ فقال لهم: «**صلوا هاهنا**» (أي المسجد النبوي) فصلوا في المسجد واتجهوا إلى المشرق وهو قبلتهم التي وضعها لهم الإمبراطور قسطنطين الذي كان يعبد الشمس.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة هذا الوفد ومحاجّتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليهم المباهلة فأبوا أن يباهله وذلك عندما نصحهم رئيسهم أن لا يباهله عندما رأوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام وقد خرجوا للمباهلة فقل لهم رئيسهم: إن باهلتم هذه الوجوه هلتكم. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ

عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦١]. وقام وفد نجران بمصالحة الرسول ورضوا أن يدفعوا الجزية مقسمة مرتين في العام وطلبوا أن يرسل لهم رجلًا أمينًا لمعرفة تفاصيل الجزية فقال لهم سأرسل لكم رجلا أمين حقًّا أمين وهو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

ولهذا كانت في اليمن: اليهودية والوثنية والنصرانية، ثم لما جاء الإسلام دخل أهل اليمن في الإسلام وبقى بعض أهالي نجران على المسيحية الذين بقوا لفترة ثم تحولوا إلى الإسلام جميعا.

نصارى سقطرى

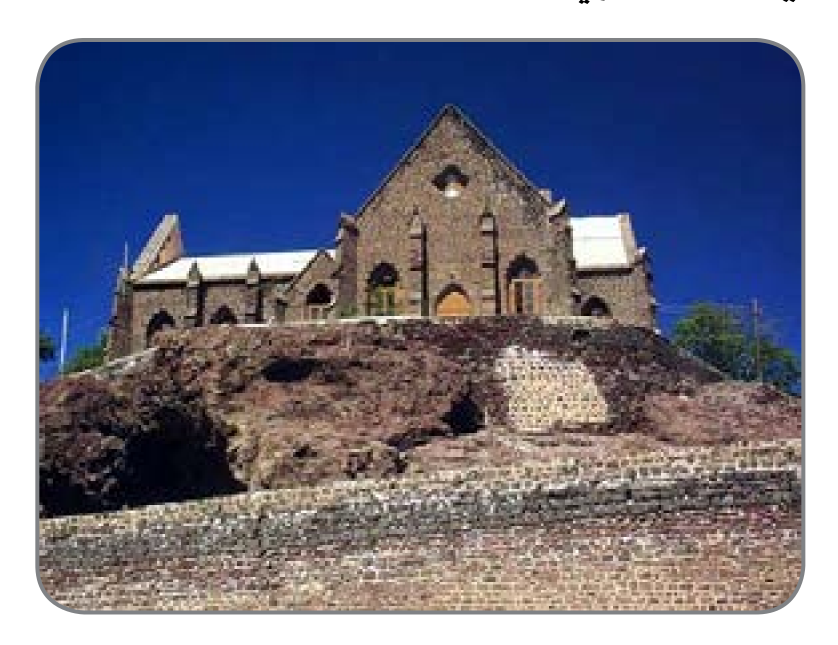
وكان في جبال جزيرة سقطرى مجموعة من النصارى الأريسيون الذين هربوا من اضطهاد القسطنطينية وروما، وبقوا فيها إلى العهد البرتغالي في بداية القرن السادس عشر الميلادي. ثم لما أصر البرتغال على تحويلهم إلى الكاثوليكية انضموا إلى المسلمين في مقاومة الاحتلال البرتغالي، وتحولوا جميعًا إلى الإسلام. وهو من عجائب الزمن، حيث إن الضغط الكاثوليكي هو الذي حولهم إلى الإسلام لسماحته.

وقد سجل المستشرق والرحالة نيبور في رحلته إلى اليمن انطباعه عن تسامح اليمنيين الديني مع اليهود والنصارى والهندوس، ولكن لم يكونوا يسمحون للهندوس بحرق جثث موتاهم.

كنيسة قديمة في البريقة

وفي البريقة كنيسة قديمة في منطقة صلاح الدين تم تشييدها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بالقرب من معسكرات الإنجليز، وبرجها مطلي بالنحاس ويوجد بها جرس كبير.

كنيسة سانت ماري

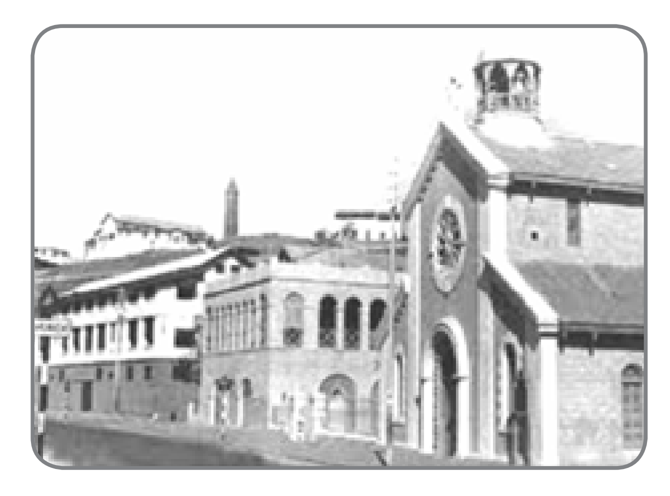


كنيسة القديسة ماريا في كريتر والتي تحولت إلى المجلس التشريعي

لقد بنيت هذه الكنيسة عام ١٨٧١ م على نهاية جبل المنصوري المطل على كريتر وكانت تدعى كنيسة القديسة ماري ثم تحولت إلى كنيسة إنجليكانيكية، ثم قام الإنجليز بجعلها مقرًا للمجلس التشريعي في عدن بعد أن فقدت وظيفتها الدينية، ولم يعد يرتادها أحد.

كنيسة سانت جوزيف





وهي كنيسة كاثوليكية تم بناؤها عام ١٨٥٠ م في كريتر، على طريق الملكة أروى وهي تقع أسفل ويمين كنيسة سانت ماري بالنسبة للخارج من كريتر في طريقه إلى باب عدن (العقبة). وفيها مدرسة خاصة للبنات ومدرسة للبنين وتدرس باللغة الإنجليزية ويشرف عليها مدرسون يتبعون الإرسالية الدنماركية (البروتستنتية) حسب اتفاق بينهم وبين الكنيسة الكاثولوكية التي تركت مهمة

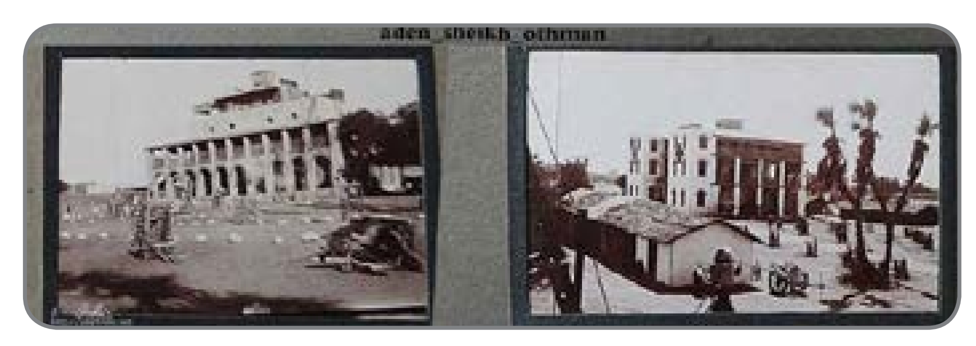
التعليم إلى الإرسالية الدنماركية والتي التزمت بنظام إدارة التعليم التي لا تسمح بتدريس الدين النصراني للمسلمين وبالتالي كانت مناهجها بعيدة عن الناحية الدينية ما عدا الأنشطة الثقافية حيث يدخلون بمهارة مناقشة الأديان ويعرضون من خلالها التعاليم المسيحية). وتقوم هذه الكنيسة بأخذ اللقطاء من الأطفال وتنصرهم وتعمدهم، وفي هذا الصدد نجحت في مهمتها).

وهناك العديد من الكنائس في التواهي حيث يعيش أغلب الموظفين الإنجليز والأجانب وشركات البواخر، ومنها كنيسة سانت أنتوني في رأس مرباط في التواهي وهي موجودة إلى اليوم، وقد قامت بافتتاح عيادات للنساء والأطفال، وهذا أمر منتشر في الكنائس حيث التركيز على هذه الشريحة من السكان في محاولة التنصير. وأعيد تأهيل كنيسة رأس مربط في التواهي عام ١٩٩٥ م بما فيها العيادات الملحقة بها.

الإرسالية الاسكتلندية في الشيخ عثمان (عدن) البروتستنتية



صورة لمستشفى الإرسالية الاسكتلندية من مجموعة عادل العولقي في
Ahmed Saeed Affara: A South Arabian Doctor Remembered، in)
.http: //pplcrwlr.co.no/docs/ahmed/aden، 2/4/2014)



مقر الإرسالية الاسكتلندية في الشيخ عثمان



صورة أخرى لمستشفى الإرسالية
http: //alamree.net/aden_p115/ww1-aden/aden1915_1918-6.jpg

قام أوين فولكنر بالاتصال بالكنيسة البروتستانتية الاسكتلندية في مدينة جلاسجو وشرح لها فكرته في إقامة دعوة تبشيرية مسيحية بجزيرة العرب تبتدأ من المستعمرة البريطانية في عدن وتستخدم الخدمات الطبية كوسيلة لاجتذاب المدعوين إلى المسيحية، واتصل بالحكومة البريطانية في عدن، لتسمح له بإقامة كنيسة.

وطلب قطعة أرض لبناء كنيسة ومستشفى صغير في قرية الشيخ عثمان، وأخذ الموافقة على ذلك سنة ١٨٨٥م.

وابتدأ ببناء الكنيسة والمستشفى الصغير كما يقول على نفقته الخاصة ثم تلقى دعما من الكنيسة الاسكتلندية وغيرها. وأخذ معلومات عن الطب والممارسة الطبية وبدأ بنفسه يجرب على المرضى المساكين الجهلة هوايته الطبية والتبشير، والله أعلم كم قتل من هؤلاء المرضى المساكين بسبب جهله بالطب. ثم استعان بطبيب حقيقي هو د. كوين وكان يقدم هذه الخدمات الطبية مجانًا.

ثم بعد فترة التحق بالمستشفى ممرضتان وطبيب آخر، وكانت تجرى عمليات جراحية مرتين في الأسبوع لمن يحتاج لذلك رغم اقتصار المستشفى على طبيبين وممرضتين فقط، وفي كثير من الأحيان لم يكن في المستشفى المذكور سوى طبيب واحد وممرضة واحدة. ومع هذا فإن تقديم الإنجيل لكل من يحضر المستشفى كان روتينيًا على اعتبار أنه المنقذ لهم في الدنيا والآخرة والشافي لهم من جميع الأمراض والأسقام.

ومات المبشر أوين فولكنر سنة ١٨٨٧م بحمى الملاريا ولم يستطع هو ولا أطباؤه أن ينقذوه منها. مع أن علاج الملاريا بالكينين كان قد عُرف آنذاك وهذا يدل على جهل هؤلاء مدعي الطب والذين يستخدمونه للتضليل ولدعوة السكان الفقراء الجهلة إلى المسيحية، ودفن فلكنر في مقبرة حقات في كريتر في عدن كما جاء في كتاب " التبشير في عدن " من إصدار دار المنظومة تأليف د. عبد الرحمن عبد الله الأحمري سنة ٢٠١٢م (ولا أعرف أن في حقات مقبرة لا للمسلمين ولا للنصارى).

وعمل في هذا المستشفى الصغير الدكتور اسكندر باترسون عام ١٨٨٨م ثم د. جون كاميرون ١٨٩٢-١٩٢٦م وقد اهتم هذا الطبيب بالناحية الطبية أكثر من اهتمامه بالناحية التبشيرية، وعمل فترة طويلة في هذا المستشفى الصغير بدون كلل وحقق بعض النتائج العلاجية الجيدة كما يقول.

وقد توقف المستشفى أثناء الحرب العالمية الأولى عندما قام الأتراك بقيادة سعيد باشا باحتلال لحج ثم الشيخ عثمان ولكن بانتهاء الحرب ١٩١٨م وانتصار الحلفاء على تركيا عادت هذه المناطق إلى حكم بريطانيا.

وبقي المستشفى بطبيب واحد وممرضة واحدة إلى عام ١٩٢٢ عندما صار للمستشفى ثلاثة أطباء وثلاث من الممرضات وفي تلك الفترة الطويلة لم تستطع الإرسالية الاسكتلندية ومستشفى فولكنر في تحويل أي أحد من سكان عدن ولحج وما حولها سوى ما ذكر من تنصير امرأة قوقازية تدعى فاطمة وشخص آخر من لحج يدعى الشيخ سالم.

ولم تستطع الإرسالية خلال مئة عام من تنصير سوى شخصين آخرين هما صياد مجهول الهوية وأحمد عفارة الذي أخذوه صغيرًا ثم درسوه الطب وصار طبيبًا في هذا المستشفى ثم ذهب إلى اسكتلندا وتوفي هناك عام ١٩٦٥م وتوفيت زوجته بعد ذلك سنة ٢٠٠٣م وبقي له ولد يعمل في جامعة كامبرج وثلاث بنات وكلهم على الدين النصراني كما يقول المؤرخ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عبد الله الأحمري.

د. أحمد سعيد عفارة (١٩١٠-١٩٦٨)



ولد الدكتور أحمد سعيد عفارة في منطقة الحسوة بالقرب من الشيخ عثمان ١٩١٠م وتعلم في مدرسة الإرسالية الاسكتلندية في الشيخ عثمان الذين اعتنوا به وتحول على ايديهم إلى النصرانية وبقي يدرس عندهم حتى عام ١٩٢٨م حيث أتقن اللغة الإنجليزية إتقانًا تامًا ودرس من العلوم ما يؤهله دخول كلية الطب في ادنبرة اسكتلندا بمساعدة الإرسالية.

وفي عام ١٩٣٢م ذهب إلى اسكتلندا لدراسة الطب وتخرج منها سنة ١٩٣٨م وأخذ بعدها دبلوم تخصص في أمراض المناطق الحارة والصحة العامة ثم أرسلته الإرسالية إلى فلسطين حيث كان لها نشاط كبير هناك مع مجموعة من الإرساليات المسيحية.

وتزوج الممرضة النصرانية الفلسطينية نصره معروف من رام الله وهناك تدرب على إجراء العمليات الجراحية مثل إخراج الحصى من الكلى وأتقن عمليات الماء الأبيض كاتركت الساد وهي عملية معروفة عند العرب منذ أكثر من ألف عام وصفها أبو بكر الرازي وأبو قاسم الزهراوي وصفًا دقيقًا.

وفي عام ١٩٤١م ذهب د. أحمد عفارة وزوجته نصرة وأختاها إلى عدن للعمل في مستشفى الإرسالية الاسكتلندية في الشيخ عثمان (مستشفى فولكنر والذي عرف فيما بعد بمستشفى عفارة) وعملت نصرة كممرضة في مستشفى الإرسالية في قسم الأطفال وتثقيف الأمهات بكيفية تغذية الأطفال. كما عملت على إيجاد مجموعة لقراءة الإنجيل لتجمعات نسوية (من نساء عدن) واشتركت هي وأختها رنا في هذا المجال التبشيري

وقد تمتع د. أحمد عفارة بسمعة جيدة لدى الأهالي لحسن خلقه وجودة عمله الطبي في الأمراض العامة والجراحة، وعمل على تدريب مجموعة من



الممرضين والمساعدين الصحيين في الشيخ عثمان.

وقد تعاونت الإرسالية مع الإدارة البريطانية في المحميات في إرسال الدكتور عفارة وغيره من أطباء الإرسالية إلى المناطق الريفية البعيدة لخدمة الأهالي من الناحية الطبية وتدريب مجموعة من المساعدين الصحيين في التمريض وغيره.

وفي عام ١٩٥٠م قام اتحاد الأطباء البريطانيين BMA بفتح فرع لهم في عدن تولى رئاسته الدكتور أحمد سعيد عفارة لمدة ثلاث سنوات.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأحمري في بحثه الموسوم " نشاط الإرسالية التبشيرية الاسكتلندية في عدن في ظل الاحتلال البريطاني " والذي نشرته مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس في العدد ٤٢ يونيو ٢٠١٧ من ص٢٤٥- ٣٢٦: " ففي مقابلة مع أحمد سعيد عفارة عام ١٩٥٨م م سئل عن عدد الذين اعتنقوا المسيحية وعُمّدوا في جنوب الجزيرة العربية عمومًا قال: "...حوالي عشرة بالغين وأربعة أطفال في كل الإرساليات في عدن خمس إرساليات"بالإضافة إلى أخ زوجته وهو من فلسطين، وصوماليين اثنين فقط. ويقول: أن سبب الفشل هو قوة الإسلام في قلوب أبناء جنوب الجزيرة العربية هو السبب الأساسي في فشل التبشير، كما يرجع بعض الباحثين الفشل إلى اختلاف الكنائس المسيحية الشديد ".

وفي عام ١٩٦١م استقال من وظيفته في مستشفى الإرسالية وعمل في عيادته الخاصة في الشيخ عثمان، ومع هذا فإن صحته العامة لم تساعده على الاستمرار بالعمل طويلًا ونصحه زملائه الأطباء بالذهاب إلى اسكتلندا مرة أخرى.

وفي عام ١٩٦٤م ذهب إلى اسكتلندا (أدنبرة) مع زوجته وأطفاله حيث عمل عملًا خفيفًا في عيادة طبية جماعية للأطباء العامين (General Practitioners).

وفي ١ مايو ١٩٦٨م وافته المنية بسبب ذبحة صدرية مفاجئة وكان عمره آنذاك ٥٧ سنة وبضعة أشهر.

ورثته الإرسالية الاسكتلندية وكل من عرفه من محبيه ومرضاه كما رثته المجلة الطبية البريطانية BMJ في ٨ يونيو ١٩٦٨م وعاشت زوجته مع ابنها وبناتها الثلاث في اسكتلندا ووافتها المنية في ٢٠٠٣م، وأما أولاده فهم يعملون في مناصب مرموقة. (مصدر هذه المعلومات الموثقة من الأخ العزيز الدكتور عادل عولقي الذي عرف د. عفارة معرفة شخصية والأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأحمري الذي أخذ شهادة الدكتوراه من اسكتلندا في التبشير في جزيرة العرب، وقد أشرنا إلى ما كتبه فيما سبق).

الإرسالية الدنماركية في عدن (١٩٠٤-١٩٦٤)

مرحلة التأسيس

أسس أولف هوير الإرسالية الدنماركية في الخليل بفلسطين سنة ١٩٠٢م ثم انتقل إلى دمشق ولكنه اقتنع بعدم جدوى عمله ذاك لوجود عشرات الإرساليات الغربية المتنافسة، وعندما ظهر مقال المبشر المشهور زويمر الذي يدعو إلى غزو جزيرة العرب نفسها بالتبشير وبالذات في حضرموت اقتنع بهذه الفكرة لأهميتها في محاربة الإسلام وتحويل ما سماهم الوثنين -أي المسلمين- إلى الوحدانية -أي المسيحية التثليثية- وقرر الذهاب إلى المكلا عبر عدن التي وصلها بطريق البحر سنة ١٩٠٣م، وقد أكرمه السلطان

عوض بن عمر القعيطي واستضافه في قصره -وكان يصحبه مسيحي سوري يدعى مسجد عبود- لكونه عربيًا يحسن التفاهم مع قومه العرب، وقد أعجب أولف هوير بثقافة السلطان عوض وسعة صدره وكرمه وإجادته اللغة الإنجليزية، وقد سمح له السلطان التجوال في المكلا وغيرها، ثم عاد إلى عدن ليرتب أموره مع السلطة البريطانية التي كانت تحكم عدن حكمًا مباشرًا، وتحكم المحميات بواسطة مستشار إنجليزي فقط.

وبعد أن رتب أموره وعاد إلى المكلا مرة أخرى ولكنه لم يجد الحفاوة السابقة من السلطان بل أهمل إهمالًا تامًا ويبدو أن السبب في ذلك هو معرفة السلطان لأغراضه التبشيرية ومحاولته إخراج المسلمين عن دينهم، بالإضافة إلى تخوف السلطة البريطانية من وجود شخص دنماركي ربما يعمل لمصلحة بلاده أو غيرها ضد مصالح بريطانيا.

وعندما رجع إلى عدن اتفق مع دكتور كامرون طبيب الإرسالية الاسكتلندية عام ١٩٠٤م على أن تقوم الإرسالية الدنماركية بالتعاون التام مع الإرسالية الاسكتلندية وأن تستمر الإرسالية الاسكتلندية في المجال الطبي وأن تتخصص الإرسالية الدنماركية في المجال التعليمي والتبشيري، وقد استأجر منزلًا بالقرب من الكنيسة الاسكتلندية في الشيخ عثمان ليكون الاتصال مستمر بينهما، وأقام مدرسة للتدريب المهني في أرض الإرسالية في الشيخ عثمان وقد انضم إليها عشرين طالبًا، ولكن الغالبية انسحبوا بسبب محاولات التنصير المستمرة من الإرسالية ولم يبقَ منهم سوى ستة طلاب فقط.

وانتقل أولف هوير إلى كريتر وافتتح مدرسة لتعليم النجارة سنة ١٩١٠م والتي استمرت إلى عام ١٩٣٣.

وقد اهتم أولف هوير بتعليم البنات وأسس مدرسة في كريتر ضمت ٤٠ فتاة عام ١٩١٧ والتي استمرت حتى ١٩٧٠م، وركزت على تعليم الخياطة والتطريز واللغة الإنجليزية مع التبشير، وفي عام ١٩٥٠ كان عدد الطالبات قد ارتفع إلى ١١٨ طالبة، وبما أن هذه المدرسة كانت مدعومة من حكومة عدن المحلية والتي تشترط أن يكون الدين الذي يتعلمه الطلبة هو دين الوالدين ولهذا اعترضت السلطة المحلية على تعليم النصرانية وطلبة من الإرسالية تعليم القرآن وذلك سنة ١٩٥٦م. وقد رفضت الإرسالية تعليم القرآن باعتبار أن هؤلاء الطالبات يدرسن القرآن في بيوتهن وفي الكتاتيب واحتالت لتدريس النصرانية باجتماعات غير منهجية أسبوعية لمناقشة تعاليم المسيح.

التعاون بين الإرسالية الدينماركية والإرسالية الكاثوليكية

وكانت الإرسالية الكثوليكية تركز جهودها على النصارى الموجودين في عدن وخاصة الهنود كما تأخذ اللقطاء والأيتام لتربيتهم في حضن الكنيسة فيصبحوا نصارى دون مشقة، وقد اتفق هوير مع الإرسالية الكثوليكية على افتتاح مدرسة للبنين وعرفت باسم مدرسة البادري، وهي تعلّم من الابتدائية باللغة العربية والإنجليزية وفي المرحلة الثانوية باللغة الإنجليزية فقط وتتماهى مع المناهج التعليمية في عدن من ناحية الرياضيات والعلوم وغيرها ولكنها لم تكن تدرس أي دين، وتعتمد على بث التعاليم النصرانية في النشاط غير المنهجي والندوات التي تعقد.





هذا هو بيت الشريف (الرفاعي) في كريتر عدن (حافة القاضي - الشريف) وقد أُجِّر جزء منه للإرسالية الدنماركية التي اتخذت منه سكنًا في الدور العلوي، وفي الدور الأرضي مقرًا لكنيسة بروتستانتيه بسيطة، وقد حدث حريق في الكنيسة عام ١٩٦٤ وغادرت الإرسالية عدن بعد هذه الحادثة وانتشار المقاومة المسلحة ضد المحتل البريطاني.

تجربتي مع الإرسالية الدنماريكة في حافة القاضي

ومبنى الإرسالية قريب من بيتنا، ويقيمون قُدَّاسًا صباح كل يوم أحد (وهو يوم الإجازة الرسمية في ذلك الوقت للمدارس وغيرها) وكانوا يقدمون لمن يحضر من الأطفال البسكويت والكيك وبعض العصائر المعلبة، وكنت أحضر هذا الاحتفال.

وكان يقوم بالقُدّاس القسيس وابنتاه آنا ومرتا، وكان الأطفال يحضرون من أجل البسكويت والحلويات وأما المراهقون فكانوا يحضرون من أجل آنا ومرتا.

وأذكر أن القسيس كان يبدأ صلاته بقول: قل هو الله أحد، ثم تتحول مباشرة إلى ثلاثة: الله الأب، ويسوع الابن، والروح القدس. هم ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، هكذا يقول.

وكان من المستحيل أن نقبل هذا الكلام الملخبط وغير المنطقي والذي يرفضه حتى الأطفال، كيف يكون واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد؟ وعندما سأله أحد الأطفال كيف يمكن أن يكون واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد؟ أجاب أن هذا سرٌ من أسرار الألوهية والذي لا يعرف غوره سوى الله نفسه، وهذا أيضًا كلام غير مقنع.

وكان هذا دافعًا لي فيما بعد لدراسة النصرانية واليهودية والكتاب المقدس دراسة معمقة، مما جعلني أكتب فيها عدة كتب أصبح بعضها مراجع في بعض الجامعات لدراسة الكتاب المقدس والأديان المقارنة.

"الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم" و"المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم" و"دراسة في العقائد النصرانية المعاصرة".

ورغم أن بريطانيا احتلت عدن منذ ١٨٣٩ وكثرت فيها الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية مع تقديم خدمات طبية مجانية في مستوصفات عدة ومستشفى في الشيخ عثمان، إلا أنها لم تنجح إلا في تحويل عدد قليل من الأفراد وعدد آخر من اللقطاء الذين أخذتهم الكنيسة الكاثوليكية وهم أطفال رضع.

وكانت الخدمات الطبية في المستوصفات تركز على الأطفال والنساء وذلك لاستقطابهم للكنيسة ويقدمون خدماتهم بأسلوب ذكي ومعاملة حسنة ومعها جرعات من الدعوة المسيحية وبعض المنشورات والكتيبات النصرانية.



وتتميز الكنائس البروتستانتية ببساطتها وعدم وجود أي تماثيل فيها، وتكتفي بوجود صليب، وأحيانًا بصورة يسوع المصلوب، بينما تحتوي الكنائس الكاثوليكية على العديد من التماثيل مثل: تماثيل مريم ويسوع بالإضافة إلى الصلبان المتعددة وكثرة الزخارف في بناء الكنيسة.

الإرسالية الدنماركية تفتح مكتبة هامة في كريتر

وقد قامت الإرسالية الدنماركية بافتتاح مكتبة في شارع الملكة أروى (شارع اسبلانيد سابقًا) وهو أهم شوارع كريتر وكانت فيها كتب للبيع ومجلات مختلفة بالإضافة إلى الكتب والمنشورات المسيحية، التي توزع مجانًا أو بسعر رمزي، كما كانوا يقومون بالاستجابة إلى طلبات رواد المكتبة بإحضار كتب خاصة أو مجلات خاصة من أوروبا وأمريكا بسعر معتدل جدًا.

ويقول الدكتور عبد الرحمن عبد الله الأحمري في بحثه الإرسالية الدنماريكة في عدن المنشور في مجلة كلية الآداب عدد ٥٦ يناير عام ٢٠١٥م، ص ٣٧١-٤١٥ عن هذه المكتبة: "إن المكتبة كان فيها غرف للقراءة تمتد عدة ساعات يوميًا ويرتادها عدد غفير من القرَّاء من أبناء عدن وغيرها من المسلمين واليهود والنصارى، وأبناء الصومال وحضرموت والخليج العربي وشرق إفريقيا، كما كانت تبيع مجموعة كبيرة من مختلف الكتب الدراسية والمراجع العلمية والتي كان يبحث عنها الكثير من طلاب المدارس الثانوية وغيرها، وكانت أيضًا توفر الكتب والمراجع الخاصة التي يطلبها بعض رواد المكتبة وتشتريها لهم من مكتبات أوروبا وتبيعها بسعرها الحقيقي مع إضافة ربح معتدل مقابل الخدمات، وقد أقامت المكتبة صلات مع أعضاء المجتمعات والمؤسسات في كريتر، وبالإضافة إلى الكتب العامة والتعليمية وزعت

المكتبة مئات الكتيبات والنشرات المسيحية والأناجيل بسعر منخفض جدًا، وكان دخل المكتبة من مبيعات الكتب العلمية والمجلات وغيرها يعوض الخسائر المحدودة الناتجة عن توزيع الكتيبات والنشرات المسيحية ويجعل هناك فائضًا من أرباح المبيعات، وقد وصلت الكتب والنشرات المسيحية إلى اليمن وشرق إفريقيا وغيرها.

وقد لاحظ نلسن أثناء وجوده في عدن وجود مجموعات من الناس تتلقى دروسًا إنجيلية في المكتبة بانتظام.

وقد عمل في قسم المبيعات مبارك إبراهيم الحضرمي والذي تنصر في هذه الإرسالية، وإن كان لا يظهر ذلك إلا لبعض أصحابه، وقد تنصر أيضًا على يد رجال هذه الإرسالية الدنماركية محمد حسين البيحاني وعبدالله محمد العولقي". وقد ذكرنا أن من تنصر خلال مئة وثمانية وعشرين عامًا من الحكم البريطاني في عدن والنشاط التبشيري فيها عدد ضئيل لا يزيد عن بضعة أشخاص كما ذكر ذلك دكتور أحمد عفارة أحد الذين تنصروا من أبناء عدن.

علاقتي بالدكتور فودري في عدن

وقد عرفتُ بعد أن عدت من مصر وعملت في عدن كطبيب (١٩٦٥-١٩٦٨) أحد الأطباء الذين يعملون في التبشير وهو الدكتور فودري الإنجليزي الذي عمل في وزارة الصحة كما عمل في الإرسالية الاسكتلندية والدنماركية، وتوطدت بيني وبينه المعرفة والصداقة وبدأنا نتناقش في الكتاب المقدس والأناجيل وإنجيل برنابة الذي أنكر ألوهية عيسى عليه السلام كما أنكر صلبه، وأن الذي صُلب هو يهوذا الأسخريوطي الخائن الذي باع يسوع بعدة دراهم (شيكلات) فزعم فودري أن إنجيل برنابة كتبه أحد القسس الذين فروا من

الفاتيكان إلى الدولة العثمانية عندما أسلم، والواقع أن هذا القسيس كان يعمل في مكتبة الفاتيكان نفسها (روما) وأنه اطلع على هذا الإنجيل الذي أخفته الكنيسة فأسلم بعد ذلك ونسخه ثم فَرَّ إلى الدولة العثمانية وأظهره هناك.

والعجيب أن أهل عدن لهم كلمات مميزة فهم يطلقون على ما يسمى المبشر لفظ المغوّي، أي: الذي يغوي الناس عن دينهم ويصرفهم عنه كما أغوى الشيطان آدم عليه السلام، وأطلقوا على مركز الماسونية في عدن اسم بنجلة الشيطان لأن الشيطان يعمل فيها بقوة.

ويبدو أن فودري كان أحد الذين رشحوني أن أكون مديرًا لمستشفى الملكة بالنيابة عندما بدأ الإنجليز بمغادرة عدن. وقد عرفت فيما بعد أن فودري كان مسؤولًا عن معهد تخريج الممرضين في عدن، وفي السنة الأولى يعرض عليهم الدخول في النصرانية وإذا قبلوا النصرانية يتم إرسالهم إلى بريطانيا لدراسة التمريض لمدة ثلاث سنوات ويعودون كممرضين مُعترفًا بهم دوليا SRN، ومن يرفض الدخول في النصرانية يكتفى بدراسته سنة واحدة فقط ويتخرج كمساعد ممرض.

وعندما عملت كمدير مستشفى الملكة اليزابيث في عدن حينما بدأ الإنجليز الهروب من عدن عرفت بعض هؤلاء الممرضين الذين ذهبوا إلى بريطانيا لدراسة التمريض فأخبروني أنهم اضطروا لقبول النصرانية حتى يحصلوا على المنحة الدراسية ولكنهم في الواقع لم يكونوا مسيحين أبدًا، وللأسف تحول بعضهم إلى الماركسية. وعندما قابلت دكتور فودري مرة أخرى في بريطانيا قلت له أنت حولتهم من الإسلام إلى الماركسية وليس إلى المسيحية. وعلى كل حال تحول بعض أبناء عدن والمحميات واليمن الشمالي في تلك الفترة

إلى الماركسية وفقدوا دينهم وكانوا سببًا في المآسي التي حدثت والاقتتال المتكرر بين الفئات المختلفة من هؤلاء الماركسيين وغيرهم.

علاقتي بالدكتور فودري في القاهرة

وعندما عدت إلى القاهرة مرة أخرى اتصل بي الدكتور فودري وأخبرني أنه سيأتي إلى القاهرة فذهبت إليه في الفندق وقلت له: أين تريد أن تذهب؟ عندنا نادي المعادي نادي جميل مطلّ على النيل، فقال: لا، لا أريد هذا قلت له: أين تريد أن تذهب؟ فقال: أن تذهب بي إلى الأزهر إلى المعالم الدينية فذهبت به إلى مسجد الأزهر بعد صلاة العصر، فسألني أين قبر جوهر الصقلي والمعز الدين الفاطمي (الذين أسسا الأزهر ومدينة القاهرة)؟ فقلت: لا أعرف، فسألنا موظف المسجد فدلَّنا على مكانهما، ثم سألني أين كانت تقام دروس المذاهب الأربعة؟ فقلت: لا أعرف، فدلَّنا موظف الأزهر على أماكنها، واستغربت منه هذه المعلومات والأسئلة التي لم يسألها أحد منا رغم مكوثنا في مصر لفترة طويلة، ثم ذهبت به إلى مسجد الحسين الذي كان قريب جدًا من الأزهر ودخلنا إلى المسجد ثم ذهبنا إلى زيارة قبر الحسين والناس يدخلون من باب ويخرجون من باب آخر، فلما رأوا رجل أشقر كان بعضهم يقول الله اكبر الله اكبر بصوت عالي (يظنونه قد أسلم وهو يوقفهم من ذلك ويقول لهم أنا لست مسلم، فأقول له اسكت اسكت) وأتممنا الزيارة وخرجنا من الباب الآخر، وتجولنا في منطقة الأزهر وأمضينا أمسية ممتعة.

وقد ساعدني دكتور فودري عندما ذهب إلى بريطانيا في الالتحاق في مستشفى الوطني للأمراض العصبية National Institute of Neurology في منطقة كوين سكوير Queen Square في وسط لندن.

وهذا مستشفى يعتبر من أهم المراكز في العالم في دراسة الأمراض العصبية ويأتيه الأطباء الذين يرغبون في دراسة الأمراض العصبية من كل مكان من الولايات المتحدة وكندا واستراليا وأوروبا.

وقد استطاع الدكتور فودري أن يسجلني للدراسة في موعد محدد في يناير ١٩٧٠م، والغريب أنه لم يدفع أي مبلغ ولم يطلبوا ذلك منه، ودفعت المبلغ عندما بدأت الدراسة في هذا المعهد.

كما قام الدكتور فودري بالاشتراك باسمي في مجلة الكلية الملكية للأطباء العموميين.

علاقتي بالدكتور فودري في بريطانيا

وعندما كنت في بريطانيا اتصل بي الدكتور فودري ودعاني إلى بيته ولكنه طلب مني أن أحضر معي زوجتي وأن تحضر طعام الغداء العدني معها وخاصة وجبة الزربيان المطبوخ من الرز والزعفران والأبازير (البهارات) واللحم، لأنه اشتاق إلى هذه الوجبة ولم يأكلها منذ زمن طويل ففعلنا ذلك، وبعد أن استقرينا في منزله اسمعني شريطًا سجله وهو في منارة ميدان عدن الذي قال أنه سكن فيها ثلاثة أيام. ويتضمن الشريط آذان الفجر بصوت المؤذن محمود عجينة الشجي الجميل والذي كان يتلو قبل الآذان قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤] وكان يدعو بعد هذه الآيات بدعاء طويل جميل خاشع.

وعندما طلبت أن أدخل التواليت وجدته واضعًا الكتاب المقدس على علبة السيفون (الكابينيه) وعندما خرجت قلت له: ماذا تفعل؟ أتضع كتابك المقدس فوق مكان البول والبراز؟! فقال أنا اقعد أقرأ فيه عندما أتبرز فضحكت وقلت هذا أفضل مكان تقرأ فيه الكتاب المقدس.

زيارتي للكنائس الكبرى

وكنت في أثناء دراستي في بريطانيا وعند زيارتي لكثير من البلدان الأوروبية أذهب إلى مختلف الكنائس الكبرى بما فيها كاتدرائية القديس بولس (st Paul) في لندن ومن الكنائس الهامة كنيسة نوتردام والقلب المقدس في باريس وكنيسة القديس بطرس في الفاتيكان وهي أكبر الكنائس الكاثوليكية في العالم، وملحقًا بها السستين وفيها الأعمال الفنية لمايكل أنجلو وروفائيل، وقد رسم مايكل أنجلو على سقف الكنيسة من الداخل صورة الله على هيئة بشر ضخم كبير وفي يده صورة طبق الأصل منه وهو آدم، ثم اكتشفتُ بعد أن ذهبت إلى اليونان وزرت في أثينا معابدها (ألأكروبولس وهو تل مرتفع في أثينا ومسكن الآلهة عندهم) أن صورة الله التي رسمها مايكل أنجلو هي صورة زيوس (كبير الآلهة ورب الأرباب) عند اليونان.

وقد ذهبت إلى الفتكان مرة كسائح ومرة ممثلًا عن الدكتور عبد الله ناصيف لمقابلة مندوب البابا ومناقشة موضوع مؤتمر السكان الذي سيعقد في القاهرة (١٩٩٤) وفي تلك المرة أيضًا أكرموا الوفد بزيارة السستين زيارة خاصة

ولم يكن معنا غير بعض القساوسة الذين يشرحون بعض التفاصيل، وكان المفروض أن نقابل البابا ولكنهم اعتذروا لمرضه وقابلنا نائبه.

والغريب أن السنفونيات المشهورة تُعزف في الكنائس الكبرى وقد حضرت في كنيسة كبرى في ألمانيا حفلة عزفوا فيها إحدى سنفونيات موزارت على أكبر أورغن وهو أكبر آلة موسيقية في أوروبا، كما حضرت في كنيسة نوتردام في باريس حفلة عُزفت فيها سنفونية موزارت. وقد حضرت أيضًا في إسطنبول في تركيا قديمًا حفلًا عزفت فيه سنفونية بتهوفن، والواقع أنني لم أتذوق هذه السنفونيات ولا أستطيع أن أدعي أني تذوقتها في أي يوم من حياتي، ولكني حضرتها للتعرف عليها وكيف ارتبطت بالكنيسة وأصبحت جزء منها.

نجد أن الكنيسة الكاثوليكية بالذات اعتمدت في اجتذاب الجماهير والناس على زخرفة كنائسها واستخدام الفنانين والنحاتين ووضع الكثير من التماثيل الفنية والرسوم الجميلة في داخل تلك الكنائس أو ملحقاتها كما استخدموا الموسيقى من أعلام الفنانين المشهورين عندهم لاجتذاب من يهوون الموسيقى وخاصة الموسيقى الكلاسيكية والسيمفونية، وهكذا يقبل الكثير من الناس على هذه الكنائس لمشاهدة التماثيل واللوحات الفنية ولسماع الموسيقى الراقية، وإن كانوا لا يهتمون بالعقائد المسيحية ذاتها.



الفصل التاسع
الزرادشتية (المجوس) في اليمن

كان الفرس (المجوس) قد دخلوا اليمن منذ عهد سيف بن ذي يزن الحميري الذي ثار على حكم الحبشة واستبدادهم وحكم أبرهة وابنه أكسوم من بعده، ثم مسروق الابن الثاني لإبرهة. وقد اختار الثوار سيف بن ذي يزن، فذهب أولًا إلى القسطنطينية فرفض القيصر أن يمده بالرجال أو السلاح للتحالف بين بيزنطة والحبشة، فذهب إلى ملك فارس كسرى أنو شروان سنة ٥٧٤م، فأمده بالجنود وبعض المساجين. فذهب سيف بن ذي يزن إلى عدن مع القوات الفارسية، وقامت معركة حامية قتل فيها ملك الحبشة مسروق، ودخل وهراز قائد الفرس وسيف بن ذي يزن عدن ثم سقطت صنعاء بعد ذلك، وكان من الطبيعي أن يبقى الفرس في اليمن، وتزوجوا من اليمنيات فأنجبوا منهن الأبناء وكان منهم الحكام، وأسلم باذان كبيرهم فأقره الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حكم صنعاء، وأسلم جميع هؤلاء الفرس بإسلام باذان واختفت المجوسية الزرادشتية من اليمن بإسلام من فيها.

وعندما دخل الإسلام إلى فارس (إيران) أسلم الكثير منهم وفر بعضهم إلى الهند حيث بقوا هناك وعرفوا باسم البارسي، واشتغل أكثرهم بالتجارة وكانوا ماهرين فيها، وخاصة بعد دخول الإنجليز إلى الهند.

دخول الزرادشتية بعد الاحتلال البريطاني لعدن

وعندما استولى الإنجليز على عدن بقيادة القبطان هنس سنة ١٨٣٩م كان معظم جنوده من الهندوس، واستقر كثير من أهل الهند من الهندوس والمسلمين من الهند والبارسي (الزرادشتيون) في عدن، وقد كان الزرادشتيون تجارًا ماهرين وتعاونوا مع بريطانيا في عدن كما كانوا يتعاونون معها في الهند.

وكان منهم تجار مثل كاوجي لالجي (وهم يبيعون الخمور أيضًا) وقد أسسوا أول مطبعة في عدن.

زميلي روسي هوديوالا في كلية عدن

ومنهم الدكتور هوديوالا الذي تولى منصب مدير مكتب الصحة العامة في عدن. وكان له ابنان يدرسان في كلية عدن أحدهما كان معي في صفي واسمه روسي هوديوالا، وقد توطدت الصداقة بيني وبينه ومجموعة من الزملاء وكان يدعونا إلى بيت والده الكبير والجميل الذي يقع على ساحل صيرة.

معبد الزرادشتيين ومبنى للموتى في الطويلة

ولهؤلاء الزرادشتيون معبد في كريتر كما كان لهم في حديقة الطويلة مبنى للموتى على سفح جبل، والغريب أنهم لا يدفنون ولا يغطون جثث موتاهم ويتركونها لتنهشها العقبان والنسور، ولست أدري ما الذي يدعوهم إلى ترك موتاهم لتأكلها العقبان والنسور، ولعلهم يريدون أن تذهب أجساد وأرواح موتاهم إلى السماء حيث تعيش النسور والعقبان.



المكان الذي يوضع فيه موتى الفرس، بني في عام ١٩٣٥ م.

الزرادشتيون يسيطرون على التجارة وينافسون اليهود

وكانوا مشهورين بلباقتهم ونظافتهم ويتعاملون بدقة ومهنية عالية مع كافة الفئات، ولكن أكثر تعاملهم كان مع الإنجليز والأوربيين الموجودين في عدن، ويوفرون لهم ما يريدونه من أنواع الخمور والثياب والساعات بل والسيارات.

وكان ركاب البواخر كثيرًا ما يرتادون حوانيت التواهي وكان أكبرها وأجملها حوانيت كواجي دينشو البارسي، كما كانت لهم مساهمة في الفنادق والعمارات وبذلك كانوا أخطر المنافسين لليهود، بل قد تفوقوا على يهود عدن في تجارتهم ومعاملاتهم.

عبادتهم للشمس والنار

والفرس يمجدون النار والشمس ويعبدونها، وقد رأيتهم (وكان معي الأخ عبد المجيد الزنداني وكنا في جبل حقات) وهم يسجدون للشمس عند بزوغها وطلوعها.

وهم يسمون المثنوية لأنهم يعتقدون بإلهين: إله الخير وإله الشر، والمعركة بينهما سجال حتى قرب نهاية العالم عندما ينتصر إله الخير ويقتل إله الشر.

تحول معبد الفرس إلى مسجد سلمان الفارسي

ولم يعد في عدن بعد الاستقلال أي زرادشتي مجوسي، وبالتالي تحول معبدهم إلى مسجد سلمان الفارسي بعد تحقيق الوحدة.



الفصل العاشر

الهندوس في عدن

معبد الهندوس في كريتر



هذا واحد من معابد الهندوس في عدن، ويقع في شارع حسن علي في كريتر.

أكثر هذه المعابد شهرة هو معبد هتنجراج ماناجي، ومعبد هانومان في طريق غاندي، ومعبد جيان سويتجر في سوق البز (القماش)، ومعبد فايشناف سريناجي في شارع بنين، وكلها في كريتر عدن.

من المعلوم أن الهندوس كانوا يأتون إلى عدن للتجارة منذ أقدم الأزمنة وكانوا موجودين في العصور الإسلامية، وكانت لهم معابد في عدن ولكن لم يكن يسمح لهم بحرق موتاهم كما كان معتادًا عندهم.

ومع دخول الإنجليز إلى عدن واحتلالهم لها عام ١٨٣٩ م، اعتمد القبطان هينس ومن أتى بعده من حكام عدن على الهنود كموظفين وتجار، وظهرت لهم في عدن عدة معابد ومدارس وأحياء، وكانت صلاتهم قوية وودية مع الأهالي وأكبر أعيادهم يعرف باسم دي والي،ويوزعون به الحلويات الهندية المشهورة على جميع الأهالي وكنا نحن الأطفال نفرح بهذه الهدايا من الحلويات اللذيذة، وكان لي أيضًا صديق اسمه السيد محمد الكبسي (يلقب بالناش) وكان على صلة بأحد قساوسة هؤلاء الهندوس، وقد ذهبت معه مرة إلى هذا الشخص الذي كان لطيفًا والذي قدم لنا الحلويات الهندية الجيدة المشهورة، وسألته عن بعض عقائد الهنود فشرح لي بعضها وأنهم يعبدون إله الكون المنبث في هذا الكون وله مظاهر عدة ولهذا يعبدون هذه المظاهر ويقدسونها ومن بينها البقرة، وهم نباتيون ويحرمون ذبح الحيوانات ويؤمنون بتناسخ الأرواح وأن الإنسان بعد موته قد تذهب روحه إلى أحد الحيوانات، ولهذا يحرّمون ذبحها، وعندهم أن الإنسان إذا مات يحرقون جسده لتنطلق روحه فإن عمل خيرًا اتصل بالأرواح الخيرة ووصل إلى مرحلة النرفانة أي السعادة الأبدية المطلقة، وإن كان غير ذلك فتذهب روحه إلى أحد الحيوانات ثم يترقي تدريجيًا حتى يصل إلى جسد إنسان صالح فإذا مات انطلقت روحه

مع الأرواح الخيرة لتصل إلى مرحلة النرفانة (السعادة الأبدية) المتصلة بروح الكون.

وقد هرب الهندوس جميعًا أثناء معارك الاستقلال في الستينات من القرن العشرين، ولم يبق إلا المسلمين الهنود الذين كانوا منذ زمن طويل ينسجمون ويمتزجون مع أبناء عدن ويصيرون من أهلها. وقد دخل قليل من هؤلاء الهندوس الإسلام، وكانت علاقاتهم مع أبناء عدن ودية رغم إحساس أبناء عدن بأن الإنجليز يفضلونهم عليهم، وللهندوس في عدن عدة معابد وعدة مدارس، ولكنها كلها انتهت بعد الاستقلال بسبب مغادرة الهندوس الجماعية لعدن.



الفصل الحادي عشر
الرحلة إلى مصر والدراسة فيها

الرحلة إلى مصر ١٩٥٨م

في عام ١٩٥٨ كنت في كلية عدن للدراسة في المستوى العالي لشهادة الثقافة العامة من لندن وكان أستاذ الفيزياء المستر رينولدز إنجليزيًا متعصبًا ضد العرب ويكرهه جميع الطلبة، على عكس جميع الأساتذة الآخرين الإنجليز والاسكتلنديين والأرلنديين الذين كانوا يحبون العرب ويحبهم الطلبة.

وكان أخي أحمد قد سبقني إلى القاهرة قبل عامين وآخذ الثانوية فيها، وقد تأهل والدي وتزوج امرأة فاضلة من آل البار الذين توطنوا مصر هي الدكتورة فايزة حسن البار.

وعندما شكوت إلى والدي سوء معاملة أستاذ الفيزياء طلب مني أن أذهب إلى مصر لإن شهاداتي تكفي لدخول الجامعة كلية الطب، فسافرت إلى القاهرة في صيف عام ١٩٥٨ وتم قبولي وتسجيلي في كلية الطب جامعة القاهرة مع أخي أحمد وزميلنا في ذلك الوقت سالم أحمد اليافعي، وحصلت على منحة دراسية من الحكومة المصرية التي فتحت أبواب جامعاتها لكافة الطلبة من البلاد العربية وخاصة من فلسطين واليمن، ومن ميزات الرئيس عبد الناصر أنه جعل التعليم الجامعي مجانيًا لجميع الطلبة المصريين وللطلبة العرب كما

قام بإعطاء العديد من المنح لهؤلاء الطلبة وأقام مدينة البعوث الإسلامية في الأزهر الشريف لاستقبال الطلبة والمسلمين من كافة أرجاء العالم الإسلامي للدراسة في الأزهر الشريف، وللحق أن عبد الناصر كان زعيم الأمة العربية دون منازع وله شعبية كاسحة، ولم يكن عبد الناصر مثل الرؤساء الذين أتوا بعده الذين أثروا من مناصبهم، وكان معروفًا بعدم اهتمامه بنهب الأموال واكتنازها بل كان كل همه أن يكون قائد الأمة وبطلها، ولكنه لم يسمح لأي أحد بمعارضته بأي شأن من الشؤون.

وأخذت دروسًا خاصة مع أخي أحمد مع أستاذ قدير في الفيزياء قبل دخول الجامعة لمدة قصيرة وكان متمكنًا من مادته وقديرًا في شرحه.

إعدادي طب (في كلية العلوم)

وكان لابد لطلبة الطب البشري والبيطري والصيدلة والأسنان أن يدخلوا كلية العلوم لمدة سنة وتسمى إعدادي طب، وكان عددهم يبلغ الألف أو يزيد، وبفضل الله وكرمه جئت الأول على هذا العدد الكبير فاطمأنت نفسي.

دكتور مشرفة وأنشتاين

وقد دخلنا إلى مدرج كبير جدًا وفيه صورة للأستاذ الدكتور مشرفة وأخبرونا أنه كان من أوائل من تكلم بالنظرية النسبية في الفيزياء والتي اشتهر بها أنشتاين ورغم أن هناك عددًا من العلماء من مختلف بلاد العالم تكلموا في هذه النظرية قبل وأثناء وبعد أنشتاين إلا أن أجهزة الإعلام اليهودية كرست كل جهودها إلى إظهار عبقرية أنشتاين فقط على أنه العبقري العظيم هو أول من جاء بالنظرية النسبية وأنه أعظم عقل مفكر في التاريخ الإنساني.



ولا شك أن أنشتاين عبقري ولكنه ليس بوحيد وليست النظرية النسبية محصورة أو مقصورة عليه وحده.

التعرف على كليات أخرى

وذهبت إلى كلية الآداب قسم اللغة العربية ووجدت الدكتورة سهير القلماوي تُدرِّس طلبة السنة النهائية كتب توفيق الحكيم تنقدها وتشرحها، ورغم أن العدد كان محدودًا، إلا أن أحدًا لم يستنكر وجودي ووجدت أن ما قالته كله كنت أعرفه من قبل، ثم ذهبت إلى قسم اللغة الإنجليزية فوجدتهم يُدرِّسون كتابًا كان مقررًا علينا في كلية عدن الثانوية، فاقتنعت أن لا جديد بالنسبة لي في هذه الكلية.

فذهبت إلى كلية الحقوق ولم ترق لي محاضراتهم فعدت إلى كلية العلوم، ولكني اشتركت في رحلة جامعية إلى الأقصر وأسوان وكانت رحلة ممتعة رغم أني لم أكن أعرف أحدًا من الطلبة، فذهبنا إلى الأقصر فأعجبتني معابدها وتماثيلها الضخمة الرائعة، ثم دخلنا إلى قبو مظلم ما عدا بعض الأنوار وأدهشني ما وجدت فيها من رسوم بالألوان الزاهية ومن ضمنها رسومات لفتيات من العهود الفرعونية القديمة وهن يلبسن فساتين ذات حمالة واحدة (مونو كولتيه) فيظهر الصدر والظهر مكشوفا. وفي تلك الفترة ظهرت في مصر موضة الميني جيب ومن أعلى حمالات تظهر العنق والصدر مع ظهور الظهر والأكتاف عارية (دوكولتيه)، واستغربت جدًا وجود الرسوم المصرية لنساء الطبقة المترفة القديمة وهي أشد عريًا من الموضة التي ظهرت في أوروبا ودخلت إلى الطبقة المترفة في مصر.

التعرف على مصر مسارحها ومتاحفها

وبدأت أتعرف على مصر ومتاحفها وذهبت مع أخي إلى بعض المسارح المشهورة والجادة ومن بينها مسرح الجيب وهو صغير وتعرض فيه المسرحيات العالمية الأدبية.

وفي تلك الفترة كان يعرض فيها مسرحية "لعبة الكراسي" للكاتب المسرحي الأمريكي المشهور أوجين أونيل Eugene Gladstone O'Neill (١٨٨٨-١٩٥٣)، وكان يقوم بالتمثيل الممثلة القديرة سميحة أيوب والممثل القدير حمدي غيث أو (عبد الله غيث إن لم تخني الذاكرة)، ورواد المسرح مجموعة من الأدباء مثل أنيس منصور وأحمد عبد المعطي حجازي الكاتب والشاعر ذو الاتجاهات الحديثة في الشعر العربي وغيرهم، ولم يكن بينهم أحد من الشباب لا من المصريين ولا غيرهم، بل كنا ثلاثة: أنا وأخي أحمد وزميلنا سالم اليافعي، ثم حضرت مسرحية مقتبسة من مسرحية " في انتظار جودو" للكاتب المسرحي صمويل بيكيت Samuel Beckett (١٩٠٦-١٩٨٩) كاتب مسرحي ما بعد الحداثة ولد في أيرلندا وعاش متنقلًا بين وطنه وفرنسا التي أحبها وعاش فيها وأجاد لغتها وكتب مسرحياته بالفرنسية وترجمها بنفسه إلى الإنجليزية. نال جائزة نوبل عام (١٩٦٩) للآداب، وأشهر أعماله الأدبية مسرحية في انتظار جودو.

وهذه المسرحيات والتي انتشرت في الغرب تمثل قمة الضياع والقرف من الحياة الغربية المعاصرة التي تجعل الإنسان يتقيأ نفسه كما كان يقول الكاتب الفرنسي (المولود في الجزائر مقاطعة قسطنطينية) البير كامو Albert Camus (١٩١٣ - ١٩٦٠) وهو فيلسوف وكاتب مسرحي وروائي يمثل قمة

العبث والضيق بالحياة المعاصرة وأنها مبنية على الأكاذيب والغش والخداع، والحل عنده هو رفض هذه الحضارة الزائفة واحتقارها أو الانتحار الحقيقي بدلًا من الانتحار المعنوي، وقد نال جائزة نوبل بالآداب وكان ثاني أصغر من نالها من الأدباء، وهذه المجموعة تمثل قمة الرفض للحضارة الغربية المادية التي أفقدت الإنسان روحه وقطعت صلته بالله سبحانه وتعالى وبالروحانيات كلها، وكانت تمثل النظرة التشاؤمية السوداء، " فالكل باطل وقبض الريح " والحضارة الغربية الزائفة محشوة بالأكاذيب والظلم وكلها تعمل لفئة قليلة تكتنز ثروات العالم وتستبد بها وتغلفها بأكاذيب حقوق الإنسان والحريات وهي مليئة بالنتن والظلم وتبشر في نفس الوقت بالخير الذي لن يأتي أبدا ومسرحية" في انتظار جودو "تمثل هذا الاتجاه "وجودو" هو رمز للخير الذي لا يأتي أبدًا والذي يأتي بدلًا عنه مزيد من الشر ومزيد من الطغيان ومزيد من الظلم.

وأذكر أن سميحة أيوب وهي تمثل المسرحية المقتبسة من مسرحية " انتظار جودو" بأسلوب مصري يفهمه المثقف العادي وهي تصرخ في آخر المسرحية: " دي سكة السلامة، ودي سكة الندامة، ودي سكة يلي يروح وما يرجعشي ".

وعلى الأقل أوجدت سكة السلامة التي هي غير موجودة عند صمويل بيكيت ولا عند أضرابه من الكتاب المسرحيين الغربيين الذين لا يرون إلا العبث في هذه الدنيا وهذا الكون، وهم من ناحية يمثلون الإنسان المفكر الذي له ضمير ويرفض هذا الزيف والكذب والبهتان والبهرجة التي تغر الناس بالحضارة الغربية الزائفة والتي لا بد أن تنهار بسبب فقدانها الإيمان بالله والروحانيات.

وقد أثرت هذه الصرخات في كثير من الناس وجعلتهم يبحثون عن الروحانيات، فذهب بعضهم إلى البوذية وبعضهم إلى الهندوسية (كريشنا كريشنا)، ولكن الموجة الآن (القرن الواحد والعشرين) تتجه إلى الإسلام وهذا هو الذي يخيف عتاة الغربيين وأساطين حضارتهم المادية فعملوا على إثارة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين وافتعلوا حوادث كثيرة إرهابية من منظمات مشبوهة كانت لهم اليد الطولى في إيجادها، حتى يتم لهم مهاجمة الإسلام وإرعاب الناس منه.

ومما أرعبهم في الفترات الأخيرة اتجاه بعض الفنانين والممثلين والمغنين والمغنيات إلى الإسلام ودعوتهم إليه، كما أن الحزب الألماني المتشدد في كراهيته للمسلمين والذي فاز في الانتخابات الأخيرة (نهاية ٢٠١٧) وكان هو الحزب الثالث للانتخابات ومع هذا فإن رئيس الحزب نفسه أعلن بعد فوزه استقالته من هذا الحزب وأعلن إسلامه، فضج أصحاب الحزب واجهش بعضهم بالبكاء وقال نائبه هذا يوضح خطر الإسلام على أوروبا وليس الخطر فقط من الإرهابيين بل الخطر الأعظم هو من الإسلام نفسه والذي يجتذب إليه حتى أشد أعدائه، والواقع أن الإسلام هو أكثر الأديان انتشارًا في الغرب وفي العالم اليوم وهذا ما يرعب جميع أعدائه.

ندوة الأستاذ العقاد

وقمتُ أنا وأخي أحمد بزيارة ندوة الأستاذ الأديب الكبير عباس محمود العقاد التي كانت تعقد في شقته البسيطة في منطقة روكسي مصر الجديدة يوم الجمعة صباحًا ويحضرها لفيف من الأدباء وأساطين الفكر في مصر وكانت مفيدة جدًا بالنسبة لنا وقد حضرناها مرتين.

ورغم أن العقاد من أشهر الشخصيات الأدبية والفكرية في مصر إلا أنه كان فقيرًا ولم يسعَ إلى الثروة قط وكان يجابه الحكام بقوة ومن ذلك أنه كان عضوًا في البرلمان المصري وانتقد الملك فؤاد بشدة آنذاك فأدى به ذلك إلى دخوله السجن فترة تسعة أشهر وعند خروجه من السجن كتب قصيدة يقول فيها:

وكنت جنين السجن تسعة أشهرٍ وهأنذا في ساحة الخلد أولد
عداتي وصحبي لا اختلاف عليهمُ سيعهدني كل كما كان يعهد

وفي عهد عبد الناصر لم يكن يجامل الثورة ولا رجالها ولا المتزلفين لها. وقد قام جمال عبد الناصر بتقديم جوائز الدولة التقديرية فقدم في السنة الأولى جائزة الأدب للدكتور طه حسين وقدم جائزة الفن للسيدة الغناء العربي أم كلثوم، وفي السنة التالية منح الجائزة للدكتور أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ومن الفنانين محمد عبد الوهاب، وفي السنة التي بعدها أعطاها للعقاد ومن الفنانين عبد المطلب والراقصة تحية كاريوكا، فرفض العقاد تلك الجائزة.

المقارنة بين العقاد وطه حسين

وإذا قارنت العقاد بشموخه وقوة عارضته بطه حسين تجد البون شاسعًا وقد ساير طه حسين السلطات فوصل إلى درجة وزير المعارف وكان ثريًا فالأموال تأتيه من كل حدب وصوب وكان له فيلا جميلة على النيل في حي العجوزة وشتان ما بين الرجلين!

وقد كتب طه حسين كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" الذي دعا فيه إلى أن تكون مصر قطعة من أوروبا فتاريخ مصر حسب زعمه مرتبط باليونان والرومان ثم بعد ذلك بفرنسا ولا بد أن نأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها

ولا علاقة لنا (أي المصريين) بهؤلاء الأعراب وإذا أردنا التقدم فعلينا أن نأخذ بالحياة الغربية بكل تفاصيلها قدر ما نستطيع، بينما كان العقاد حريصا على إثبات عروبة مصر وإسلاميتها.

وقد وقف العقاد ضد تخرصات المستشرقين ودافع عن الإسلام وكتب العديد من الكتب عن الأنبياء مثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسيح عليه السلام، ثم كتب عبقرياته العديدة في الصديق وعمر وعثمان وعلي وخالد بن الوليد والحسين وزينب أخته وزوجات الرسول رضوان الله عليهم جميعًا.

وللحق فإن لطه حسين كتب في السيرة والتاريخ الإسلامي ومنها كتاب "على هامش السيرة" في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب "المعذبون في الأرض" وهو يعرض سيرة الصحابة الأوائل الذين عذبتهم قريش من أمثال سمية أول شهيدة في الإسلام وزوجها ياسر ثاني شهيد في الإسلام وابنها عمار بن ياسر وبلال الحبشي وغيرهم كثير وهو كتاب جميل وقد تحول إلى فيلم في تلك الفترة ونجح نجاحًا كبيرًا، وله كتاب "الشيخان" (أبو بكر وعمر رضي الله عنهما) وقد أنصفهما.

كما له كتاب "الفتنة الكبرى" الجزء الأول عثمان رضي الله عنه، وقد هاجمه هجومًا عنيفًا في طبعات الكتاب الأولى والجزء الثاني من الكتاب بعنوان "علي وبنوه" وقد لمز فيه الإمام علي كرم الله وجهه وهاجم بعنف عبد الله بن عباس رضي الله عنه. ولكني وجدت في الطبعة الأخيرة (العشرين) تغيرًا تامًا لهذا المنهج وعودة إلى الإنصاف في ذكر الصحابة الكرام مثل عثمان وعلي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم جميعًا.

ولست أدري إن كان هذا التغيير قد تم قبل وفاة طه حسين أثناء حياته أو بعد وفاته لأن سكرتير طه حسين الذي كان يكتب له متمكن من أسلوب طه حسين ويستطيع أن يقلده تقليدًا تامًا.

السؤال ممنوع في المحاضرات

وأذكر أنني في مرحلة إعدادي طب قمت أسأل الأستاذ المحاضر في الكيمياء العضوية عن نقطة معينة وبجانبي أخي أحمد وزميلي سالم اليافعي فحاولا منعي من الوقوف للسؤال حتى شاهدني الأستاذ المحاضر فصرخ (اخرس أوعى تتكلم) فخرست طوال فترة الدراسة حتى تخرجت ما عدا في المجموعات الصغيرة.

نادي المعادي

وكان والدي ﵀ قد استأجر شقة في المعادي قريبة من نادي المعادي الذي اشترك فيه اشتراكًا عائليًا. وكان مغرمًا بلعب التنس أما أنا فلم أواصل التدريب واكتفيت بلعبة تنس الطاولة (بينج بونج). أما أخي أحمد فلم يكن له حظ في الرياضة أبدا واكتفى بالذهاب إلى الأصدقاء والزملاء الذين أتوا من عدن واليمن.

العم عبد القادر حامد البار في القاهرة

وكان الوالد يستضيف في هذه الشقة الصغيرة من جاء من أقاربه الذين يسكنون معي ومع أخي أحمد في نفس الغرفة ومنهم عمي عبد القادر وابن عمتي حسين بن عمر البار وكنا نقوم بتعريفهم بالأماكن السياحية والأثرية والدينية في مصر واستمتعنا بذلك ولكن هذا الأمر أخذ من وقتنا الدراسي.



هذه صورة في حديقة الحيوانات بالقاهرة ١٩٦٠
عمي عبد القادر في الوسط وعلى يمين الصورة أخي أحمد وأنا على يسارها

العم عيدروس بن محمد المحضار

ثم جاء صديق الوالد العم عيدروس المحضار وسكن معنا في نفس الغرفة، لكن والدي هو الذي كان يأخذه إلى المساجد والأماكن الأثرية وبعض علماء الأزهر الذين كان يعرفهم مثل الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية الذي كان يحب السادة العلويين من حضرموت ويقوم بالإشراف على طبع ونشر كتب الإمام عبد الله بن علوي الحداد التي كان ينفق عليها الشيخ سراج كعكي، من أثرياء مكة المكرمة الصالحين. وقد تميّز الشيخ حسنين مخلوف بعدم موافقته على الإجراءات الاشتراكية العنيفة التي قام بها عبد الناصر فعزله الرئيس عبد الناصر من منصبه وسلط عليه أجهزة الإعلام ومن بينهم الشيوعي رسام الكاريكتير والشاعر الشعبي المشهور صلاح جاهين الذي كان يقوم بوضع رسوم ساخرة عن الشيخ متلوف (المقصود به الشيخ حسنين مخلوف).

وكانت الدكتورة فايزة تأخذ العم عيدروس إلى الأطباء المصريين للتداوي مع الوالد وكان يحب المزح مع أخي الأصغر عمر الذي دخل المدرسة الابتدائية وكان يحفظ الكثير من النكت المصرية ويسعد بذلك العم عيدروس ويقهقه.



هذه صورة العم عيدروس بن هادون المحضار في شبابه والذي كان صديقًا للوالد وقد استفدنا أنا وأخي أحمد من الجلوس معه والاستفادة من معلوماته الغزيرة في التاريخ الإسلامي ومعلوماته العامة الثاقبة وكان رحمه الله يحب المزح وله تعليقات ساخرة كثيرة وهو سريع القراءة والبديهة. وعندما أعطيته فيما بعد كتابي " المسلمون في الاتحاد السوفيتي " وهو في مجلدين قرأه كاملًا في بضعة أيام وناقشني فيه مناقشة فاحصة مما يدل على استيعابه السريع رحمه الله وأجزل مثوبته.

جدي الحبيب حامد بن علوي في القاهرة

ثم جاء جدي الحبيب حامد بن علوي البار الذي طلبه الوالد ليجري عملية الماء الأبيض (الساد أو الكتاركت) عند أشهر طبيب عيون في مصر في ذلك الوقت.

وكان جدي رحمه الله من الصالحين ولم يترك قيام الليل في حياته منذ أن بلغ، وكنت أنام عنده بالتناوب مع أخي أحمد، فإذا جاءت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قام من النوم وأيقظني حتى أذهب به إلى الحمام ثم يتوضأ وأعيده إلى غرفته وأنا معه ليصلي، فإذا طلع الفجر جاء والدي لنصلي جماعة. وفي ذات ليلة سهرت للمذاكرة في كتب الطب وما كدت أنام حتى أيقظني فقلت له ما يزال الوقت مبكرًا فنام. ثم جاء الوالد لنصلي جميعًا وبقيت مع جدي فإذا هو يبكي بكاء شديدًا وينظر إلى الأفق حيث بدأ الإسفار واعتذرت له ولكنه لم يرد، بل استمر في بكائه لأنه فاتته ليلة كاملة لم يقم فيها. وقد أثرت هذه الحادثة في نفسي وغيّرت مجرى حياتي إلى الالتزام بالمحافظة على الصلاة وقراءة القرآن يوميًا.

في المشرحة

وأذكر عندما دخلت المشرحة أول مرة وجدت عشرات الجثث العارية تمامًا فهالني المنظر واشتدت علي رائحة الفورمالين فانسحبت قبل أن أقع على الأرض مغشيّا وبدأت أفكر في هذه الكلية هل أستمر فيها أم أنسحب ولكنني صمدت وبدأت التشريح مع مجموعة من الطلبة حيث يُعطى كل أربعة طلاب طرفًا معينًا من أطراف الجسم، الطرفان العلويان لهما ثمانية من الطلبة والسفليان لهما ثمانية والرأس والعنق أربعة والصدر أربعة والبطن أربعة. وكان مع كل مجموعة كتاب التشريح المشهور كننجهام (Cunningham)

ونادرًا ما نرى المعيد لنسأله عما أشكل علينا أو يساعدنا للوصول إلى عصب معين أو شريان أو وريد صغير لم نستطع أن نجده.

والغريب حقًا لم يكن هناك أي احترام للجثث. كان الطلبة يدخنون أثناء التشريح وبعض الطالبات كانوا يأكلن السندوتش ويشربن الكازوزة. وقد بلغت الوقاحة حدها عندما كانوا يقيسون طول الأمعاء الدقيقة والإثني عشر ويضعونها على الأرض ويقيسونها بأقدامهم.

وكان الطلبة يستعيرون من (فرَّاش المشرحة) الطرف العلوي أو السفلي أو الرأس والعنق أو الدماغ (المخ) أو أي أعضاء أخرى يرغبون في دراستها مقابل جنيه.

والغريب حقًا أن بعض الطلبة كانوا يركبون الأوتوبيس المزحوم ويلفون الأعضاء البشرية في البالطو دون خوف أو وجل. وأعترف بأنني كنت واحدًا منهم واستغفر الله على ما فعلت. كما كان على كل طالب أن يشتري هيكلًا عظميًا كاملًا مقابل بضعة جنيهات يعطيها لفراش المشرحة حتى يستطيع أن يدرسها في منزله دراسة تامة.

وكان أخي الصغير عمر يتعجب من هذه الأجزاء وأقول له: إنها أخذت من القرود فيضحك.

ينصح أستاذ الكيمياء الحيوية بعدم أكل الفول والإكثار من أكل البيض

وكان أستاذ الكيمياء الحيوية يقول للطلبة you are fool because you eat Fool وكان ينصح الطلبة بأن لا يأكلوا الفول صباحًا حتى لا تتبلد أذهانهم وينصحهم بأكل البيض.

وكانت سياسة الرئيس عبد الناصر تمنع أكل اللحوم بأنواعها ثلاثة أيام بالأسبوع وفي هذه الأيام الثلاثة كانت المستشفيات تقدم لطلبة الطب والأطباء المناوبين البيض في كل وجبة في الصباح من ٨ إلى ١٢ بيضة ومن الغداء ١٢-٢٠ بيضة وفي العشاء مثل ذلك وكان الحماس للبيض متناهيًا باعتباره الغذاء الأمثل من ناحية البروتينات والفيتامينات والدهون الممتازة الجيدة التي تساعد على نمو الدماغ والجهاز العصبي

المعلومات الطبية تتغير مثل الموضة

واستمر هذا الأسلوب إلى عام ٦٥ (لأننا غادرنا مصر بعد ذلك) ثم تغيرت المعلومات الطبية فأصبح البيض مغضوبًا عليه وأصبح الأطباء ينصحون بعدم أكل البيض إلا في حدود بيضتين أو ثلاث في الأسبوع وصعد نجم الفول مرة أخرى فعليكم بالفول والحمص والزيت والبقوليات والخضروات والابتعاد عن الشحوم والدهون والإقلال من الألبان ومنتجات الألبان مثل الزبدة والجبنة وغيرها. ثم تغيرت الموضة في الطب وأصبحت تسمح بالدهون والزبدة والقشطة وتتحدث عن الغذاء الدهني الذي يسبب الحموضة الكيتونية Ketoacidosis باعتباره غذاء مثاليًا باعتباره مفيدًا للدماغ ومفيدًا للوقاية من بول السكري والسرطانات وغيرها من الأمراض وقد ظهرت هذه الموضة الجيدية منذ عام ٢٠١٦م بينما كانت كتب الطب قبل ذلك تنهى عن مثل هذا الطعام وكان الأطباء يعرفون الحموضة الكيتونية التي تصاحب حالة مرض البول السكري الشديدة ولهذا يسرعون إدخال هذه الحالات إلى المستشفى وعلاجها المقرر لها المضاد لهذه الحموضة الكيتونية الخطيرة فسبحان من جعل الداء الخطير بعد بضعة عقود دواءً وشفاءً ويا لله من عجب من هذا



الطب الذي يتبدل كل يوم والذي تسيطر عليه شركات الأدوية والأغذية وكلاهما مترابطتنا وإذا أرادت بعض شركات الأطعمة أن تسوق الدهون التي ابتعد عنها الناس قامت بشراء مجموعة من الأطباء الباحثين فيقدمون أبحاثًا تشيد بفائدة الغذاء الدهني والحموضة الكيتونية.

وإذا أراد أنصار البروتين قاموا بنشر أبحاث تتحدث عن فوائد البروتين وخاصة الرياضين الذين لا يأكلون إلا البروتين ويكثرون من أكل البيض واللحوم بأنواعها. وأحيانًا تنقلب هذه الشركات إلى الدعاية بأنواع من الخضروات والفواكه التي لا تعد فوائدها ولا تحصى وعليك بالإكثار منها ليلًا ونهارًا. وفي أحيانًا أخرى تقوم شركات النبيذ (الخمر) بالدعاية لمشروباتها الكحولية فهي تقوم بإنقاص الكولسترول الضار وتزيد الكولسترول المفيد حسب زعمهم، وينسون الأمراض الخطيرة التي تحدثها الخمور والتي ملئت المجلدات.

وهكذا نحن في عهد الرأسمالية البشعة التي لا تهتم إلا بالمكسب فكل أنواع الأكل التي يراد تسويقها تقوم الشركات بالدعاية لها وإظهار بعض البحوث المشتراة من بعض الباحثين. وكل ذلك في جميع أنواع الأطعمة والأشربة بما فيها القهوة والشاي والكولا والخمور بل وبدأت موجة جديدة لفوائد الحشيش (ماريوانا) وهكذا كل مادة سامة يمكن أن تصبح ذات فائدة وجدوى ما دامت تدر أرباحًا طائلة وما دام هناك من يستطيع أن يقدم من الأبحاث ما يقنع عوام الأطباء بفائدة تلك المادة أو ذلك الدواء والله المستعان على ما تصفون.

المحاضرات باللغة الإنجليزية والأساتذة المتميزون

وكان الأساتذة المتميّزون يلقون المحاضرات العامة باللغة الإنجليزية العالية، ومنهم الأستاذ الدكتور البطراوي أستاذ التشريح وعلم الأجنة، وكان بارعًا في شرح علم الأجنة مع صعوبته، ومنهم الأستاذ الدكتور محمد طلعت أستاذ الفسيولوجيا في مصر الذي كان أول من وضع كتابًا في علم الفسيولوجيا في مصر باللغة الإنجليزية ثم ترجمه إلى اللغة العربية ولكن لم تتم طباعة الترجمة بسبب انفصال سوريا عن مصر، وبما أن سوريا كانت تدرس الطب باللغة العربية فقد اتجهت دولة الوحدة إلى تعميم ذلك إلى مصر التي كانت تدرس الطب باللغة الإنجليزية وبدأ أساتذة الطب في ترجمة كتبهم إلى اللغة العربية. ولكن بما أن سوريا انفصلت عن الوحدة فقد صدر أمر من الرئاسة باستمرار التعليم على ما كان عليه باللغة الإنجليزية (تمت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، وتم الانفصال عام ١٩٦١).

ومن أساتذتنا الممتازين الأستاذ الريدي أستاذ الكيمياء الحيوية الذي اكتشف موادًا مهمة في الحلبة وهي مواد مهمة لزيادة إفراز اللبن في الرضاعة وبالذات مادة سكوالين Squaline. وكان اثنان من أبنائه في دفعتنا ومن زملائنا، وكان الأستاذ طرخان أستاذ علم الأنسجة بارعًا في لغته وتدريسه.

وفي السنة الثالثة من كلية الطب دخلنا إلى المستشفى لأول مرة، ونحن في مجموعات صغيرة نتعرف على المرضى والأمراض. وأذكر في أول يوم أن جاء الجراح المصري القبطي وقال للمريض الشاب: (قف على سريرك) فوقف المريض على سريره، فقال له: (ارفع ثوبك) والمكان مفتوح بدون أي ستائر

على القاعة كلها، وقال للمريض: (كح) فكح المريض فظهر الفتق الأربي غير المباشر، ثم قال للطالبة: ضعي أصبعك في مجرى الفتق (أعلى كيس الصفن) فترددت الطالبة المسكينة، فصرخ فيها الأستاذ وشتمها بألفاظ قبيحة جدا، ولو كان الأمر بيدي لضربته، ثم أمر طالبًا آخر فقام الطالب بالمهمة.

وهذا يدل على انعدام الأخلاقيات الطبية في ذلك الوقت في كلية الطب ما عدا بعض الأساتذة ذوي الأخلاق العالية الرفيعة، وأذكر منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم بدران ﷺ (١٩٣٤م - ٢٠١٥هـ)، أستاذ الجراحة الذي صار بعد ذلك مديرًا للجامعة ثم وزيرًا للصحة ووزيرًا للتعليم العالي، وله جهود مباركة في النهضة الطبية في مصر والعالم العربي مع شدة تديّنه، حتى قيل لنا أنه كان لا يبدأ أي عملية جراحية إلا بعد أن يصلي ركعتين لله وكان لطيفا جدًا مع المرضى والطلبة.

ثم بعد سنين طويلة التقيت به في مؤتمرات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي مقرها الكويت، وقد كان هو أحد مؤسسيها. واشتركت معه في كثير من تلك المؤتمرات الحافلة ومنها مؤتمر انعقد في مصر باشتراك منظمة الصحة العالمية ومجموعة من ممثلي الأديان بينهم ممثل الكنيسة الكاثوليكية وممثل الكنيسة القبطية وممثل الدين اليهودي مع مجموعة من رجال الأزهر الشريف ومجموعة كبيرة من الأطباء المتميزين، وكانت حول الإجهاض وغيره من الموضوعات الشائكة.

ومن هؤلاء الأساتذة المتميزين الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم أستاذ الجراحة الذي تميز بلغته الإنجليزية العالية ولغته العربية السامقة واستشهاده بالأشعار أحيانًا ولا عجب في ذلك فهو ابن أكبر جراح عرفته مصر في تاريخها

الحديث وهو الدكتور علي إبراهيم باشا الذي مدحه أمير الشعراء شوقي بعدة قصائد وكان هذا الأستاذ لطيفًا في معاملته للمرضى وطلبته والأطباء الذين يعملون معه وقد يستخدم النكتة الساخرة في بعض الأحيان.

الهجوم على لبس الحجاب والمنديل على الرأس

ومنهم أيضًا أستاذ طب الأطفال الدكتور مصطفى الديواني. وكنا في السنة الرابعة وهو يلقي محاضرة في طب الأطفال فانتبه إلى وجود طالبة تلبس المنديل على رأسها وثوبها تغطى ثلاثة أرباع الذراع ونصف الساق وكانت الوحيدة من بين مئات الطالبات اللاتي يلبسن حسب الموضة فتوقف فجأة وصرخ (أنت اللي لابسة الايشارب قفي، ايه دا شيلي المنديل اللي على رأسك)، فاستغربت منه هذا الأسلوب وكنت أسمع عنه أنه محافظًا على الصلاة، وكان مؤدبًا مع الطلبة ومع المرضى، ولكن عندما سألت وجدت أنه فعل ذلك لحمايتها، فقد بدأت في تلك الفترة حملة عنيفة للقبض على ما يسمى الإخوان المسلمين، وكانت أي فتاة أو امرأة تلبس المحتشم نسبيًا، تعتبر من الأخوات المسلمات فتعتقل ويفعل بها الأفاعيل.

وقد أخبرتني زوجة الوالد الدكتورة فايزة البار أنه كانت لها صديقة سودانية محتشمة في لباسها ثم بعد فترة غابت عنها وظهرت حاسره الرأس وبكم قصير وثوب قصير فاستغربت منها ذلك وقالت لها: (مش افتكروني من الأخوات المسلمات وأخدوني بهدلوني فحرّمت ألبس اللباس المحتشم).

كنيسة حلوان واضطهاد الأقباط

وكنت ما أزال أحب الذهاب إلى المتاحف والمساجد والكنائس الأثرية ومن ضمنها كنيسة حلوان التي شهدت اضطهاد الكنيسة البيزنطية الرومانية



للكنيسة القبطية وعذبتهم تعذيبًا شديدًا، وأروني قبوًا كان يجري فيه التعذيب وآثار الدماء ما تزال موجودة في بقع سوداء -حسب زعمهم-، ومات عدد من هؤلاء القسس تحت التعذيب وجعلتهم الكنيسة القبطية شهداء وقديسين. وكان سبب الخلاف بين الكنسيتين أن الكنيسة القبطية المصرية تعتبر نفسها موحدة فهم يعتقدون أن الله هو المسيح ابن مريم، وأن المسيح له طبيعة واحدة هي طبيعة إلهية وله مشيئة واحدة وهي المشيئة الإلهية، بينما الكنيسة الرومانية تعتقد أن المسيح عليه السلام له طبيعتان إحداهما إلهية والأخرى بشرية ويستدلون على ذلك بأن المسيح عليه السلام كان ينام ويصحو ويجوع ويأكل ويشرب ويخطئ في بعض الأشياء فمثلًا عندما جاع ذهب إلى شجرة ظن أنها مثمرة فوجدها بدون ثمر على الإطلاق، وكذلك يقولون أن له مشيئتان: مشيئة إلهية، ومشيئة بشرية، وهذا يفسر -حسب قولهم- بكاؤه الشديد عندما حكم عليه اليهود بالإعدام -حسب زعمهم- حتى أنه بكى دمًا بدلًا من الدموع لأنه كان خائفًا مضطربًا مرعوبًا، وأنه ضُرب وأُهين وبُصق في وجهه وسخروا منه وصلبوه مع لص وقاطع طريق وكانت صرخته عند صلبه عظيمة جدًا بينما كان اللص وقاطع الطريق أكثر ثباتًا منه بكثير. ولهذا أخذت الكنيسة الرومانية بهذه الأقوال وعذبت المصريين الذين قالوا بالطبيعة الواحدة وبالمشيئة الواحدة.

عمرو بن العاص يغزو مصر بأربعة آلاف جندي فقط

وعرفت كيف أن عمرو بن العاص (الذي زار مصر قبل الإسلام مرارًا) استطاع بأربعة آلاف جندي فقط أن يهزم جنود الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية) في مصر الذي بلغ عددهم كما تقول المصادر التاريخية مائة ألف، والسبب في ذلك أن الأقباط في مصر كانوا يكرهون الرومان ويتطلعون

إلى جنود المسلمين الذين طهروا الشام وفلسطين منهم، ونشروا العدل بين سكانها، فأيدوا عمرو بن العاص وأمدوه بالميره، ودلوه على الطرق الخفيّة حتى يهاجم الرومان في معاقلهم بل اشترك معه بعض هؤلاء الأقباط في قتال الرومان، ولهذا حقق انتصارات سريعة غير مسبوقة في مصر لكنه واجه مقاومة شديدة في الأسكندرية لمنعة أسوارها وانفتاح الأسكندرية على البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت تأتي الميره والجنود إلى هذه القلاع الحصينة من قبرص وغيرها، فاضطر إلى طلب المدد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فأرسل له أربعة آلاف فلم يستطع فتحها، فكتب مرة أخرى إلى أمير المؤمنين بطلب المدد فأرسل له أربعة آلاف أخرى حتى بلغ العدد اثنا عشر ألفًا ثم أرسل مرة ثالثة، فرد عليه أمير المؤمنين لا يُغلب اثنا عشر ألف من قلّة، راجعوا إيمانكم، وأرسل له أربعة من الصناديد، وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد، وقال له: هؤلاء أربعة بأربعة آلاف.

وبالفعل تمَّ فتح الأسكندرية وتغلب على الجيش الروماني الضخم وتطهرت مصر من حكمهم سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م.

اليونان والرومان لا يتصلون بالشعب المصري

وبالرغم من أن اليونان والرومان قد حكموا مصر لمئات السنين إلا أنهم لم يختلطوا بالشعب المصري قط، إلا الطبقة العليا من المجتمع المصري فقط وهي التي تتفق معهم وتحوز على رضاهم.

بينما نرى أن بمجرد دخول المسلمين إلى مصر أقام المسلمون علاقات قوية مع الشعب المصري نفسه، والدليل على ذلك أن عمر بن الخطاب أرسل إلى عمرو بن العاص يقول له: لا تجعل بيني وبينك بحرًا (نهر النيل).

وكانت ثلة كبيرة من جنود اليمن قد انتقلوا إلى الجيزة وهي غرب النيل فدعاهم عمرو بن العاص وقال لهم: إن أمير المؤمنين يأمركم بالانتقال إلى شرق النيل، قالوا: لماذا؟ قال: يخشى أن ينقلب عليكم الأقباط ويصعب الوصول إليكم لنجدتكم، فقالوا له: ليطمئن أمير المؤمنين، فقد تزوجنا منهم وصرنا صهورًا وأقرباء نحبهم ويحبوننا. فضحك عمرو بن العاص وأرسل إلى أمير المؤمنين.

وهذه المجموعة كانت من قبيلة يافع (وهي فرع من قبيلة حِميَر) وإلى الآن أكبر ميدان في الجيزة يسمى ميدان يافع.

وهذا يدل على سرعة اندماج المسلمين مع غيرهم من الأمم وتسامحهم معهم واختلاطهم بهم ثم الزواج منهم وبذلك انتشر الإسلام واللغة العربية في مصر حتى أصبحت مصر قلعة الإسلام وحصن اللغة العربية.

انتشار الإسلام والكنيسة القبطية

وتولى القبط إدارة الدولة والأمور المالية وكانوا بذلك سعداء، لكن الكنيسة القبطية وجدت أن كثيرًا من جماهيرها يتحولون إلى الإسلام فانزعجت لذلك، وأسمت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدجال الأكبر بعد أن كانوا يحبونه حبًا شديدًا.

وخاصة بعد قضية القبطي الذي سابق ابن عمرو بن العاص فسبقه القبطي واغتاظ ابن عمرو بن العاص فضربه، فذهب القبطي إلى المدينة عند أمير المؤمنين فأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب عمرو بن العاص وابنه حتى أتوا، وللعلم أن الرحلة من المدينة إلى مصر تستغرق شهرًا فمكث القبطي أكثر من ثلاثة أشهر معززًا مكرمًا في ضيافة الدولة (ولم يمنعه أحد من دخول المدينة والبقاء فيها رغم كونه غير مسلم). فلما وصل عمرو بن العاص

وابنه أمر عمر بن الخطاب القبطي بأن يضرب ابن عمرو بن العاص كما ضربه ففعل ذلك، ثم أمره بضرب عمرو بن العاص نفسه قائلًا: لولا أبوه ما ضربك، فتوقف القبطي ولم يضرب عمرو بن العاص لأنه لم يشارك في القضية قط وقال عمر ﷺ قولته المشهورة: " يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟"، وكانت هذه الحادثة سببًا في انتشار الإسلام بين الأقباط وبعض رجال الكنيسة أنفسهم فانزعجت الكنيسة القبطية ثم سمَّت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدجال الأكبر.

لكن بعد وفاة عمر بن الخطاب ﷺ انحسر مد التحول إلى الإسلام وخاصة في العهد الأموي الذي حرص على منع الأقباط من الدخول في الإسلام لتستمر الجزية وهي مبلغ بسيط (ديناران كل عام) على كل رجل بالغ عاقل مقتدر ويعفى من ذلك النساء والأطفال والشيوخ العجزة والمرضى المزمنون والفقراء.

عمر بن عبد العزيز يعيد انتشار الإسلام

ولكن عمر بن عبد العزيز ﷺ لما تولى الخلافة وعرَّفه القائم على بيت المال ما يحدث، استغرب ذلك وقال: (إن الله بعث محمدًا هاديًا، ولم يبعثه جابيًا) فلما رد عليه القائم على بيت المال (إننا في حاجة إلى الجزية) فضربه بالدرة، فانتشر الإسلام مرة أخرى في كل بقاع الدولة الإسلامية، وزاد الخير وفاض حتى لم يجدوا من يقبل الصدقات. وانزعج بعض رجال الكنيسة من ذلك فقالوا: ذهب الدجال الأكبر يقصدون عمر بن الخطاب، وجاء دجال أكبر منه يقصدون عمر بن عبد العزيز، لكن عمر بن عبد العزيز لم يلبث في الحكم سوى عامين ونصف لأن بني أمية خافوا من أن تذهب الخلافة بكاملها

من أيديهم عندما جاء الخوارج إلى عمر بن عبد العزيز فقال لهم: ما تنقمون مني؟ قالوا: لا ننقم منك شيئًا، فقد أقمت العدل، ولكن إذا متَّ فمن سيخلفك أليس هشام بن عبد الملك؟ (هشام هو من أكابر مجرمي بني أمية) فقال لهم عمر: أمهلوني ثلاثة أيام أدبر الأمر فمات رضي الله عنه مسمومًا في تلك الأيام الثلاثة. وعادت الدولة إلى ما كانت عليه فسر بذلك رجال الكنيسة أيما سرور. لأنهم منعوا دخول الأقباط في الإسلام حتى تستمر الجزية.

منح دراسية متعددة

وقد حصلت على منح دراسية متعددة أولها من الحكومة المصرية ١٢ جنيه ١٩٥٩، ثم خمسة جنيهات من السفارة اليمنية ١٩٦٠. ثم بعد ذلك بسنتين ١٩٦٢ منحة من حكومة عدن بثلاثين جنيهًا مصريًا فصرت غنيًا، وطلبت من صديقي وزميلي الأخ عبد الجبار بربوش من (طولكرم) من فلسطين أن ينتقل معي إلى المعادي ونستأجر شقة حتى نذاكر سويًا فوافق على ذلك، وكان إيجار الشقة ١٢ جنيهًا شهريًا ولم أكن أظن أن والدي سيعترض على ذلك وسأزوره يوميًا، لكنه اعترض بشدة ومنعني من ذلك، فاضطررت إلى فسخ العقد وبيع الأثاث واعتذرت من صديقي الذي كان سمحًا وعرف موقفي وقدره، فاستمرت صداقتنا الدراسية بشكل وثيق.

والغريب حقًا أن والدي لم يعترض على أخي أحمد لما ترك المنزل بعد حصوله على منحة من منظمة الصحة العالمية وذلك السنة الثالثة - الرابعة (١٩٦٢-١٩٦٣) من كلية الطب وذهب مع أصدقائه ليسكن في جاردن ستي.

أخي أحمد لا يلتزم بالحضور

ولم يكن أخي أحمد يحضر إلى الكلية إلا لمامًا واتفق مع قريبنا وصديقنا الأخ عمر بن حسين البار (الشاعر العبقري والذي كان يسميه والده الزئبق لسرعة تحوّله من مجموعة سياسية إلى أخرى) وشخص آخر ألا يدخلوا الامتحان، فذهبت إليهم وقلت لهم هذا أغرب شيء تتفقون على عدم دخول الامتحان وهذا أمر معيب لا يصلح منكم، وعلى كل حال أنا أعرف أخي سيحصل على تقدير جيد جدًا.

وكان أخي يبتعد عنهم أيامًا ويذهب إلى صديقنا وزميلانا عبد الجبار الذي يراجع معه الدروس التي أخذناها ويأخذه إلى المختبرات وغيرها حتى تتم معرفته لها في الكلية فيشرح له كل ما نأخذه في عدة أشهر ويستوعبها في بضعة أيام ويذهب إلى المسؤولين عن المختبرات والمعامل فيقدمون له الشرائح ويشرحونها له شرحًا جيدًا في بضع ساعات. ثم يذهب ويراجع الكتب بعيدًا عن الضجة في إحدى الحدائق وأحيانًا في مسجد سيدنا الحسين في القاهرة ثم يعود مرة أخرى ويسير مع هؤلاء القوم، وبالفعل كان دائمًا يحصل على درجة جيدة جدًا دون أن يزعج نفسه مثلنا بالجد والمذاكرة الطويلة.

وكوّن في الكلية مجموعة صغيرة من الطلبة الذين يحبون أغاني أم كلثوم الجديدة وعبد الوهاب القديمة، ويستمعون لها على الطريقة القديمة بالجرامافون والإسطوانات ولما وضع عبد الناصر محطة إذاعية كاملة تذيع أغاني أم كلثوم طوال الوقت كان أخي أحمد من المشغوفين بها ثم وضع عبد الناصر محطة إذاعية للقرآن الكريم فكنت أستمع إليها في أوقات فراغي.

حفلة أم كلثوم

وقد حضرت مرة مع أخي أحمد حفلة لأم كلثوم ثم حضرت بعد عدة سنوات مع خالي أبي بكر الصافي حفلة أخرى لها وذلك عام ١٩٦٩.

بيت ناصر عرجي في جاردن ستي

وكنت أذهب إلى بيت ناصر عرجي في جاردن ستي حيث يجتمع مجموعة مهمة من أبناء عدن والجنوب ومنهم الأستاذ عبد الله الأصنج ومحمد سالم باسندوة وغيرهما كثير، كما كنت أذهب أيضًا من حين إلى آخر إلى مقر رابطة أبناء الجنوب العربي التي يرأسها السيد محمد علي الجفري ومن أهم أعضائها البارزين السلطان علي عبد الكريم والسيد شيخان الحبشي أمينها العام والسيد سالم عمر الصافي والسيد أحمد عمر بافقيه صاحب ورئيس تحرير جريدة الجنوب العربي سابقًا.

تختلف الرابطة عن مجموعة حزب الشعب الاشتراكي لجبهة التحرير التي كان يرأسها الأصنج في كونها أكثر التزامًا بالدين فرئيسها محمد علي الجفري أحد خريجي الأزهر الشريف الذي تولى رئاسة القضاء في لحج فترة من الزمن والسيد سالم الصافي من خريجي كلية دار العلوم التي نبغ منها العديد من الدعاة والكتاب، ولكن الرابطة أخذت شيئًا من مبادئ القومية العربية والاشتراكية بعد أن استقرت في مصر بعد أن حاربها الإنجليز فاضطروا إلى الهروب إلى القاهرة وكان لهم دور فعال في إيجاد منح من الحكومة المصرية لطلبة الجنوب العربي وكان من بين طلبتهم المتحمسين لها الأخ عمر بامحسون الذي أخذ الدكتوراه فيما بعد في القانون بجامعة القاهرة وكانت تربط الوالد صداقات وعلاقات عائلية مع قادة الرابطة المذكورين.

وقد كانت الرابطة أول من قامت بالدعوة الوطنية في عدن والجنوب العربي وكان السلطان علي عبد الكريم أول من سعى من السلاطين إلى إيجاد اتحاد الجنوب العربي ودعم جهود الرابطة في الاستقلال. ولهذا نفته بريطانيا ومنعت دخوله إلى بلده لحج بعد أن عاد من بريطانيا التي كان يحاول التفاوض معها على الاستقلال وتوحيد الجنوب الممزق إلى مشيخات وسلطنات عديدة وتم ذلك في عام ١٩٥٤- ١٩٥٥ ونفى معه كثير من رجال الرابطة مثل السيد محمد علي الجفري وأخيه عبد الله علي الجفري والسيد شيخان الحبشي والسيد سالم الصافي وقد هربوا أولًا إلى اليمن الشمالي ومنها إلى القاهرة التي استضافتهم.

أما حزب الشعب الاشتراكي فقد تكون في تلك الفترة من النقابات العمالية التي كانت تحتضن العمال وأغلبهم من المناطق الشمالية في اليمن خاصة من تعز وما حولها. ولهذا فقد حرصتْ على الدعوة إلى وحدة اليمن منذ فترة مبكرة وهاجمت الرابطة في اتجاهها إلى وحدة الجنوب العربي واستقلال الجنوب العربي فقط وكانت الرابطة تدعو إلى وحدة الجنوب العربي أولًا ثم إلى الوحدة العربية. وقد رفضت تسمية الجنوب باسم الجنوب اليمني وأسمته الجنوب العربي.

ثم قامت الدعوة إلى الجبهة القومية ومقاومة الإنجليز عسكريًا بعد دخول الجيش المصري إلى اليمن عام ١٩٦٢، وقامت بدعم النضال الملسح ضد الإنجليز والذي أمدته مصر بالسلاح، وكان من رجالات هذه الجبهة قحطان الشعبي الذي كان عضوًا بارزًا في رابطة أبناء الجنوب العربي وانضم إليه ابن عمه فيصل الشعبي الذي أتم دراسته في القاهرة وكان عضوًا بارزًا في حركة

القوميين العرب متشربًا بمبادئها التي كان فيها جورج حبش ونائف حواتمة اللذان تحولا إلى الشيوعية وإلى الحركة الاشتراكية الماركسية ولهذا تكونت داخل الجبهة القومية مجاميع تنتمي إلى التيار الماركسي والتي أطاحت بعد الاستقلال بقحطان الشعبي سنة ١٩٦٩ وأدخلته السجن مع فيصل الشعبي وجميع قرابته وأنصاره ثم قامت بقتل فيصل الشعبي وهو في السجن بزعم أنه حاول الفرار.

إجازة صيف ١٩٦١

وفي صيف عام ١٩٦١ بعد أن أنهيت السنة الثانية في الطب بتفوق والحمد لله ذهبت إلى عدن لزيارة الوالدة والأهل هناك.

وتعرفت في تلك الإجازة على الأخ المناضل المؤمن أبي بكر شفيق الذي بدأ بتكوين مجموعة في عدن للجهاد ضد الإنجليز. وكان شابًا صالحًا من أسرة تنتمي إلى التصوف الإسلامي الصحيح، وقلت له: هذا جهد مبارك ولكن عليكم بالحذر لأن قادة الحركة ينتمون إلى حركة القوميين العرب وهم علمانيون وفيهم من بدأ يتجه إلى الاشتراكية الماركسية، فطمأنني وقال أن كل المجامع التي يعرفها متمسكة بالدين.

وقد تولى الأخ الفاضل المناضل أبو بكر شفيق قيادة الحركة النضالية العسكرية في عدن واعتقله الإنجليز بعد ذلك وكانت الإدارة البريطانية تعين بعض الأطباء لزيارة المسجونين ومداواتهم، وكنت أحد هؤلاء الأطباء والتقيت به مرارا عام ١٩٦٦ وكان يطلب بعض الكتب فأمده بها وكلها كتب دينية لا تعترض عليها إدارة السجن، وهناك فهم شائع بأن المتصوفين لا يجاهدون جهادًا حربيًا ويكتفون بجهاد النفس ولا شك أن جهاد النفس

هو الجهاد الأكبر ولكنهم على مدى التاريخ كان لهم دور في الجهاد منذ زمن إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي وحاتم الأصم (كلهم من بلخ في شمال أفغانستان)، وعبد الله بن المبارك (تركستان).

وكان للصوفية دور بارز في محاربة الصليبين في مصر والشام وكانوا مع رجال نور الدين زنكي ثم بعد ذلك مع صلاح الدين الأيوبي الذي اهتم اهتمامًا بالغًا بالصوفية والخانقهات ومن تخرج من شباب الفتوة الذين شاركوا في الجهاد معه.

وكان لهم دور بارز في الحركات الجهادية في التركستان والشيشان والقوقاس وقد فصّلتُ ذلك في كتابي "المسلمون في الاتحاد السوفيتي" وكتابي "قبل الارثوذكسية كان الإسلام في روسيا"، ويكفي أن نذكر أن حركة الشيخ شامل الجهادية استمرت أكثر من ثلاثين عاما في روسيا وكان مثالًا للمجاهد المسلم حتى أنه بعد هزيمته استقبله قيصر روسيا وأعطاه سيفًا تقديرًا لنزاهته وعدم مهاجمته للأبرياء في حروبه من الروس بل قام بالدفاع عنه ولكن الشيخ شامل طلب الإذن بالذهاب للحج فأذن له وتوفاه الله في المدينة المنورة بعد الحج وبقي بعض من أفراد أسرته في المدينة وعاد بعض منهم إلى تركيا.

وقام الأمير الصوفي عبد القادر الجزائري بمحاربة الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر حربًا طويلة. وعمر المختار الذي حارب الإيطاليين في ليبيا كان صوفيًا ليعرف الجميع أن للصوفية دورًا كبيرًا في الحركات الجهادية.

الشهر الفضيل وحفلات الرقص في ميدان الحسين والأزهر

وكانت تقام في مصر مهرجانات في شهر رمضان وخاصة في منطقة الحسين حيث يقفل المسجد بعد صلاة التراويح مباشرة، وتقام حفلات غنائية وراقصة

بمناسبة الشهر الكريم في تلك الساحات، والغريب حقًا أن الراقصات كن يلبسن بدلة الرقص العارية احتفالًا بالشهر الكريم! وكانت الصحف تعلن عن حفلات راقصة وموسيقية احتفالًا بالشهر المبارك وتقيم حفلات يتبعها السحور على أنغام الموسيقى والرقص، والغريب حقًا أن نادي المعادي قام أيضًا بالاحتفال بمناسبة الشهر المبارك بحفلات سحور غنائية مع وجود راقصات، واستمر ذلك إلى الهزيمة النكراء التي حدثت في يونيو ١٩٦٧ فصارت تلك الحفلات قليلة ولا بد أن تلبس الراقصة ثوبًا يغطي جسدها وذلك في منطقة الحسين واستمر ذلك في عهد الرئيس المؤمن أنور السادات.

وأذكر أنني كنت أذهب إلى صلاة الفجر من منزلنا في المعادي إلى مسجد الفنان المؤمن حسين صدقي على ضفة النيل وأمشي حوالي ربع ساعة حتى أصل إليه فرآني ذات يوم أحد العساكر -وكان رجلًا طيبًا- فسألني: إلى أين تذهب يا بني؟ فأخبرته أني ذاهب إلى صلاة الفجر في مسجد حسين صدقي. فقال: يا ابني أحسن لك صلِّ في بيتك فهناك مشاكل. فشكرته على ذلك، وبقيت أصلي في بيتي.

ولم يكن في أيام جمال عبد الناصر أي مكان للصلاة في الجامعات المصرية ولا في كليات الطب ولا في مستشفى قصر العيني، ولكن المساجد ظهرت بعد هزيمة ١٩٦٧ وبدأت موجة من التدين في تلك الفترة تظهر وتسمح لها السلطات نوعًا ما.

التدريب على إعطاء الحقن الوريدية

وأذكر أني في السنة الخامسة طب ذهبت إلى قسم الحوادث للتدرّب على إعطاء الحقن الوريدية، ولكن جاء مدير العيادات الخارجية والحوادث في

المستشفى وجدني أعطي الحقن للمرضى فقال: ماذا تفعل؟ قلت: أتدرب على إعطاء الحقن فأنا في السنة الخامسة طب وبعد أقل من سنة سوف أكون طبيبًا في امتياز (التدريب). فقال: هذا ممنوع، فرددت عليه وقلت له: كيف أكون طبيبًا وأنا لا أعرف أن أعطي الحقن الوريدية؟ فقال: تتعلم ذلك في سنة الامتياز، فرددت عليه: أتعلم وأنا طبيب، فقال: أنت لمض؟

والغريب حقًا أن المرضى أنفسهم كانوا يحقنون أنفسهم بالحقن الوريدية وخاصة مرضى الربو بعقار الامنيوفلين (Aminophylline)، وهي حقن زجاجية ليست معقمة على الإطلاق، وبما أن الممرضة تكون مشغولة فتطلب من المريض أن يعطي زميله الحقنة الوريدية بعد أن تحضرها له، وللعلم فإن مصر أكثر بلد في العالم مصابة بالتهاب الكبد الفيروسي من نوع B ، C (الذي لم يكن معروفًا في ذلك الوقت) ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار إعطاء الحقن الوريدية التي لا تعقم، ومن المعلوم أن فيروس الكبد من نوع C يقاوم الغليان ولا يموت إلا بعد درجة غليان ٢٠٠ درجة مئوية، وهو أمر لا يمكن أن يحصل إلا عبر جهاز الاوتوكلاف.

وكانت البلهارسيا في مصر منتشرة جدًا وتعالج في حقن الطرطير المقيئ (Tartar emetic) وهي مادة خطيرة وتعطى عبر الوريد ولم تظهر المواد الأخرى الأقل سمية إلا بعد فترة من الزمن حيث استبدلت بحقن عضلية ثم بعد ذلك أقراص للبلع، وبطبيعة الحال لم تكن تعقم هذه الحقن الزجاجية مطلقًا، وهذا هو الأمر الذي أدَّى إلى انتشار التهاب الكبد الفيروسي من نوع B وC وبذلك استبدلت مصر مرض البلهارسيا الخطير نسبيًا بمرض أخطر منه هو التهاب الكبد الفيروسي المعدي من نوع B وC.

وبهذا أسهم الطب والأطباء في مصر في نشر التهاب الكبد الفيروسي B وC على نطاق واسع جدًا.

وقد كتب إلي الأخ العزيز عادل عولقي في تعليقه على هذه الذكريات عن بحث قام به جون فارلي

(John Farley، Bilharzia: A History of Imperial Tropical Medicine)

أن مصر توسعت في زراعة القطن في عشرينيات القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين بطلب من بريطانيا التي كانت تحتكر صناعة الملبوسات القطنية الممتازة وتصدرها إلى جميع أنحاء العالم. وقد شجعت بريطانيا الحكومة المصرية على التوسع في زراعة القطن وخاصة في منطقة الدلتا وكسبت بريطانيا وملاك الأراضي في مصر مكاسب كبيرة جدًا ولكن الفلاحين الفقراء لم تتحسن حالتهم بل زادت سوءًا بانتشار مرض البلهارسيا في تلك المناطق وللأسف لم تقم الحكومة المصرية بتوعية الفلاحين بخطورة التبول والتبرز بالقرب من مصادر المياه مثل الترع وفروع النيل، وكان من الواجب أن تقيم لهم الحكومة أو ملاك الأراضي الأثرياء مراحيض متعددة في هذه الأراضي الزراعية الواسعة، وبالتالي يبتعدون عن تلويث مصادر المياه التي أدت إلى انتشار مرض البلهارسيا في مصر انتشارًا كبيرًا جدًا، كما شجع ذلك البحوث عن علاج طبي بما سميت بأمراض المناطق الحارة(Tropical Medicine) وخاصة البلهارزيا.

ومن أشهر ضحايا البلهارسيا المطرب والمغني الفنان المشهور عبد الحليم حافظ والذي عانى من البلهارسيا ومضاعفاتها حتى وافته المنية وهو في آخر سن الشباب.

وقد أنهيت دراستي في كلية الطب سنة ١٩٦٤م وحصلت على درجة الشرف الثانية وتقدير جيد جدًا، وبعدها بدأت التدريب (سنة الامتياز) في مستشفى قصر العيني وغيره من المستشفيات.

التعقيم بأمر الرئيس عبد الناصر

وفي سنة الامتياز كان مقرر علينا أن نعمل في قسم النساء والولادة وفي تلك الفترة كان عدد سكان مصر قد تجاوز ٢٢ مليونًا وكانت سياسة الدولة إيقاف زيادة السكان واعتبرت الزيادة شيء خطيرًا فأمرت بإعطاء جميع وسائل منع الحمل مجانًا وساعدتها بذلك الولايات المتحدة الأمريكية ومنظمة الصحة العالمية، ووصل الأمر إلى أن رئيس الدولة جمال عبد الناصر أمر الأطباء في المستشفيات الحكومية بأن يقوموا بعملية قطع الأنابيب (Tubal Ligation) إذا كانت المرأة لديها أربعة أطفال أو أكثر وذلك عندما تحضر للولادة في المستشفى الحكومي وتعمل لها عملية قيصرية وفي نفس الوقت يعمل لها قطع وربط الأنابيب، ولو كان ذلك بدون إذنها أو إذن زوجها وهو أمر مخالف للدين والعقل والأخلاق وحقوق الإنسان، ورغم ذلك زاد عدد سكان مصر زيادة كبيرة وهم الآن ١٠٠ مليون (٢٠١٨م).

والغريب حقًا أن الأغنياء والمثقفين يحرصون على أن يكون لديهم طفل واحد أو اثنين على الأكثر، بينما الفقراء وعامة الشعب لديهم عدد كبير من الأطفال، ويعتبر وجود الأطفال في الأسرة مكسبًا بالنسبة للعمال والفلاحين والفقراء لأنهم أيدي عاملة في البيت وخارج البيت ويساهمون جميعًا في دخل الأسرة ورفع مستواها.

ويتجه كثير من هؤلاء إلى الصناعات والحرف المهنية مثل الحدادة والنجارة وورش السيارات والفلاحة والزراعة... الخ، وهذه الفئة تكسب أضعاف ما يكسبه خريج الجامعة صاحب البكلوريوس أو حتى الشهادات العليا مثل الماجستير والدكتوراه.

والجدير بالذكر أن الرئيس مبارك كان يقف بشدة ضد الزيادة السكانية المتتالية في مصر ويخطب قائلا: "أنا هاجيب ليكو أكل منين إذا كنت بتتكاترو زي الأنارب؟!" ويظن أنه هو الرزاق.

والمثال الثاني من الهند: حيث كانت أنديرة غاندي قد قامت بتعقيم عشرة مليون هندوسي ومليون مسلم من الرجال والنساء في فترة حكمها في الستينات من القرن العشرين على اعتبار أن سكان الهند قد وصلوا إلى ٣٠٠ مليون وبالتالي لا تستطيع الهند أن تقوم بمأكلهم ومشربهم، ولكن أثبت الزمن أن هذه السياسة فاشلة فقد وصل سكان الهند اليوم إلى ١٥٠٠ مليون (٢٠١٨م) ومع هذا فلدى الهند فائض من الطعام ومستوى الناس ارتفع أضعاف ما كانوا عليه أيام أنديرة غاندي وأصبحت الهند من الدول النامية القوية والتي تنافس الصين.

وكثرة السكان مع وجود حكومات راشدة هي قوة فعلية للدولة وللأمة، وهذا ما تقوم به الدول الغنية بعد أن انخفض عدد سكانها حيث نجد أن روسيا (١٨٠مليون) تعطي النساء اللائي يلدن عددًا من الأطفال جوائز وتشجيعات مالية كبيرة جدًا، وكذلك تفعل ألمانيا وغيرها من الدول.

الواقع أن المثقفين والأغنياء هم الذين يقتصرون على طفل واحد أو طفلين على الأكثر، أما الفقراء وذوي الدخل المحدود فهم يسعون إلى الإكثار من

الأطفال حيث يكون وجودهم مكسبًا ماليًا سواء كان في البيت أو في الزراعة أو في المعامل أو غيرها.

وهذا ما قررته منظمة الصحة العالمية ومنظمات الأمم المتحدة عدة مرات بعد أن فشلت سياستها في تحديد سكان العالم الذين ازدادوا من أقل من مليار في بداية القرن العشرين إلى ثمانية مليارات اليوم (٢٠١٨م).



الفصل الثاني عشر

العودة إلى عدن بعد التخرج

العمل في مستشفى الملكة اليزابيث



وضعت حجر الأساس الملكة اليزابيث الثانية في أبريل ١٩٥٤م وافتتح المستشفى في عام ١٩٥٨ وكان يضم أكثر من ٥٠٠ سرير وأكبر مستشفى في الجزيرة العربية آنذاك.



عندما أكملت دراسة الطب في القاهرة ١٩٦٤م وعملت بعدها لمدة عام كطبيب امتياز حسب القوانين المعتادة قررت العودة إلى عدن وبما أنني كنت قد حصلت على منحة من حكومة عدن في السنوات الأخيرة لدراستي للطب في القاهرة (بسبب تفوقي في الدراسة) فإن حكومة عدن كانت تنتظر عودتي بعد الانتهاء من سنة الامتياز.

وتخرج معي أخي الدكتور أحمد علي البار وزميلنا الدكتور سالم أحمد اليافعي وسافرنا سويًا إلى عدن، وبعد أن وصلنا اتصلت بمكتب وكيل وزارة الصحة (Permnat secretary وهو الوزير الفعلي) الدكتور جونس (Jones) لنأخذ موعد معه فأعطانا الموعد في اليوم التالي الساعة السابعة صباحًا، وبالفعل ذهبت مع أخي وزميلنا الدكتور سالم يافعي وفوجئ الدكتور جونس لقدومهما، وسر لذلك لأنهم كانوا بحاجة ماسة للأطباء وطلب منا أن نذهب إلى مدير مستشفى الملكة اليزابيث الدكتور ميرفي (Murphy) ولم

تكن معنا الشهادات الأصلية التي لم تكن تعطى إلا بعد مرور سنة من التخرج وإنما كانت لدينا أوراق معتمدة من كلية الطب بتخرجنا، ولم يهتم بذلك بل حوَّلها إلى السكرتارية وطلبنا منه أن يساعدنا في الحصول على هاتف وكذلك في شراء سيارات حتى نستطيع الذهاب إلى العمل، فحول ذلك إلى السكرتارية وقال: لا تهتموا إلى هذا الموضوع وسنرتب أمركم.

وعندما ذهبنا إلى الدكتور ميرفي مدير المستشفى وكبير الأطباء في عدن (SMO) استقبلنا استقبالًا طيبًا وحولنا إلى رئيس قسم الجراحة مستر هاملتون (Mr. Hamilton)، والدكتور ماكدوجل (Mr. Magal) رئيس قسم الأمراض الباطنية الذي اختار أخي الدكتور أحمد للعمل تحت إشرافه بينما عملت أنا وزميلنا الدكتور سالم في قسم الجراحة.

وبما أن الدكتور ماكدوجل لم يكن معه نائبًا (Registrar) فقد كان على أخي أحمد أن يتابع الحالات التي تدخل في الفترة المسائية وكان عليه أن يجيب على أسئلة رئيس الممرضين في القسم، وبما أنه لم يكن لديه تليفون فقد اضطروا للاتصال بالدكتور ماكدوجل نفسه وهذا ما أثار غضبه، ولكننا أفهمناه باليوم التالي بسبب المشكلة بأنه ليس لديه تليفون، وهذا أدى إلى سرعة إعطاء أخي أحمد التليفون المطلوب.

والغريب أن مستشفى الملكة اليزابيث في عدن والذي يحوي ٥٠٠ سرير كان يعمل به عدد محدود من الأطباء ففي الأقسام الباطنية هناك اثنان من الأطباء الاستشاريين أحدهما الدكتور ماكدوجل وهو رئيس القسم والثاني طبيب هندي (لا يحضرني أسمه الآن) ويعمل تحت إشرافهما طبيبان فقط منهم أخي أحمد وفي المستشفى قسم خاص لمرضى السل منعزل عن بقية

المرضى ويشرف عليه طبيب هندي مسلم فقط ويزوره مرتين في الأسبوع دكتور ماكدوجل.

مرضى السل في عدن



بنته حكومة عدن وأنفقت عليه جمعية أصدقاء مرضى السل التي كان يرأسها الشيخ محمد عبد القادر مكاوي الذي نال لقب سير Sir من الملكة اليزابيث وكان من أعضاء الجمعية الشيخ علي التركي الذي كان يوفر للمرضى الألبان مجانًا والشيخ علي بازرعة وآخرون والذين كانوا يوفرون الغذاء الجيد مجانًا لهؤلاء المرضى. وفي تلك الفترة لم يكن هناك دواء لمرض السل ولهذا جعلوا عنابر مستشفى السل مرتفعة ومفتوحة للهواء الطلق ويوفر لهم الغذاء الجيد والهواء النقي وكان بعض المرضى يشفى بهذه الطريقة وبعضهم تتحسن حالته، فلما بني مستشفى الملكة اليزابيث ١٩٥٨ كان العلاج قد توفر فنقل المرضى إلى مبنى خاص في مستشفى الملكة وأزيل مستشفى السل وجعل طريقًا إلى منطقة الطويلة.

وقد كان السل منتشرا في عدن في تلك الفترة وما قبلها. وقد قامت وزارة الصحة ببناء مستشفى صغير على تلة في كريتر في عدن لإيواء مرضى السل. وبما أن أدوية السل لم تظهر إلا بعد الخمسينات من القرن العشرين فإن هؤلاء المرضى كانوا يعطون الغذاء الجيد والهواء النقي في منطقة مرتفعة حتى تتحسن مقاومتهم الطبيعية وكانت هناك جمعية خيرية لمرضى السل تقوم بجلب الطعام الجيد والإيواء لهؤلاء المرضى وعلى رأس هذه المجموعة شيخ علي التركي صاحب الفنادق والأبقار الكثيرة. وكان في هذه الجمعية الشيخ علي بازرعة والشيخ محمد عوض باوزير وجدي السيد عبيد (عبد الله) أحمد الصافي وإخوان جدي السيد حسن أحمد الصافي وحسين أحمد الصافي والسيد سالم علوي الكاف وغيرهم. ولما ظهرت الأدوية الحديثة لمداواة مرضى السل نُقل هؤلاء المرضى إلى قسم خاص لمستشفى الملكة اليزابيث.

العمل مع مستر هاملتون في قسم الجراحة

وعملت أنا مع المستر هاملتون (لا يدعى الجراح دكتور في بريطانيا بل يقال له مستر وذلك بسبب تنافس بين الكلية الملكية للأطباء RCP والكلية الملكية للجراحين RCS. حيث لم يكن الجراحين يعتبرون أطباء في الأزمان السابقة) وقد تميز المستر هاملتون ببراعته في الجراحة بمختلف أنواعها رغم أنه كان يحب الخمر كثيرا ويشربها أحيانا أُثناء النهار

ومع هذا كان يقبل ممن يعملون معه أن يناقشوه وله ميزة أنه يعترف بصواب من هو تحته إذا كان محقا ولا يمنعه مركزه ومنصبه من ذلك. بل ويقبل من الممرض الذي يساعده في العمليات لفترة طويلة من الزمن (العم عبده) أن يقول له في أثناء العملية "ليس هكذا يا مستر هاملتون". وللحق فإن معظم

الأطباء من الإنجليز وغيرهم كانوا متواضعين وحَسُنِي الخُلق مع من يعملون تحتهم من الأطباء والممرضين ومع المرضى.

يا وليد يا وليد

وأذكر عندما جئت من القاهرة حيث يدعون طلبة الطب يا دكتور يا دكتور، وأنا أفرح بذلك ولما عملت بمستشفى الملكة إذا بامرأة صومالية وأنا معلق السماعة على صدري تناديني يا وليد يا وليد (تصغير ولد وهي تكاد تكون شتيمة في مصر) فغضبت في نفسي ثم ضحكت، وفي اليمن بأكملها لا توجد ألقاب بين الناس، فقد تجد الفراش يخاطب مدير المؤسسة بـ يا فلان، وقد حدث أن أحد الفراشين سلم على مدير وصاحب مستشفى فلم يرد عليه السلام، فقال: الفراش اليمني يا دكتور السلام لله، رد السلام يا فلان الكبرة لله!

العم عبده في قسم الجراحة

وكان العم عبده بخبرته الطويلة يوجهنا نحن الأطباء المتخرجين أثناء العمليات التي نقوم بها ويساعدنا في ذلك كثيرًا، وذلك لخبرته الطويلة حيث أنه عمل مع رئيس قسم الجراحة السابقة المستر تكر Tucker مدة طويلة ثم عمل مع مستر هاملتون مدة طويلة ونتيجة خبرته الطويلة أصبح ذو معرفة جيدة بالجراحة.

ويعمل مع مستر هاملتون جراح إنجليزي كان سيء الخلق كنائب (Registrar) وأنا كطبيب مقيم (Senir Honse Ohicer S.H.O) وهناك فريق آخر يرأسه جراح أيرلندي ويعمل معه كنائب (Registrar) جراح هندي جيد يدعى فاشمبين Vachempain ذو أخلاق عالية وعمل معه أخي أحمد كطبيب مقيم في إحدى الفترات.

وقد زار مستشفى الملكة جراح القلب الإنجليزي المشهور المستر روس (Mr. Ross) سنة ١٩٦٦م والذي له عمليات باسمه والذي قام بإجراء عمليات لحالات ضيق الصمام المترالي الشديدة والتي كانت تجرى عن طريق فتحة صغيرة في القلب وإدخال أصبع الجراح بتوسيع الصمام مباشرة أو بمشرط خاص حيث لم يكن من الممكن في ذلك الوقت إجراء عمليات القلب المفتوح لعدم وجود الأجهزة الخاصة بتحويل الدورة الدموية وتنقية الدم وإعادته إلى الجسم. وقد اعتبرت هذه العملية التي تمت في مستشفى الملكة في عدن أول جراحة في القلب في العالم العربي بأكمله، وقد كان من حظي أن أحضر هذه العملية، كما حضرت فيما بعد سنة ١٩٧٢م عملية القلب المفتوح الكاملة التي أجراها فريق جراحي القلب من جامعة لوميلندي (الولايات المتحدة) في المستشفى العسكري في خميس مشيط في المملكة العربية السعودية وهي أول عملية للقلب المفتوح التي أجريت في المملكة.

أطباء من تنزانيا

وعندما حصلت أزمة في تنزانيا أُثناء حكم نيغيغي الذي كان يعادي العرب والإسلام خرج من تنزانيا مجموعة من الأطباء ذوي الأصول العربية ومنهم الدكتور خروصي استشاري طب الأسنان والدكتور علي مجيني الذي تخصص في التخدير فيما بعد وكلاهما من أصول عمانية وقد التحقا بمستشفى الملكة اليزابيث وعملا بها. والدكتور عبد العزيز الدالي أخصائي طب الأسنان وهو من أصول يمنية، ولكن وزارة الصحة عرقلت إجراءات دخوله فوقف معه اتحاد أطباء العرب الذي تكون حديثًا من مجموعة من الأطباء العرب الموجودين في عدن، وكنت مع أخي أحمد من الناشطين في هذا الاتحاد واتصلنا بالإدارة حتى قبل توظيفه.

ولم نعرف أن الدكتور عبد العزيز الدالي كان عضوًا نشطًا في الجبهة القومية ومن أنصار الاتجاه الاشتراكي إلا فيما بعد، وذلك عندما أصبحت مديرًا (بالنيابة) لمستشفى الملكة اليزابيث قبيل الاستقلال مباشرة عندما جاء شهر رمضان أمرت بإقفال المقصف والكافيتريا في نهار رمضان وطلبت من الموظفين عدم الأكل أو التدخين علنًا في نهار رمضان، ولكني فوجئت بزميلنا الدكتور عبد العزيز الدالي يحتج على التدخل بالحرية الشخصية وفرض اتجاه ديني في مستشفى عام، وحاولت إقناعه بأن الأكل والشرب علنا يجرح شعور المسلمين ويستطيع الشخص أن يأكل ويشرب ويدخن دون أن يظهر ذلك علنًا ويتحدى ذلك مشاعر المسلمين. ولكنه لم يقتنع ثم عرفنا صلته بالجبهة القومية وانضمامه إلى التيار الاشتراكي رغم أنه كان من الأثرياء ولديه سيارة مرسيدس فاخرة حيث تولى بعد الإطاحة بقحطان الشعبي والمجموعة اليمينية للجبهة القومية وانتصار المجموعة الاشتراكية -منصب وزير الصحة- وكنت قد فررت في أغسطس ١٩٦٨م إلى القاهرة للدراسة فيها، وجاء الدكتور عبد العزيز الدالي للقاهرة عام ١٩٦٩م وقابلته وطلب مني العودة إلى عدن لحاجة الوطن إلى أمثالي من الأطباء المتميزين، وقد عرف أنني حصلت على دبلوم التخصص في الأمراض الباطنية بدرجة امتياز وأنني ذاهب إلى بريطانيا للحصول على شهادة الكلية الملكية للأطباء في لندن، وأني أريد منهم منحة لإكمال الدراسة في بريطانيا، فكرر طلب العودة إلى عدن أولًا، وقلت له: الآن أنا في حالة جاهزة للدراسة العليا وأستطيع الحصول على شهادة الكلية الملكية في خلال سنة ولكنه رفض إعطائي هذه الفرصة فذهبت إلى هناك ودرست على حسابي الخاص وحصلت على الشهادة في خلال عام، وعرفت

فيما بعد أن الدكتور عبد العزيز الدالي أنه صار وزير للخارجية عام ١٩٦٩م وبعد أن انتهى الحكم الشيوعي، قالوا: إنه عاد إلى الإسلام.

الدكتورة ايفا في قسم الأطفال

ونعود إلى مستشفى الملكة اليزابيث حيث كانت هناك الدكتورة ايفا الإنجليزية أخصائية طب الأطفال وهي الوحيدة في هذا الفرع من الطب في ذلك الوقت، وكانت جميلة وصغيرة في السن ويبدو أنها لم تكن تستعمل حبوب منع الحمل لأن الحبوب في تلك الفترة كانت تحتوي على كمية كبيرة من الاستروجين تؤدي إلى إضرار جانبية كبيرة ولهذا فقد أجريت لها عملية إجهاض مرتين.

عملي مع دكتور ماكدوجل رئيس أمراض الباطنة

وعملتُ مع الدكتور ماكدوجل ما يقرب من السنة وتعلمت منه الكثير وكان يستغرب وجود عدد كبير من الطفيليات لدى المريض الواحد (وخاصة المناطق الشمالية) حيث كان يحمل المريض في أمعائه الطفيليات التالية: الأميبا والجارديا وديدان الاسكارس وديدان بلهارسيا بالإضافة إلى انكلوستوما، وكان يصيح انظر انظر (الميكروسكوب) هذا متحف طفيليات كامل، وكان كثير من المرضى يعانون من سوء التغذية وفقر الدم كما أن غالبية اليمنيين تكون لديهم زيادة خلايا الدم البيضاء من نوع الحمضة (Eosinophia) التي تزداد في حالات الحساسية أو وجود الطفيليات كما أن عدد الخلايا الدم البيضاء الأخرى تقل كثيرًا حيث أن المعدل الطبيعي في الشعوب الأخرى من ٨ إلى ١١ ألف كرة دم بيضاء، بينما هي في معظم

اليمنيين ما بين ٣ إلى ٥ آلاف كرة دم بيضاء. والغريب حقًا أن اليهود اليمنيين في إسرائيل كانت لديهم هذه الظاهرة أيضًا، وأذكر أنني قرأت مقالًا في مجلة اللانست الطبية أو المجلة الطبية البريطانية P.M.J عندما كنت أدرس في بريطانيا عام ١٩٧١م أن اليهود اليمنيين يتميزون بقلة كرات الدم البيضاء في دمائهم، وأنه يقل عن المعدل المعتاد ووجدته مشابهًا للمرضى في مستشفى الملكة اليزابيث.

وكنا نستقبل في المستشفى حالات الحميات مثل التيفود والملاريا والحمى الشوكية، ولم يكن لها قسم خاص بل كانت ضمن العنبر العام للمرضى في قسم الأمراض الباطنية، وهو ما يشكل خطرًا على المرضى الآخرين وعلى العاملين في هذا القسم.

وكان على صغار الأطباء أن يعملوا أيضًا في قسم الطوارئ في مناوبات مسائية وليلية إلى الصباح بالإضافة إلى عملهم في الأقسام التي هم فيها، وفي قسم الطوارئ يبقى طبيب واحد فقط مع عدد من الممرضين والممرضات لاستقبال الحالات المختلفة وإذا احتاجت الحالة إلى الدخول للمستشفى يتصل الطبيب بالطبيب المسؤول عن القسم الريجسترار حتى يتم إدخال الحالة سواء كانت جراحة أو باطنة على حسب الحالة.

وأذكر وأنا في قسم الطوارئ جاءني أحد زملائي في كلية عدن الثانوية ومعه ابنه الصغير الذي أصيب بجرح في ساقه نتيجة لعبه، وبعد إعطائه حقنة مضادة للتتانوس طلب مني زميلي أن يحضر عملية الخياطة الصغيرة فوافقت على ذلك، وبينما أنا أجري الخياطة لم أشعر إلا وصديقي مغشي عليه فانشغلنا به، وبعدها تعلمت أن لا أسمح لأحد حضور هذه الإجراءات البسيطة.

في قسم الطوارئ

وفي كثير من الأحيان كان الضغط في قسم الطوارئ شديدًا ولم يكن بإمكان طبيب واحد أن يداوي كل تلك الحالات وكان الممرضون والممرضات جيدين ويساعدوننا في الكثير من هذه الحالات ولكن قد تحصل مشاكل أحيانًا. وأذكر أن جاءنا طفل صغير يعاني من التهاب رئوي تأكدنا منه بإجراء الآشعة على الصدر ولم يكن لدينا في ذلك الوقت مضادات حيوية كثيرة وكان أهم هذه المضادات المتوفرة هو البنسلين وهو الدواء الشافي لمعظم هذه الأمراض الميكروبية. ولكن حقن البنسلين قد تؤدي في بعض الأحيان النادرة إلى صدمة شديدة نتيجة الحساسية وقد يتوفى الشخص في خلال دقائق معدودة إذا كان الطبيب مشغولًا بحالات أخرى.

وأذكر في قسم الطوارئ أنه يأتي بعض المرضى الذين يشكون من المغص الكلوي وهو معروف بشدته وألمه الشديد وكنا نعالج ذلك بحقن البسكوبان ومشتقات المورفين مثل البثيدين وفي أحيان أخرى بحقن المورفين نفسه وكان الطب البريطاني على وجه الخصوص يتساهل كثيرًا في إعطاء المورفين ومشتقاته للمرضى مما يؤدي أحيانًا إلى وجود حالات إدمان، وقد كان بعض هؤلاء المرضى يتقنون التمثيل لحالات المغص الكلوي الشديد ويتلوون من الألم حتى يعطيهم الطبيب حقنة مورفين أو على الأقل إحدى مشتقاته مثل البثيدين، وكانت حبوب الكوداين (المشتقة من الأفيون) تعطى على هيئة أقراص مع الاسبرين والفيناسيتين APC = اسبرين +فيناستين+كوداين) وكانت من المسكنات الشائعة حتى بدون وصفة طبية. كما تحتوي أدوية الكحة على كمية من الكوداين.

وتغيرت هذه السياسة فيما بعد وأصبحت كل مشتقات الأفيون والمورفين تحتاج إلى وصفة طبية خاصة.

وزارة الصحة توفر السكن للأطباء

بعد مرور سنة من العمل في المستشفى طلبت إجازة مدة شهر للزواج (كانت الإجازة شهرين لكل سنة تأخذ بعد سنتين ونصف أو ثلاث سنوات) وذهبت إلى القاهرة وتزوجت من قريبتي التي كنت قد خطبتها وكانت لا تزال طالبة في المرحلة الثانوية، وحضر حفل زفافي الأستاذ عبد الله الأصنج والأستاذ ناصر عرجي وغيرهما من أعضاء جبهة التحرير لمعرفة والدي وأخي بهم ومعرفتي الشخصية بهذه المجموعة (وكانت الرابطة أبناء الجنوب قد غادرت مصر إلى السعودية) وحضر أيضًا زميلي في الدراسة في كلية عدن الدكتور أبو بكر حامد خليفة الذي كان لا يزال يدرس الطب في القاهرة بعد أن عاد من بريطانيا التي لم يتم الدراسة فيها.

ولما عدت بعد الإجازة طلبت من الإدراة الصحية أن توفر لي سكنًا باعتباري متزوجًا الآن، فأعطوني شقة صغيرة مطلة على بحر صيرة ومؤثثة تأثيثًا بسيطًا وجيدًا، وبعد فترة انتقلت إلى فيلا صغيرة في خور مكسر لعملي المتواصل في مستشفى الملكة، وطلب مني أخي أن أعطيه شقة صيرة فسكن فيها بعد موافقة الإدارة الصحية ثم انتقل هو أيضًا إلى فيلا صغيرة في خور مكسر وأعطى هذه الشقة لأستاذنا جعفر أمان.

القتال الأهلي وتأثيره على المستشفى والأطباء

ظهر تنافس شديد بين جبهة التحرير FLOSY وبين الجبهة القومية NLF مما أدى إلى ازدياد حركة الاغتيالات وكانت الجبهة القومية هي الرائدة في

هذا الميدان وقد اغتالت عددًا كبيرًا من أنصار وأقرباء جبهة التحرير بما فيهم أولاد عبد القوي مكاوي (والذي سيأتي شرحه بالتفصيل) وقد أدت هذه الاغتيالات إلى ازدياد العمل في قسم الطوارئ وازدياد الضغط على الأطباء الموجودين في المستشفى، وفي بداية عام ١٩٦٧م بدأ الأطباء الأجانب ينسحبون تدريجيًا ويعودون إلى بلدانهم وكان لدينا اتحاد للأطباء العرب (المحليين) وعددنا محدود، وكنت رئيسًا لهذا الاتحاد في إحدى الفترات وقد قامت إدراة الخدمات الطبية بتعيني مديرًا ورئيسًا للأطباء بالوكالة (Acting SMO) وذلك عندما انسحب كل الأطباء الأجانب بما فيهم مدير المستشفى الدكتور مرفي Murphy.

وكان الموقف عصيبا جدًا وخاصة بعد أن قامت الحرب الأهلية بين جبهة التحرير FLOSY والجبهة القومية NLF وكان الجرحى والقتلى بالعشرات ثم بالمئات يوميًا، وكان الأطباء الموجودون يعملون بكل طاقتهم ليلًا ونهارًا وكنت على رأس هؤلاء ولم أستطع النوم في كثير من الليالي وكنت أطوف على المرضى والمصابين وأجد بجوار المريض مدفع رشاش كلاشنيكوف الروسي، فأسأل المريض ما هذا؟ فيقول كما ترى سيأتون لقتلي فهل تستطيع أن تحميني؟ فأقول لا والله.

في هذا الوقت العصيب مع نقص الأطباء والإمكانيات اتصل بنا مندوب الصليب الأحمر وعرض أن تقوم مؤسسة الصليب الأحمر الدولية بوضع أعلامها على مستشفى الملكة وتعلن أن المستشفى قد صار في حوذة الصليب الأحمر وتأتي بالإعلام العالمي ليسجل ذلك وتقوم هي بالمقابل بتوفير الأطباء والتمريض والأدوية المطلوبة، فاجتمعت بإخواني أعضاء اتحاد الأطباء العرب ووافقوا بالإجماع على أن نسلم المستشفى للصليب الأحمر لأن لا طاقة لنا

لمواجهة هذه الحرب الأهلية والأوضاع الخطيرة فوافقت مبدئيًا مع المندوب الصليب الأحمر على هذه الفكرة ولكني طلبت منه مزيدًا من الوقت حتى أتصل بجهات أخرى.

وفي ذلك الوقت قام الشيخ محمد سالم البيحاني بإلقاء خطبة يستنكر فيها أن يوضع الصليب على أكبر مستشفى في عدن والواقع أنه لم يوضع الصليب على أي مؤسسة بصورة ظاهرة طوال فترة الاستعمار.

وكان ذلك دافعًا لي للاعتذار عن قبول هذا العرض، وقد بلغني في تلك الفترة أيضًا أن قحطان الشعبي رئيس الجبهة القومية كان موجودًا في الجنوب وأنه رفض أيضًا فكرة تسليم المستشفى للصليب الأحمر.

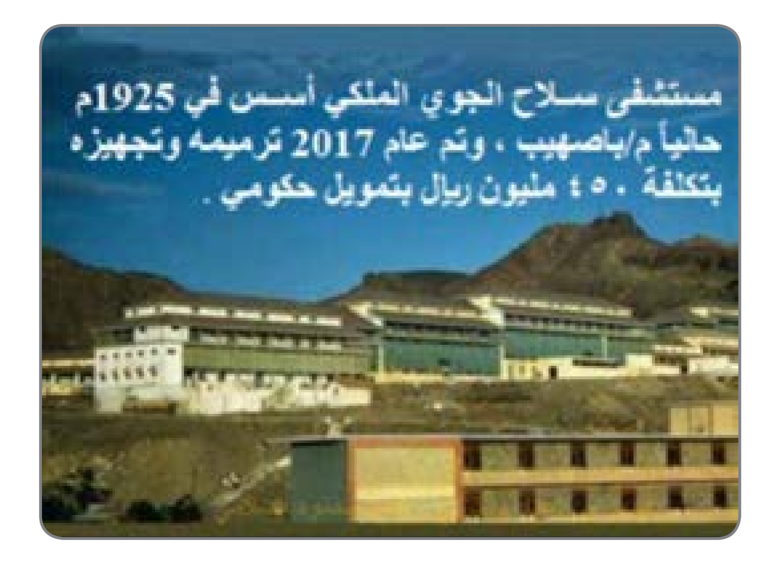
لذلك كله قررت مع إخواني الأطباء أن نسحب موافقتنا على هذا الاقتراح وبقينا في أزمة شديدة ثم حاولت الذهاب إلى القاهرة لاستجلاب عدد من الأطباء يساعدوننا في المستشفى بعد أن وافق وكيل وزارة الصحة بالنيابة على هذا الإجراء وقد حاول بعض المشاغبين من الجبهة القومية منعي من السفر بناءً على دعوة كيدية بأني أريد الهروب من البلد، ولكن بعد أن تبين موقفي سمحوا لي بالسفر للقاهرة.

وفي القاهرة بدأت بالاتصال بالأطباء لترتيب أخذ مجموعة منهم وبلغني أن الرئيس قحطان الشعبي كان موجودًا في القاهرة في تلك الفترة فاتصلت به وشرحت له الوضع فقال لي: لا تقلق الآن ستستقل البلد قريبًا وستأتينا المساعدات من كل مكان ولن نحتاج إلى تكليف الدولة أموال طائلة لجلب هؤلاء الأطباء، فشكرته على ذلك ورجعت إلى عدن.

وبعد عودتي بفترة وجيزة جاءني وكيل وزارة الصحة الدكتور جونس قبل أن يغادر البلد وقال لي: هل انضممت إلى الجبهة القومية؟ فقلت له: ليس لي

أي انتماء سياسي، فقال: الآن ستكون بيد الجبهة القومية وعليك بترتيب أمرك فشكرته على ذلك وفي الواقع كانت بريطانيا قد ألقت بثقلها كله في الفترة الأخيرة مع الجبهة القومية ضد جبهة التحرير (كما سيأتي شرحه في الفصل القادم) وبالفعل لم أنضم إلى أي جبهة سياسية طوال حياتي.

وبدأت أفكر بالانتقال إلى المستشفى العسكري على اعتبار أن بعض قادة الجيش مثل العقيد حسين عثمان عشال والمقدم محمد أحمد بالعيد والقائد محمد أحمد السياري كانوا من المتدينين وبالفعل قاموا فيما بعد حركة ثلاثين مارس ١٩٦٨م باعتقال قادة المجموعة الماركسية في الجبهة القومية، ولكن هؤلاء عادوا واستطاعوا أن يطردوا مجموعة عشال إلى القاهرة الذين عرفتهم فيما بعد في القاهرة، وكان أكثرهم معرفة وذكاءً القائد محمد أحمد السياري الذي نبهني إلى كتابين صدرا حديثًا في ذلك الوقت هما: فلسفتنا واقتصادنا للعلامة محمد باقر الصدر، ولكن محاولتي للانتقال إلى المستشفى العسكري باءت بالفشل.



وعندما انسحب الإنجليز وأعلن الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م لم أبادر إلى وضع صورة الرئيس قحطان في مكتب مدير المستشفى بل اكتفيت بالآيات القرآنية، وقد أدى ذلك إلى أن تقوم الإدارة الجديدة بعد أن تولى الدكتور الفاضل أحمد صدقة وزارة الصحة وطلبوا مني أن أنتقل إلى مستشفى البريقة أولًا.

وانتقلت إلى مستشفى صغير في البريقة (عدن الصغرى) تابع لوزارة الصحة، وليس هو مستشفى البريقة الكبير التابع لشركة المصافي المخصوص لموظفي الشركة وعمالها.



وهو مستشفى كبير يخدم جميع موظفي وعمال المصافي الذي يبلغ عددهم عشرين ألف شخص مع عائلاتهم وممن تولى إدارته من الأطباء العرب صديقنا العزيز الدكتور الجراح الماهر عادل عولقي وذلك منذ بداية سنة ١٩٧٨م إلى أغسطس ١٩٨٢م وكان يقوم بالعمليات الكبيرة وتطلبه بعض المستشفيات

الأخرى في عدن مثل مستشفى الجمهورية (الملكة سابقًا) وغيره ليعمل بعض العمليات التي يحتاجون لها وللأسف فإن مستشفى المصافي الذي كان متميزًا قد انحدر مستواه في الآونة الأخيرة.

وكنت الطبيب الوحيد في المستشفى الحكومي الصغير في البريقة، وفيه العيادة الخارجية اليومية وستة أسرة داخلية لاستعمالها عند الحاجة ولم يكن هناك أي طبيب آخر، وكان المستشفى مطلًّا على البحر مباشرة في منطقة جميلة وكان السكن أيضًا داخل المستشفى مكون من دورين وفي الدور الأرضي استقبال ومطبخ وغرفة طعام والدور العلوي غرفتين للنوم، وكنت مع زوجتي فقط بدون أطفال فلم نكن نحتاج إلى غرف كثيرة، وكانت تأتيني الوالدة وواحدة من الأخوات لتبقى معنا عدة أيام، وكنت أذهب مع زوجتي صباحًا بعد صلاة الفجر نتمشى على الساحل وأقوم أحيانًا بالسباحة فيه قبل موعد العمل.

وكانت تأتي بواخر شركة المصافي وغيرها إلى ميناء البريقة وكان بعض هؤلاء يأتون إلى المستشفى للعلاج كعيادة خارجية ونصرف لهم الدواء وتستفيد الدولة من هذه الزيارات وما نصرفه لهم بحيث يتم محاسبتهم عليها كل شهر.

وقد قمت باستئجار عيادة خاصة في المساء ومع ازدياد عمليات المقاومة كانت تزداد حالات الإصابات وإطلاق النار بين قوات البريطانية والمناضلين. وفي عدة مرات كان هؤلاء المناضلين يتسلقون إلى سطح العيادة ويرشقون الدوريات البريطانية بسلاحهم ويتم تبادل إطلاق النار واضطر إلى حمل المصابين وإسعافهم والذهاب بهم إلى مستشفى المصافي في البريقة لأن لديهم إمكانيات جيدة، وكنت أحيانًا أرجع إلى المنزل وأنا ملوث بالدماء وأدخل

إلى المنزل وأرى زوجتي نائمة، وتصحى من النوم وتقول: ما هذه الدماء؟ وأقول: ما سمعتي إطلاق النار؟ وتقول لي: ألم تقل لي أن هذا بعيد عنا جدا؟ فأقول لها: ارجعي للنوم، وفي إحدى المرات قدمتُ مع والدتي وابن أختي الصغير محمد باهارون الذي كان عمره ما بين الثالثة والرابعة وقالت جدته: نحن ذاهبون إلى البريقة، فكرر عدة مرات البريقة حرّق البريقة حرّق. وفعلًا عندما وصلنا إلى البريقة وجدنا البريقة مشتعلة، فمكثنا في دوار خارج البريقة حتى سمحت لنا الدوريات البريطانية بالدخول والذهاب إلى المستشفى بعد أن أوضحت لهم بطاقتي الشخصية باعتباري طبيب في المستشفى، والحمد لله لم تكن هناك وفيات بسبب هذا الحريق الذي تم إطفائه بسرعة.

الانتقال إلى مستشفى لحج الصغير

وعندما كنت في البريقة طلبت مني الإدارة الصحية الانتقال إلى مستشفى لحج (المحافظة الثانية)، وبالفعل انتقلت إلى مستشفى لحج الصغير الذي لم يكن فيه أحد من الأطباء منذ فترة طويلة والذي أهمل إهمالًا تامًا، ووجدت المستشفى في حالة سيئة من جميع الجهات تنظيمًا ونظافة مع قلة الأدوية وانعدام الأطباء، وكان يقوم بالمستشفى في تلك الفترة مجموعة من المساعدين الصحيين والذين كانوا أنفسهم منقسمين بين جبهة التحرير والجبهة القومية ويتقاتلون فيما بينهم، ولكن الغلبة كانت في النهاية مع الجبهة القومية، وقد وافقت الإدارة الطبية على إعطائي طبيبًا مساعدًا الدكتور دُسوزا الهندي كطبيب عام مساعد.

وبفضل الله قمت بجهود حثيثة لإصلاح المستشفى وتنظيفه وتوفير الخدمات وبعض الأدوية الضرورية، وعندما كانت الطلبات تتأخر كنت أقوم

بشراء بعضها من مالي الخاص وقد عرف بذلك رئيس الممرضين والمساعدين الصحيين الأستاذ النميري الذي كان عضوًا مهمًا في الجبهة القومية وكان يتبعنا مستشفى الضالع والذي لم يكن فيه أيضًا أي طبيب، ومستشفى في أبين وكان فيه طبيب واحد فقط، وكان علي أن اذهب إلى هذه المستشفيات الصغيرة من حين إلى آخر وإصلاح ما بقي فيها من إمكانيات محدودة، وبفضل الله سبحانه وتعالى استطعت أن أرتب المستشفى وأقيم وبعض الخدمات الجيدة نسبيًا وقسمت العمل بين المساعدين الصحيين الذين كان بعضهم على دراية جيدة نسبيًا بالعمل التمريضي والطبي وكان لدينا جهاز أشعة وغرفة عمليات ومختبر جيد كما كان لدينا مجموعة من الممرضات في قسم النساء ومنهن متدربات على التمريض والولادة.

وبعد أن استتب الأمر في المستشفى قمت بجولات في المناطق البعيدة وخاصة في طور الباحة حيث كانت الملاريا منتشرة مع الكثير من الأمراض والطفيليات الأخرى مثل السل الرئوي. وزرت هذه المناطق مع مجموعة من المساعدين الصحيين الجيدين وقدمنا لهم بعض الخدمات الضرورية ونقلنا بعض الحالات التي تحتاج إلى دخول للمستشفى. وقام بعض هؤلاء الفقراء المساكين بتقديم هدية لنا جديين فرفضت ذلك واعتذرت، فأخبرني رئيس المساعدين الصحيين الذي كان معي أن هؤلاء القوم يعتبرونها إهانة، فقررت أن نأخذ جديًا واحدًا، وأن نترك الثاني لهم، لأنهم فقراء معوزين ليست لهم بيوت بل خيام صغيرة ممزقة، وسروا بزيارتنا سرورًا بالغًا، وقالوا: لم نرى طبيبًا ولا مساعدًا صحيًا منذ زمن طويل.

وشعرت بالسعادة عندما كنت أقوم بزيارة هذه المناطق المهملة والتي تعاني من إهمال تام للخدمات الصحية.

وسمع بذلك كله بالتفصيل محافظ المحافظة الثانية الأستاذ ناصر علي محمد الذي صار فيما بعد رئيسًا للوزراء ثم رئيسًا للجمهورية وأمينًا عامًا للحزب الاشتراكي وسر لذلك النشاط وبلغني عنه أنه كان مسرورًا مني ورغم أني لم أقابله في تلك الفترة وقد أخبرني بذلك أخي الدكتور أحمد فيما بعد الذي كان على صلة وثيقة بالرئيس علي ناصر.

طفلان مع قنابل النابالم (محرّمة دوليًا)

وأذكر حادثة هزتني وذلك أن طفلين صغيرين وجدا إحدى قنابل النابالم التي كانت تلقيها القوات المصرية أثناء حربها مع القوات الملكية الإمامية، وانفجرت هذه القنبلة في الطفلين عندما كانا يلعبان بها وقد أتى بهما إسعاف المستشفى وقد احترقت أجسامهما من الرأس إلى القدم، ومع هذا فكانا في منتهى الشجاعة والثبات ولم يكن أحد منهم يبكي أو يصرخ رغم أن سنهما كان ما بين التاسعة والثانية عشرة، وبدأنا في إسعافهما وإزالة الحروق وإعطائهما المحاليل، ومع هذا كله لم نحتاج إعطائهما المورفين أو البيثدين لأنهما كانا في منتهى الشجاعة والصمت وعدم إظهار التألم، فهما يعتبران ذلك عيبًا وعارًا على الرجل أن يبكي أو يصرخ، وكان أبناء هؤلاء القبائل من الرجال الأشداء فعلًا.

وعلى أية حال بعد الإسعافات أرسلتهما إلى مستشفى الجمهورية (الملكة سابقًا في عدن).

وأذكر أن وزير الصحة الدكتور أحمد صدقة عاتبني ذات مرة لأني لم أذهب لزيارة منزلية لأحد وجهاء لحج الذي طلبني وكنت مشغولًا في المستشفى فأخبرته أن يأتي بأهله إلى المستشفى فرفض ذلك وبطبيعة الحال لم أذهب إليه لأن عندي العديد من المرضى الذين يحتاجون لي فقلت للدكتور أحمد:



كنت أتوفع أن تشكرني أني لم أذهب وأضيع وقتي لزيارة منزلية وكان بإمكاني أن اذهب للزيارات المنزلية وأترك المرضى وأستلم المال وسيشكرونني لك، وأنا أستغرب منكم هذا الموقف فابتسم وسكت.

وفي لحج أعطونا فيلا صغيرة جميلة فيها حديقة صغيرة أيضًا.

وهذه سياسة جيدة وهي توفر سكنًا جيدًا للموظفين بحيث يقومون بواجباتهم وأعمالهم بأحسن وجه

وهناك عدة مستشفيات في عدن ومن بينها مثل:





وبُنِيَ هذا المركز بجوار ميدان الحبيشي لكرة القدم وخلفه مبنى نادي التنس العدني وهو على الطريق الموصل إلى مسجد العيدروس إلى ساحل صيرة وبالقرب منه أكبر مسجد للشيعة كما كان بالقرب منه البنك الهندي. وقد عمل هذا المركز لرعاية الأمومة والطفولة لفترة طويلة من الزمن وأذكره منذ كنت طفلًا، واستمر إلى ما بعد الاستقلال وعندما زرت عدن في التسعينات من القرن العشرين كان المبنى خاويًا على عروشه ولم يعد يعمل.





مستشفى متخصص للأطفال ورعاية الأمومة (الصداقة) والذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية لمدينة الشيخ عثمان بمحافظة عدن، بني عام ١٩٧٧م بقرض من الاتحاد السوفيتي (سابقًا) وتم افتتاحه على ثلاث مراحل، الأولى كانت عام ١٩٨٤م، والثانية في العام ١٩٨٦م فيما افتتحت المرحلة الثالثة عام١٩٩٠م.

أنشطة خارج المستشفيات

لم يكن العمل الطبي هو الشغل الشاغل الوحيد لنا بل كان للأطباء مجالات أخرى للعمل خارج المستشفى بالمجالات التي يرغبون فيها، وقد قمت بالأنشطة التالية:

العمل في عيادة خاصة في منطقة الشيخ عثمان (العيادة العربية) حيث اتفقنا أنا وأخي وقريبنا الدكتور عبد القادر بن حسن البار (عم زوجتي) على أن يعمل كل واحد منّا في جهة معينة، وبما أن الدكتور عبد القادر البار رحمه الله قد سبقنا إلى عدن وهو أكبرنا سنًّا قد استقر في عيادته في كريتر التي أصبحت مشهورة ومعروفة، وعمل أخي أحمد في عيادة (العيادة الشعبية) في المعلا، وعملت أنا في عيادة في الشيخ عثمان ويتم العمل في هذه العيادات في الفترات المسائية بعد أن ينتهي العمل في المستشفى إلا إذا كان هناك مناوبة مسائية وهي مرة في الأسبوع.

وكانت عيادة الشيخ عثمان ناجحة جدًا لأنها تكاد تكون العيادة الوحيدة في تلك المنطقة، وقد اضطررت إلى الاستعانة بممرض وممرضة في وقت العمل وهي الفترة المسائية، وعندما بدأ القتال الأهلي في منطقة الشيخ عثمان كان الرصاص ينهمر علينا حتى وأنا في العيادة، ولكن بفضل الله لم يصاب أحد بأذى.

وأذكر أن عمي محمد الذي كان يسكن في المنصورة وهي قريبة من الشيخ عثمان جائني ذات يوم ويقول لي: الحق يا محمد زوجتي الآن في حالة مخاض، وأخذت بعض الأدوات (ولم يكن لدي في تلك الفترة ممرضة) وذهبت معه مسرعًا إلى منزله حيث قمت بتوليد زوجته، وكانت بفضل الله ولادة ميسرة، ولم أكن قد قمت بالتوليد منذ فترة الامتياز بالقاهرة، وكنت أخشى أن تتعقد حالة الولادة ولكن بفضل الله قد تيسرت الولادة وتم كل شيء بسلام وخرج طه سليمًا وصار بعد ذلك من أولياء الله الصالحين.

ذهابي لأداء فريضة الحج

بعد ستة أشهر من عملي في المستشفى أخذت إجازة قصيرة مدة عشرة أيام (إجازة اضطرارية مسموح بها) وذهبت إلى الحج وقد رتب لي ذلك العم السيد حامد بن أبي بكر المحضار (سبق الحديث عنه) الذي كان في تلك الفترة مديرًا للخطوط الجوية في السعودية في عدن

الذهاب إلى دوعن

وبعد ستة أشهر أخرى أخذت إجازة للزواج كما تقدم، وبعد مرور سنة ونصف أخذت إجازة قصيرة أيضًا لمدة عشرة أيام لزيارة جدتي أم الوالد وأختي الكبيرة في دوعن حضرموت، وذهبت بالطائرة من عدن إلى المكلا ثم ذهبت بالسيارة مستأجرًا إلى دوعن، وبما أن الطريق كانت وعرة وجبلية وغير معبدة قد استغرقت الرحلة أكثر من ٨ ساعات، والغريب حقًا أن هذا الطريق نفسه قد تم إصلاحه بتبرع سخي من الشيخ المهندس عبد الله أحمد بقشان من المكلا إلى قريته التي تسمى خيلة، وهي تُشكِّل ثمانين بالمئة من الطريق

بين المكلا ونهاية وادي دوعن، وقد أتم ما بقي منها بن لادن إلى نهاية الوادي وبذلك يمكن قطع المسافة كاملة من المكلا إلى آخر وادي دوعن في خلال ساعتين ونصف (المسافة ما بين ١٨٠ إلى ٢٠٠ كم) وقد قام الشيخ عبد الله بن لادن بإيصال المياه من أعالي الجبال إلى وادي دوعن على نفقته الخاصة ثم قام الشيخ بغلف ومعه آخرون بتوصيل هذه المياه إلى قراهم ورتبوا جمعيات تعاونية بإيصالها إلى كل بيت وكم يدفع كل صاحب بيت وهكذا فعلوا بإيصال الكهرباء أيضًا. مشاريع يتبرع فيها الأثرياء ثم يقوم الأهالي بإيجاد جمعيات تعاونية توصل الكهرباء إلى كل منزل.

وهذه الطريقة لا توجد في العالم العربي والإسلامي إلا في حضرموت فقط، حيث يقوم الأهالي بمعظم واجبات الدولة، ويرتبون أمورهم بدون الانتظار الطويل حتى تقوم الدولة بهذه المشاريع التي قد لا تتم مطلقًا ويقوم هؤلاء الأثرياء بالتبرع بجزء من أموالهم التي جمعوها من أعمالهم وتجارتهم في الخارج لبناء الطرق والمستوصفات والمدارس ودعم الجامعات والأربطة التعليمية مثل رباط تريم وغيره فعلى سبيل المثال يقوم الشيخ عبد الله أحمد بقشان والشيخ محمد حسين العمودي بدعم جامعة حضرموت كما يقومون بدعم مجموعة من الطلبة المتميزين الذين يدرسون في الخارج وفي هذا المجال قام صديقنا العزيزي الدكتور عمر بامحسون بتنظيم مجموعة كاملة تدعم التعليم في حضرموت وإرسال الطلبة المتميزين للدراسة في الخارج ونال كثير منهم الشهادات العليا بما فيها شهادة الدكتوراه في مختلف التخصصات، وقبل أن اصل إلى الخريبة وهي القرية التي فيها جدتي هطلت أمطار قوية فكان علي أن استأجر بدويًا مع حماره ليحمل إلي شنطتي ويدلني

على الطريق إلى الخريبة لأن السيارات لا يمكن أن تصل إليها وخاصة مع هطول المطر، وكان البدوي يقول لي المكان قريب هنياها (قريب من هنا). واستغرقت هنياها ثلاث ساعات بين الجبال حتى وصلت إلى الخريبة وكان علي أن أصعد جبلًا آخر حتى أصل إلى بيت جدي الشاهق في أعلى الجبل. وفوجئوا في وصولي حيث كان عمي عبد القادر وجدتي وأختي وسروا جميعًا بوصولي، وكانت جدتي توصيني بالذهاب إلى فلان لأنه مريض وإلى فلانة لأنها مريضة وهي نفسها قد انكسر فخذها وكان من الصعب جدًا إصلاح ذلك الكسر، بينما كانت رؤيتها جيدة مع النظارة التي تستخدمها ومحتفظة بجميع قواها العقلية، وبعد أسبوع رجعت مرة أخرى إلى المكلا ومنها بالطائرة إلى عدن.

تأسيس المركز الثقافي الاجتماعي الإسلامي في عدن

(تأسس في بداية عام ١٩٦٦م وأُغلق بأمر حكومة قحطان في أواخر عام ١٩٦٨م). تعرفت على مجموعة من الشباب المتدين وكوّنا حلقة لقراءة القرآن والتفسير في مسجد بانصير ثم لما اتسع عدد الأفراد المهتمين لهذا الموضوع تقدمنا إلى السلطات المحلية بطلب تصريح لإقامة مركز إسلامي ثقافي اجتماعي وقد كان المسؤول الحكومي في ذلك الوقت بإعطاء مثل هذا الترخيص أستاذي إبراهيم لقمان الذي سرعان ما استجاب لطلبنا بعد أن قدمنا الأوراق المطلوبة وأعطانا التصريح. كانت أهداف المركز واضحة كونها ثقافية واجتماعية ودينية، واستأجرنا شقة في شارع الملكة أروى الممتد إلى باب عدن وبدأنا بالعمل في هذا المركز وأصر الإخوة الذين كانوا معي على أن أكون رئيسًا لهذا المركز كما كان الأخ عمر طرموم ﵀ أمينًا عامًا للمركز ونائبه

الأستاذ حسين دلمار (الذي درسني في المرحلة المتوسطة) وكان معنا أيضًا الشيخ محمد عبد الرب جابر وهو أحد علماء عدن الشباب وكان من أحد تلاميذ الشيخ البيحاني والشيخ باحميش والشيخ مطهر الغرباني، وكان معنا بعض المدرسين منهم الأستاذ محمد الصوفي (وللأسف نسيت بقية الأسماء)، وابتدأ المركز بدروس دينية كل يوم جمعة من بعد العصر إلى بعد المغرب التي كان يشترك فيها مجموعة من علماء عدن الذين تكرموا بهذه المشاركات، وعندما يغيب هؤلاء كنت أقوم بتحضير درس في التفسير لجزء عم من كتب التفسير مثل تفسير الإمام ابن كثير وغيره كما كنا نقرأ الأربعين حديث النبوية ويشرحها أحد العلماء الموجودين، ويقوم المركز أيضًا بالاحتفالات الدينية وخاصة المولد النبوي والهجرة والإسراء والمعراج وبهذه الاحتفالات نأخذ السطوح الواسعة ويجتمع عدد كبير من الناس ويحضر بعض العلماء لإلقاء خطبهم ودروسهم كما يلقي بعض الشعراء مثل أستاذنا الشاعر الملهم الدكتور محمد عبده غانم قصائد شعرية إسلامية في هذه المناسبات، وكان للمركز مكتبة لا بأس بها تحتوي على الكتب الدينية مثل كتب التفسير وكتب الحديث والكتب العامة، وقام المركز بعد ذلك بافتتاح مكتبة تبيع الكتب الإسلامية والمجلات المهتمة بالإسلام وتطوع بعض الأطباء بعمل عيادة مجانية لحوالي ساعتين مرة كل أسبوع لكل واحد منهم وكنت أنا من بين هؤلاء الأطباء الفضلاء.

وكانت علاقة المركز ممتازة مع علماء عدن وخاصة شيخ محمد بن سالم البيحاني إمام وخطيب مسجد العسقلاني والشيخ السيد مطهر الغرباني إمام مسجد أبان.

وأذكر أنني ذهبت في إحدى المرات الأولى للقاء الشيخ محمد البيحاني وتحدثنا عن الأوضاع السائدة في البلد ووجود الحركات الاشتراكية الثورية وقلت للشيخ: يا سيدي قد كانت الجماهير كلها تنصت لكم وتستطيعون أن تؤثروا عليها فأنتم من أفضل خطباء البلاد العربية كلها ولكم تأثير بالغ في الجماهير، ولكنكم -لست أدري- لماذا تركتم الجماهير لتكون فريسة لهؤلاء دُعات الثورية والماركسية، وقد كان الأسقف مكاريس (وهو رجل دين) في قبرص هو قائد حركة الاستقلال من بريطانيا وتزعم الثورة ضدها وتبعته الجماهير فابتسم الشيخ ﷀ وقال: يا سيد إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ والواقع أن الشيخ ﷀ لم يكن له قوة ولا تنظيم ولا أنصار يستطيع بها أن يقود الجماهير وهو بذلك معذور بكل جهة.

لكن الشيخ كان ينكر قدر الإمكان على ما يدور في البلد من أحداث ومنها: عندما قامت الحرب الأهلية بين جبهة التحرير FLOSY والجبهة القومية NLF كان يناشد الجميع بعدم قتل بعضهم بعضًا، والاتجاه إلى التفاهم وإنقاذ البلد من الدماء، كما وقف ضد تسليم مستشفى الملكة إلى الصليب الأحمر ليديره بعد أن خرج الإنجليز والأجانب ولم يكن هناك عدد كافي من الأطباء المحليين لمعالجة مئات الجرحى والمصابين في هذه المعارك يوميًا، وكان الصليب الأحمر قد اشترط على أن يرفع علم الصليب الضخم على بناء المستشفى، فألقى الشيخ خطبة الجمعة وندد بذلك وقال: في خلال مدة الاستعمار بأكمله لم يرفع الصليب على المستشفى وكيف نرفعه اليوم قبيل الاستقلال (وسيأتي تفصيل هذه الحادثة فيما بعد).

وأما الشيخ مطهر الغرباني قد كان حريصا على تشجيع أعضاء المركز ويرسل أكبر أبنائه لحضور درس الجمعة بانتظام ويمدنا بدعواته وتوجيهاته.

وعمومًا كانت علاقتنا جيدة مع جميع علماء عدن ونحضر معهم أحيانًا اجتماعاتهم العامة، وعندما استقلت اليمن الجنوبية في ٣٠ نوفمبر وتكونت حكومة قحطان الشعبي طلبنا من علماء عدن الفضلاء أن يذهبوا ونحن معهم إلى رئيس الدولة ونهنئهم بالاستقلال ونطلب منهم أن يحرصوا على أن يكون الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، فاعتذر الشيخ البيحاني لما يعرفه عنهم وقال يكفي أن يذهب المركز ويمثلنا جميعًا فقلت له: يا شيخنا أيذهب شباب صغار يمثلون علماء الإسلام في عدن! وسرعان ما انضم إلي الشيخ مطهر الغرباني والشيخ كامل صلاح.

وذهب وفد من العلماء ومعهم أمين عام المركز وبعض أعضائه (لأني كنت مشغولًا بالمستشفى ولا أستطيع الذهاب معهم) فقابلهم فيصل الشعبي وأحسن مقابلتهم ووعدهم خيرًا فخرجوا مسرورين بهذه المقابلة الحسنة.

وفي الشمال وقف الأستاذ الزبيري رحمه الله ضد بعض الإجراءات المصرية التي كان يمارسها بعض الضباط المسؤولين وفرض ما يريدونه بالقوة فتم اغتيال الأستاذ الزبيري وبالتالي اضطر بعض أنصار الزبيري من الشباب الهروب إلى عدن.

وبما أنني كنت أعرف بعضهم من القاهرة عندما كنا ندرس فيها جميعًا فقد أحسنَّا استقبالهم، ومن هؤلاء الأخ عبد المجيد الزنداني الذي كان اهتمامه منصبًّا في ذلك الوقت على الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وعلى إيجاد تعليمي إسلامي جيد، وقد تعاونت معه في موضوع الإعجاز العلمي.

وكان من بين الإخوة الذين جاؤوا إلى عدن الأخ الأستاذ عبد السلام خالد كرمان (المحامي) والذي عرفته في القاهرة أثناء الدراسة هناك حيث كان يدرس القانون والشريعة.

الإعلام والتلفزيون

دعاني الأخ عبد الرحمن بالجون زميلي السابق في كلية عدن والذي كان يعمل في تلفزيون عدن أن أقدم بعض البرامج التوعوية الصحية للجمهور، ورحبت بذلك وقمت بعدة لقاءات معه عرضت فيها لمخاطر التدخين للأمراض الصدرية المنتشرة في عدن مثل السل الرئوي وكيفية الوقاية من الأمراض المعدية والطفيليات المنتشرة في اليمن بأكمله.

المحاضرات

ألقيت بعض المحاضرات في بعض النوادي والجمعيات وقد كانت أول محاضرة لي في جمعية المرأة العدنية في الشيخ عثمان وكانت عن الحمل والولادة وخلق الإنسان.

التوعية في المساجد والتهديد بالاغتيال

أ- كنت أقوم أحيانًا في بعض المساجد للتوعية الدينية والصحية العامة وفي إحدى المرات تحدثت عن الأمراض الجنسية وكيفية توقيها وطالبت بإصلاح القوانين التي تسمح بالعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة أو الرجل والرجل طالما كانت بين شخصين بالغين بدون إكراه، وذكرت أن مصر الأزهر وقائدة البلاد العربية والإسلامية وخاصة تحت قيادة الزعيم جمال عبد الناصر ينبغي أن تكون الرائدة في منع هذه القوانين التي وضعها الاستعمار في معظم البلاد العربية والإسلامية، وذكرت نص المواد القانونية التي تبيح ذلك (قانون عقوبات المصري ٢٧٣-٢٧٦).

وبعد فترة وجيزة جاءني اثنان من الإخوة إلى المركز الثقافي الإسلامي حيث كنت ألقي درسًا يوم الجمعة وطلبا مني أن اجتمع بهما في غرفة خاصة. ففعلت

ذلك وقالا: نحن مرسولين من الأستاذ عبد الله الأصنج والأستاذ ناصر عُرّجي، ويقولان لك: إن المخابرات المصرية وضعتك في قائمة المطلوب إعدامهم؛ ولكنهما اعتراضا على ذلك وقالا: نحن نعرفه ونعرف أهله ووالده ولم يعمل شيئًا يستحق هذا الإجراء، فقالوا: ما دمتم تعرفونه وتضمنونه فاطلبوا منه أن يكف عن مثل هذه المواضيع ولا يتعرض لها مطلقًا، وطلبا مني ذلك فشكرتهما وشكرت الأستاذين الكريمين على نصيحتهما وأخبرتهما بأني سألتزم بذلك، وبالفعل وفيت بما وعدته به.

ب- ظهرت مجموعات ماركسية بصورة شبه علنية وتنادي بالانضمام للمعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفيتي فوقفت في مسجد كبير وقلت: إن الشعب الذي حارب الاستعمار الإنجليزي واضطره إلى الموافقة على الانسحاب وإعطاء الاستقلال لا يقبل أن يستبدل الاستعمار الإنجليزي بالاستعمار الروسي، فقرر هؤلاء اغتيالي ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى كنت أعرف معرفة وثيقة الأخ أبو بكر شفيق الذي كان قائدًا للمناضلين ضد الاستعمار في منطقة عدن وقد تعرفت عليه منذ عام ١٩٦١-١٩٦٢م عندما عدت إلى عدن في إجازة صيفية، كما عرفته عندما كان معتقلًا في سجن المنصورة عام ١٩٦٦م لاتهامه من قبل السلطات البريطانية بالإرهاب ومقاومة الاستعمار، وكانت السلطات البريطانية قد وافقت على أن يزور هؤلاء المعتقلين أطباء من أبناء عدن والجنوب، وكنت واحد من هؤلاء الذين يزورون المعتقلين، وكنت أقدم للأخ أبو بكر شفيق ما يريده من كتب أو أي خدمات أخرى يرغب فيها.

ولما عرف الأخ أبو بكر شفيق بما يدبره هؤلاء الشباب من محاولة اغتيالي، قال لهم: إن من يمس محمد علي البار فإن بيني وبينه دم، ولم أعرف ذلك إلا بعد فترة طويلة من الزمن، ولما سألته عن ذلك ابتسم وقال: نعم حصل ذلك.

وهو شخص ذو خلق عال ودين متين وشجاعة فائقة حفظه الله تعالى ومتعَّ بحياته.

الخروج من عدن والسفر إلى القاهرة أغسطس ١٩٦٨م

وبعد فترة حولوني إلى مستوصف صغير في الشيخ عثمان فشعرت بأنه قد آن الآوان للخروج من عدن وبالفعل رتبت أموري وطلبت إجازة قصيرة لأن الوالد مريض في القاهرة فلم يصدقوني وأرسلوا إلى سفارتهم للقاهرة ليسألوا عن والدي، وبالفعل كان مريضًا ولم أكن اعرف ذلك فأخبروهم أنه مريض في السرير فسمحوا لي في السفر.

وكنت قد قررت السفر لعدة أسباب منها أنه لم يعد لي دور في الخدمات الطبية في عدن، والسبب الثاني أنه بعد حركة ٣٠ مارس ١٩٦٨م التي ألقي فيها القبض عن المجموعة الشيوعية من الجبهة القومية بواسطة العقيد حسين عشال ومجموعته ثم حركة أغسطس التصحيحية والتي أعادت الماركسيين للجبهة القومية وقامت بطرد عشال ومجموعته إلى القاهرة وابتداء التيار الماركسي وقلت لإخوتي في المركز الثقافي الإسلامي: لابد من إيقاف النشاط لأن الاتجاه الماركسي لن يسمح لنا أبدًا بأي نشاط مهما كان بسيطًا وسيعتقلون أعضاء المركز، فقالوا: أنت تتوهم، فقلت لهم: أنا قررت السفر والخروج من

البلد والله يعينكم على ما سيأتي، وقد اختاروا الشيخ محمد عبد الرب جابر أن يكون رئيسًا للمركز، وبالفعل لم تمضِ ستة أشهر إلا وهم في السجن.



الفصل الثالث عشر
الجمعيات الوطنية والحركات السياسية

كتيبة الشباب اليمني ١٩٤٠

درس مؤسسو الرابطة الأوائل في الأزهر وفي دار العلوم، وأسس السيد محمد علي الجفري طالب الأزهر آنذاك والسيد سالم عمر الصافي (طالب دار العلوم) والشيخ محمد البيحاني (طالب الأزهر) والشاعر محمد محمود الزبيري ومحمد أحمد نعمان (من طلبة الأزهر آنذاك أسسوا كتيبة الشباب اليمني، وكان اتجاهها إسلاميًا وحدويًا نهوضيًا، وقد قال الأستاذ محمد أحمد نعمان: لم نكن نفرق بين شمالي أو جنوبي وشافعي أو زيدي، وكانت أهدافنا واضحة لخدمة اليمن بأكمله وإنقاذ الشمال من التخلف وحكم القرون الوسطى وإنقاذ الجنوب من الاستعمار، وكان الهدف التربوي والتعليمي هو الهدف الأول للكتيبة، وهي كتيبة إسلامية عربية وطنية، ووضعت لها برنامجًا ونظامًا تحت اسم " قانون كتيبة الشباب اليمني " شعارها: الإسلام - العرب - الوطن.

الإسلام: بنصره والاستنصار به.

والعرب: بالعمل لصالحهم وتحقيق وحدتهم.

والوطن: برفع شأنه وإعزازه.

وحددت المادة الأولى قيام هذه الكتيبة مكان وتاريخ (القاهرة وتاريخ تكوين الكتيبة ٢٥ شعبان ١٣٥٩هـ / ٢٨ سبتمبر ١٩٤٠م)

وأما مقاصد الكتيبة فتمثلت في بعث الروح الوطنية في اليمن بأكملها ونبذ الخلافات المذهبية والقبلية وإشاعة روح المحبة والتعاون بين أفراد الشعب بكامله وتشجيع التعليم والثقافة وإرسال البعثات للدراسة في الخارج وتكوين جيل مثقف وقادر على تحمل مسؤوليات النهوض باليمن بكامله.

وفي منهج الكتيبة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كافة المستويات ابتداءً من الفرد والأسرة والقبيلة والدولة بأكملها.

ولما عاد المؤسسون إلى اليمن قام الأستاذ محمد أحمد نعمان والأستاذ محمود الزبيري بتأسيس حزب الأحرار اليمني، وكان معهم في التأسيس السيد زيد الموشكي والسيد الشاعر والمؤرخ أحمد الشامي والشيخ مطيع دماج وغيرهم، وكانت أهدافهم إصلاحية تربوية علمية، ومن هذا الحزب تألفت الجمعية اليمنية الكبرى التي أصدرت صحيفة صوت اليمن، وكان النشاط مركزه عدن ويمتد إلى الشمال.

تأسيس الجمعية الإسلامية ١٩٤٩

وقام السيد محمد علي الجفري والسيد سالم عمر الصافي والشيخ محمد سالم البيحاني بالاشتراك مع الشيخ محمد عبدالله المحامي (الهندي الأصل) ومجموعة أخرى بتأسيس الجمعية الإسلامية الكبرى وأهدافها مواجهة المد التغريبي والتبشيري في عدن، وإقامة دعائم التربية الإسلامية (المعهد الإسلامي) والدعوة الإسلامية والحفاظ على عروبة عدن وإسلامها والمطالبة بحقوق أهلها.

وعندما توفى مؤسس الجمعية الإسلامية الكبرى الشيخ محمد عبدالله المحامي في لندن عام ١٩٥٤م انفرط عقدهان واستمر الشيخ البيحاني في جهوده لإقامة المعهد الإسلامي بالإضافة إلى خطبه ودروسه، واتجه الباحميش إلى مدرسة بازرعة يديرها ويخرج الأجيال ويخطب في المساجد، ويؤسس صحيفة الذكرى ويرأس تحريرها ويهاجم الاتجاهات الليبرالية والعلمانية.

(وقد تقدم ذكر الجمعية الإسلامية الكبرى).

الجمعية العدنية

وقد تكونت في ٢٣ يونيو ١٩٤٩م التي أسسها الأستاذ المحامي محمد علي لقمان الذي أسس نادي الإصلاح العربي في كريتر عدن ١٩٣٠ م، والذي شارك في تأسيس مجموعة من الأندية الأدبية والعلمية في عدن، كما كان أول من أسس صحيفة مطبوعة وهي (فتاة الجزيرة) عام ١٩٤٠م.

وهي صحيفة أسبوعية سياسية، وكانت لسان حال الجمعية العدنية وقد نشرت دستور الجمعية العدنية وأهدافها وهي:

- العمل على رفع مستوى عدن والعدنيين والتعاون مع حكومة عدن لهذه الغاية.
- ترقية العدنيين وحماية مصالحهم في مستعمرة عدن
- تنظيم العلاقات بين العدنيين وحكومة عدن، وبين الموظفين والمستخدمين، وبين العدنيين أنفسهم.

ثم أصبح حسن علي بيومي رئيسًا للجمعية العدنية وعلي محمد لقمان (ابن المؤسس) أمينًا عامًا لها وتحولت صحف آل لقمان: فتاة الجزيرة، القلم

العدني وإيدن كرونكلِ Aden Chronicle باللغة الإنجليزية إلى لسان حال الجمعية العدنية.

وقد انضم إلى الجمعية العدنية عدد ليس بالقليل من الأسر العدنية الأصيلة، ومن التجار الهنود والصومال وبعض موظفي الدولة والمؤسسات الأجنبية، ويُعرّف العدني بالآتي:

أولًا: كل مولود في عدن مهما كان أصله ودينه.

ثانيًا: كل أبناء الكومنولث الذين أقاموا في عدن لمدة سنتين فأكثر.

ثم حصل تعديل عام ١٩٥٥م وسمح لابن الجنوب إذا أقام في عدن أن يتمتع بحقوق المواطنة.

وبعد دخول عدن في اتحاد الجنوب العربي عام ١٩٦٣م صدر قانون التعدين أي تعدين الوظائف والحد من الهجرة الأجنبية والذي اشترط على تعريف العدني أن يكون مجيدًا للغة العربية كتابة ونطقًا.

وعندما دخلت عدن في اتحاد الجنوب العربي انقسمت الجمعية العدنية إلى حزبين:

الأول: الحزب الوطني الاتحادي ويرأسه حسن علي بيومي، ومن أعضائه البارزين الأستاذ عبد الرحمن جرجرة والأستاذ إبراهيم الصعيدي وحسين بيومي، وكان ينادي بدخول الاتحاد مع فرض شروط لمصلحة عدن.

وقد تولى الأستاذ حسن علي بيومي أول وزارة اتحادية، كما تولى منصب وزير الإرشاد القومي وتولى أخوه حسين بعد وفاة أخيه حسن عدة

مناصب وزارية، وكانت زوجته عديلة بيومي من رائدات الإعلام والإذاعة ثم التليفزيون.

الثاني: حزب المؤتمر الشعبي الدستوري ويرأسه الأستاذ علي لقمان، ويرى أن عدن ستتضرر بدخول الاتحاد، وعلى عدن أن تحقق الاستقلال الذاتي أولًا، ثم تقرر بعد ذلك دخول الاتحاد من عدمه.

أما آل لقمان فهي أسرة عريقة في عدن وهم من همدان اليمنية التي ظهر منها الصليحي والملكة السيدة بنت أحمد الملكة أروى، وكانوا على المذهب الإسماعيلي الفاطمي، فلما ذهبت دولتهم جاءت فترات من الاضطهاد وانتقل جد آل لقمان إلى الهند.

وكان للملكة أروى دور كبير في تكوين مجموعة البهرة في الهند، وهم يأتون من الهند لزيارة مقرها ومسجدها وقبرها في جبلة كل سنة، وذكر الأستاذ محمد علي لقمان عند زيارته للهند وهو شاب ما أخبرته جدته عن دور أجداده في الحركة الإسماعيلية، ثم انتقل جد محمد علي لقمان وهو إبراهيم لقمان إلى عدن، ويبدو أنه أول من ترك المذهب الإسماعيلي وتسنن وصار شافعيًا كأهل عدن، وكان الأستاذ لقمان على صلة قوية بالعلماء وذوي الفكر والأدباء، وهو رائد النهضة الصحفية بلا جدال، وله مشاركات أدبية. ثم جاء ابنه علي محمد لقمان واشتغل بالصحافة والسياسة والأدب والشعر (له عدة دواوين بالشعر الفصيح وباللهجة الدارجة)، وكل أبناء محمد علي لقمان درسوا دراسات جامعية، وبعضهم ما بعد الجامعية في زمن كان الحصول فيه على الثانوية العليا نادرًا، وتولى علي محمد لقمان وزارة، ثم تولى منصب رئيس إدارة الكهرباء في عدن.

ولم يكن علي محمد لقمان هو الوحيد الذي ينادي بالتمهل في دخول الاتحاد بل كان السيد زين عبده باهارون الذي تولى الوزارة بعد وفاة حسن بيومي مرتين ينادي بالتمهل في دخول عدن في الاتحاد في مؤتمر لندن يونيو ١٩٦٤م حول قضية الاتحاد ودخول عدن فيه وقد ذكر لدخول عدن في الاتحاد الشروط التالية (حسب ما نشرته صحيفة الأمناء العدد (١٧٣) ١٤ نوفمبر ٢٠١٢) :

- إدخال القانون لحقوق الإنسان.
- يجب أن يكون اتحاد الجنوب العربي دولة موحدة وأن تحد سلطات كل أمير أو شيخ في هذه المناطق.
- وجوب إنشاء مجلس استشاري لحل مشاكل والخلافات بين الاتحاد وعدن .
- لا يحق لأي رئيس ولاية أو وزير في حكومة ولاية أن يكون وزيرًا اتحاديًا إلا إذا تنازل دستوريًا أو استقال من وزارة الولاية.
- يجب أن يكون لكل ولاية قوات أمن خاصة بما فيها ولاية عدن.
- لا يحق للحكومة الاتحادية إلا في حالة الطوارئ أن تتدخل مباشرة في تدابير أمن أية ولاية إلا بطلب من حكومة الولاية.
- أن لا تعلن حالة طوارئ في أي ولاية إلا بموافقة الولاية نفسها.
- أن سلطة النفي من الولاية لابد أن تكون بيد الولاية أو بالاتفاق مع السلطة الاتحادية.
- يجب إلغاء السلطات الموجودة في دستور الاتحاد الحاضر لسن القوانين بالأوامر الرهينة بالمصادقة.

- يجب أن لا يجري أي تغيير في ضرائب الاتحادية إلا بموافقة عدن (لأن عدن هي مصدر الدخل الأكبر).
- يجب إعادة النظر في الجهاز المالي للاتحاد.
- لا يمكن للاتحاد الاستيلاء على ممتلكات أي ولاية إلا بالاتفاق مع الولاية.
- الثروة المعدنية والبترولية أن تكون للدولة الاتحادية.
- توضع قوانين الهجرة بالاتفاق مع الولايات.
- لولاية عدن حق الانفصال من الاتحاد بتصويت ثلثي الأعضاء في المجلس الذي يمثل عدن.
- أن يكون الدخل الآتي من تأجير أي قواعد عسكرية خاصة بتلك الولاية.
- أن يكون النظام القضائي مستقلا في كل ولاية.

وقد سعى السيد زين باهارون بإيجاد قوى عسكرية جوية وبرية وبحرية وأمنية من أبناء عدن توازي قوة الجيش الاتحادي الجنوبي المكون من رجال القبائل المختلفة وتحميها من أي هجوم على ولاية عدن، وقد استطاعت هذه القبائل أن تستولي على الجمهورية المستقلة فيما بعد.

وقامت كل قبيلة بعد ذلك بالسيطرة على الحكم وإبادة القبائل المنافسة باسم الثورة والاشتراكية ومحاربة البرجوازية والإمبريالية والكونيالية والكمبرودورية والإقطاع والتخلف وطبقة الكولاك (طبقة ملاك الأراضي الأغنياء في روسيا وأوكرانيا !!!!!؟؟)

وهذا يدل على جهل البدو الذين استخدمتهم التنظيمات اليسارية في عدن بتوجيه من بتالي نعومكين اليهودي الروسي المستشرق والذي يجيد

اللغة العربية والذي كتب عدة كتب عن سقطرى وعن لهجاتها ولغاتها أهمها "جزيرة العنقاء" The Island of Phoenix والذي كان أستاذًا لعبد الفتاح إسماعيل وزمرته.

وهذا كله يدل على أن فكرة انضمام عدن إلى الاتحاد لم تكن مقبولة بدون شروط بل هناك شروط متعددة للحفاظ على أمن واستقرار عدن وقد أصدرت حكومة زين باهارون قانونا بمنع أبناء الكمنولث البريطاني الذين سكنوا في عدن من حق الانتخاب والترشيح للمجلس التشريعي إلا إذا أجادوا اللغة العربية إجادة تامة قراءة وكتابة وهو أمر متعذر وقد وضع لهم امتحانًا صعبًا في ذلك الصدد.

رابطة أبناء الجنوب ١٩٥٠

واجتمع السيد محمد علي الجفري والسيد سالم عمر الصافي والسيد شيخان الحبشي وقحطان الشعبي ورشيد الحريري وأحمد عبده حمزة وعبدالله أحمد الفضلي وحسين هادي العولقي وعلي غانم كليب والسيد عبدالله بن صالح المحضار والسيد أحمد عمر بافقيه وعبد الرحمن جرجرة وعبدالله باذيب والسيد علي بن عقيل.

وكونت هذه المجموعة المنتقاة من أبناء الجنوب رابطة أبناء الجنوب العربي عام ١٩٥٠ م، ودعت لإقامة دولة موحدة لكافة أبناء الجنوب (عدن والمحميات الشرقية والغربية) ورفعت شعار: "لا استقلال بدون اتحاد ولا اتحاد بدون عدن" وكان يدعمها دعمًا تامًا السلطان علي عبد الكريم (العبدلي) الشاب المثقف المتخرج من كلية فيكتوريا كولج في الإسكندرية.

وقد حددت الرابطة أهدافها كالتالي:

- الإيمان بالقومية العربية والوطن العربي الواحد الذي يضم جميع الشعوب العربية كلها.
- وحدة الجنوب العربي كاملًا تحت حكومة واحدة مستقلة تضم عدن والمحميات الشرقية والمحميات الغربية.
- العدالة الاجتماعية والمساواة في كافة الحقوق والواجبات.
- السعي لتخليص الوطن بأكمله من الاستعمار الخبيث.

ظهور الرابطة ونموها

تميزت الرابطة بأنها التنظيم الأول الذي كان أعضاؤه من جميع أرجاء الجنوب العربي المحتل (عدن والمحميات الشرقية والغربية).

ويلاحظ أن الرابطة ظهرت في وقت اشتدت فيه دعوة "عدن للعدنيين" وواجهت هذه الدعوة بقوة.

برنامج الرابطة

يدور برنامج الرابطة حول مسألتين هما: وحدة الجنوب العربي المستقل ومعاداة للاستعمار وقد هاجمت الرابطة منذ تأسيسها الاستعمار البريطاني ودعت إلى مقاومته ونددت بأوضاع التجزئة إلى أكثر من عشرين سلطنة ومشيخة أكبرها كانت في حضرموت سلطنة القعيطي وسلطنة الكثيري، وأما الباقية فكانت سلطنات صغيرة، وكلها يحكمها مستشار بريطاني والاسم للسلطان، والأمور الحقيقية والتنفيذية لا يمكن أن تتم إلا بمستشار بريطاني يتدخل في كل شؤونها في منطقة لا يزيد عدد سكانها عن المليون آنذاك في كل الجنوب العربي.

وحمل الحزب على التخلف والظلم وفساد الحكم وانتشار الجهل والروح القبلية الفردية.

الثورات المتعددة في الجنوب ضد بريطانيا

بدأت أول انتفاضة عسكرية ضد الحكم البريطاني في حضرموت على يد محمد بن عبدات الذي كان يحكم منطقة الغرفة في حضرموت وذلك سنة ١٩٣٤م وقد ساندته قبائل الحموم القوية والمشهورة في حضرموت واضطرت بريطانيا إلى ضربها بالطائرات حتى أخضعتها، ثم قام بعد ذلك عبيد صالح بن عبدات ضد الاستعمار من عام ١٩٣٩ حتى مارس ١٩٤٥ (أي في فترة الحرب العالمية الثانية) وأدت هذه الحرب بالإضافة إلى ما حدثته الحرب العالمية من إيقاف استيراد الحبوب والأطعمة مع ندرة الأمطار في تلك السنين أدت كلها إلى المجاعة المشهورة في حضرموت والتي مات فيها عدد كبير من السكان وخاصة من الأطفال والنساء ولكن يُحمد لبريطانيا أنها قامت بعد الحرب منذ سنة ١٩٤٦ وما بعدها بمحاولة إنقاذ السكان وإرسال كميات من الطعام والحبوب إلى كافة المناطق المصابة بالمجاعة.

وقام بن رشيد بثورة في سلطنة الواحدي ضد الإنجليز عام ١٩٣٦م ولكنها أخمدت مثل غيرها من الثورات بواسطة الطائرات البريطانية.

وقامت ثورة كبيرة في حضرموت التي تزعمتها قبائل الحموم وساندتها قبائل أخرى ١٩٣٨م وانتهت كالمعتاد وضربها بسلاح الجو الملكي البريطاني.

وقد قامت ثورة سالم سعيد الحميري في المطهاف عام ١٩٤٨م ضد بريطانيا ولكن سلاح الجو الملكي البريطاني أخمدها بسرعة.

ثم قامت ثورة الدماني عام ١٩٥٦م وثورة الربيزي ١٩٥٧م وثورة سلطان محمد بن عيدروس (سلطان يافع السفلى) في ٢٢ أبريل سنة ١٩٥٨م وساندتها رابطة أبناء الجنوب وقد استمرت هذه الثورات فترة ليست بالقصيرة ولكن سلاح الجو الملكي البريطاني استطاع بعد جهد جهيد القضاء على تلك الثورات المتعددة وكلها كانت في مناطق المحميات الغربية على عكس الثورات السابقة التي كانت في حضرموت والواحدي في المحميات الشرقية، وبعد ذلك قامت ثورات العديد من القبائل وخاصة آل بن فريد من العوالق والتي كانت مرتبطة برابطة أبناء الجنوب، كما قامت عدة ثورات أخرى في المحميات الغربية وكان بعضها تابعًا لجبهة التحرير (وحزب الشعب الاشتراكي).

وهذا كله يدل على أن ثورة ردفان في ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ التي تتغنى بها الجبهة القومية قد سبقتها عشرات الثورات المتعددة في كافة الجنوب العربي.

والفرق الوحيد بين هذه الثورات وثورة ردفان أن تلك الثورات لم تكن مدعومة بأي سلاح حديث بل كان الثوار يقاتلون ببنادقهم القديمة فتأتي الطائرات البريطانية فتسحقهم في بضعة أيام على الأكثر أما في ثورة ردفان فقد كانت الأسلحة المصرية تأتي بكميات وافرة مع الأموال وتدعم هذه الثورة بالمدافع والقنابل وبالتالي لم تستطع بريطانيا إخمادها كما هو معتاد.

وسيأتي ذكر ثورة ردفان بتفصيل فيما يأتي.

وساندت الرابطة عدة ثورات قبلية مثل ثورة الربيزي وثورات العوالق وثورة السلطان محمد بن عيدروس (العفيفي اليافعي) وثورة العواذل (العوذلي) ضد الحكم البريطاني ولكن لعدم وجود سلاح حديث استطاعت بريطانيا أن تقضي على كل هذه الحركات الثورية على عكس ما حدث بعد قيام ثورة السلال في

اليمن سنة ١٩٦٢ ودخول الجيش المصري إلى اليمن ودعمه من حركات الثورية مثل ثورة ردفان والجبهة القومية وجبهة التحرير في السلاح الحديث مما أزعج بريطانيا وجعلها تفشل للقضاء على هذه الحركات الثورية.

وأصدرت الرابطة عدة بيانات وخلاصتها:

- إيمان الحزب بوحدة الجنوب العربي، وشجبه للانقسام والانفصالية والقبلية
- الإيمان بالقومية العربية والوحدة العربية الشاملة
- العدالة الاجتماعية

ملاحظات على أهداف وبرامج الرابطة

ومن الواضح أن الرابطة كانت تهدف إلى وحدة الجنوب العربي وإزالة نظام السلطنات والمشيخات في دولة واحدة تكون فيها السلطة العليا للشعب الذي ينتخب البرلمان (المجلس التشريعي) وهو الذي يصدر قوانين ويكون الدولة، ويكون مجلس الرؤساء (المكون من السلاطين والشيوخ) رمزًا للدولة فقط.

كانت تهدف إلى إزالة الاستعمار وترفض بقاء القاعدة العسكرية البريطانية في عدن.

رغم أن بريطانيا قامت في أيام هيكنبوتم (١٩٥٦م) وتريفاسكس (١٩٦٣-١٩٦٥م) وافقت على قيام الاتحاد الفيدرالي للجنوب العربي إلا أنها اشترطت بقاء عدن تحت سيطرتها مع وجود قاعدة عسكرية كبيرة فيها، وجعلت الاتحاد تحت استشاراتها وبالتالي تحت سيطرتها.

لهذا كان الصدام بين الرابطة وحكومة بريطانية المتمثلة بحكومة عدن أمرًا حتميًا، وهكذا قامت بريطانية بإلغاء ترخيص الرابطة واعتقال من بقي من رجالاتها واضطرار الباقين إلى الهروب، ومنعت السلطان علي عبد الكريم الذي كان يتفاوض في لندن مع الحكومة البريطانية على استقلال الجنوب ومنعته من العودة إلى وطنه وعزلته من السلطنة.

وهرب السلطان عبد الكريم ورجالات الرابطة إلى مصر التي آوت كل الحركات الثورية ضد بريطانيا.

جمعت الرابطة بين مبادئ الحركة القومية وحزب البعث العربي الاشتراكي والاتجاه الإسلامي وذلك أن مؤسسي الرابطة ذوي مشارب مختلفة فمثلًا: نجد أن السيد محمد علي الجفري والسيد سالم عمر الصافي ورشيد الحريري ذوي اتجاهات إسلامية وهم من خريجي الأزهر وكلية دار العلوم، بينما تأثر قحطان الشعبي بحركة القوميين العرب (بواسطة قريبه فيصل الشعبي)، وتأثر شيخان الحبشي وعلي بن عقيل بحركة حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد انضم إلى الرابطة أيضًا محمد سالم علي ومحمد سالم باسندوة وكلاهما متأثر بحزب البعث العربي الاشتراكي، أما عبد الله باذيب الذي كان عضوًا في الرابطة فقد اتخذ بعد ذلك المنهج الماركسي الشيوعي، ولهذا انقسمت الرابطة بين هذه الأحزاب والاتجاهات المختلفة، وانفصلت هذه الشخصيات المختلفة وكونت أحزابًا جديدة.

وكان اتجاه الناصري يمثل الاتجاه القومي العربي وبنفس الوقت المتأثر بالاشتراكية السوفيتية وبما أن جمال عبد الناصر معبود الجماهير (وخاصة بعد معركة السويس سنة ١٩٥٦) أدى ذلك إلى ظهور الاتجاه القومي والاشتراكي وانحسار الاتجاه الإسلامي في الرابطة وغيرها.

بما أن الحركة العمالية في عدن كانت تعتمد على وجود آلاف العمال من الشمال وأغلبهم من منطقة تعز وما حولها فإن هذا النقابات وقادتها جعلوا وحدة اليمن شمالًا وجنوبًا من أهم أهدافها بعد الاستقلال. بينما كانت الرابطة تهدف إلى الوحدة العربية العامة ولا تريد الارتباط المباشر بالشمال. وهذا جعل الحركة الوطنية المتمثلة في "الجبهة الوطنية المتحدة " و"حزب الشعب الاشتراكي" و"الجبهة القومية" تحارب الرابطة وتتهمها بالانفصالية ومعادات الوحدة اليمنية والتي أصبحت مطلبًا شعبيًا قويًا.

وكان على الرابطة أن تنتبه إلى هذا التيار القوي الكاسح وأن تنادي بصورة عامة بوحدة اليمن، ولكن التطبيق السياسي يختلف بعد ذلك فكما أن هناك كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية بسبب الاختلاف السياسي والأيديولجي ونظام الحكم فمن الممكن أيضًا أن تكون هناك حكومتان في اليمن حتى تأتي الفرصة للاتحاد.

وقد أدى موقف الرابطة من موضوع الوحدة اليمنية إلى معاداة الجماهير للرابطة وبالتالي الاعتداء عليها وعلى أعضائها باعتبارهم خونة يستحقون القتل والسحل وهذا ما تم بالفعل فيما بعد (١٩٦٥-١٩٦٧).

وقد سبقت الإشارة في فصل الرحلة إلى مصر موقف الرابطة في القاهرة واضطرارها إلى مسايرة الاتجاه العربي الناصري الاشتراكي ولكنها بعد ذلك اضطرت إلى ترك القاهرة والذهاب إلى المملكة العربية السعودية والبقاء فيها مع محاولة الإطاحة بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (الاشتراكية والتي تحولت إلى شيوعية).

الجبهة الوطنية المتحدة (١٩٥٥-١٩٦٠م)

يرتبط قيام الجبهة الوطنية المتحدة بانتخابات المجلس التشريعي لعدن عام ١٩٥٥م والذي منع فيه أبناء اليمن الشمالي من المشاركة بالانتخابات، وقد تجمعت النقابات العمالية والجمعيات التعاونية والنوادي الرياضية والاتحاد اليمني وبعض أفراد الرابطة في معارضة هذه الانتخابات ومقاطعتها، لكن الرابطة نفسها اشتركت في هذه الانتخابات وأدَّى ذلك إلى فشلها وخروج عدد من أعضائها مثل محمد سالم علي ومحمد سالم باسندوة وعبد الله باذيب وقحطان الشعبي وعبد الرحمن جرجرة ومحمد عبده نعمان الحكيمي وغيرهم، كما أدَّى ذلك إلى اتهام الرابطة لمحاربة الوحدة اليمنية.

وكان أبرز مكوني الجبهة الوطنية المتحدة عبد الله باذيب ومحمد عبده نعمان الحكيمي وعبد الله الأصنج ومحمد سالم علي ومحمد سالم باسندوة

أبرز أهداف الجبهة الوطنية المتحدة

- إفشال انتخابات عام ١٩٥٥م ومشروعات الاتحاد.
- وحدة اليمن الكبرى على أساس شعبي يشمل ذلك الشمال اليمني والجنوب اليمني وصلالة ومسقط (عمان) في إطار جمهورية ديمقراطية مستقلة استقلالًا تامًا.
- الإيمان بالوحدة العربية وبمبادئ الثورة العربية مع اتجاه واضح متلاحم بالناصرية.

وقد أرجع عبد الملك إسماعيل (أحد أركان الجبهة القومية في محاضرة ألقيت في نادي الشباب الثقافي في تعز ٢٣/ ٤/ ١٩٦٥م) أسباب ضمور الجبهة

الوطنية المتحدة إلى أنها تكونت على أساس موقف مواجهة انتخابات ١٩٥٥م وليس على أساس نظرية عامة ولا تنظيم كامل.

الحركة العمالية ونقابات العمال في عدن

في سنة ١٩٤٢ م صدر أول قانون في عدن للنقابات العمالية والذي يحدد شروط تسجيل النقابات وسجلت أول نقابة سنة ١٩٥٢ م.

ويرجع السبب لعدم وجود نقابات في تلك الفترة إلى أن العمال يأتون من منطقة الحجرية (تعز) ويبقون لبضعة أشهر في عدن ثم يعودون إلى قراهم ويعملون بالزراعة هناك، ولكن تطورت الأمور بعد ذلك كالأتي:

مشروع بناء المصافي في البريقة منذ عام ١٩٥٢م والذي افتتح عام ١٩٥٤م احتاج لأكثر من عشرة آلاف عامل أو أكثر.

عمال البناء: وذلك بعد أن استقر آلاف الجنود البريطانيين العائدين من السويس اتفاقية الجلاء عن السويس عام ١٩٥٤م واضطرت بريطانيا لبناء آلاف المساكن لهم ولعائلاتهم في خور مكسر والمعلا والبريقة، ثم عاد عدد كبير من الجنود وعائلاتهم من قبرص ومن كينيا، وقررت الحكومة البريطانية أن تكون عدن هي القاعدة العسكرية الأولى لها خارج بريطانيا، وقد بلغ عدد الجنود وعائلاتهم أكثر من ثمانين ألفًا، ولا شك أن هؤلاء يحتاجون لخدمات كثيرة لهذا كان عمال البناء أكثر فئات العمال تواجدًا في عدن.

عمال الميناء: حيث توسع الميناء عدة مرات وتم استيعاب آلاف العمال في الميناء.

الشركات الغربية الكبيرة مثل (B.P) وشل ولوك توماس وغيرها من الشركات والأعمال الخدمية التي استخدمت أيضًا آلاف العمال.

الأعمال الحرة وتجارة المفرق: وتستخدم عددًا كبيرًا من العمال والموظفين الصغار وأعمال حرة يقوم بها من بيع وشراء بكميات صغيرة.

ويقول توم هيكنبوتم: حاكم عدن (١٩٥١-١٩٥٦م) في كتابه عدن إنه عندما قدم إلى عدن لأول مرة - في الثلاثينات من القرن العشرين - كان الوضع مزريًا ولم يكن هناك حق التقاعد (المعاش) أو التعويض عن الإصابة أو المرض، والأجور لا تكاد تكفي للطعام والسكن البسيط جدا، ولم تكن هناك أي إجازات على الإطلاق وعلى العمال أن يجدوا طرقًا لسكنهم على حسابهم الخاص أو يسكنون في الشوارع والمقاهي حيث ينامون على الأسرة المجدولة وخاصة في الصيف، وكانت سلطات صاحب العمل مطلقة يتحكم فيها بالعمال كما يشاء.

وكان عمال الفحم وتنزيل وتطليع البضائع من السفن يعيشون تحت سقائف (جمع سقيفة) طويلة تتسع للعشرات منهم بطريقة مزعجة، وتعاني من الازدحام، وعدم وجود أماكن للاغتسال أو حتى قضاء الحاجة، وعليهم أن يذهبوا إلى ساحل البحر للاغتسال وقضاء حوائجهم فهو قريب منهم. وكان هؤلاء العمال المساكين يعودون بعد مغيب الشمس إلى هذه السقائف ويرتمون على الأرض مع فرش بسيط ليناموا إلى الفجر عندما يقومون ليعاودوا عذاباتهم من جديد.

وحتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥م) لم يحدث تحسن في الأحوال المعيشية وازدادت أزمة السكن حدة بسبب مشروع تخطيط المدينة (Town Planning Scheme) الذي شل حركة البناء تمامًا لمدة سنتين دون أن يقدم أي فائدة لسكان المستعمرة، وجعل أزمة السكن تتفاقم حتى شملت الموظفين وليس العمال فقط

ويقول هيكنبوتم: عندما قدمت للعمل في أمانة الميناء (وتولي رئاستها) قامت الحكومة بتحديد الحد الأدنى للأجور بسبعة شلنات الذي صدر في الأربعينات (١٩٤٨م) من القرن العشرين (بعد الحرب العالمية الثانية وبقيت مشاكل الأجر الإضافي في ساعات العمل الإضافية، واستخدام الأطفال وعدد ساعات العمل الأسبوعية ب ٤٨ ساعة فقط، ولكن بدأت الدراسة لإصدار قوانين حولها.

وبدأت دراسة مشكلة السكن، ويقول إنه بدأ يفرض لعمال أمانة الميناء حق التداوي هم وعائلاتهم (وفَّرنا طبيبة نساء للعائلات، ووضعنا نظام التقاعد ثم قلدتنا بعض الشركات الكبيرة. وبحلول عام ١٩٥٤م أعطي العمال والموظفون إجازة سنوية مدفوعة الراتب وفرض نظام للتقاعد وشعر العمال بأن لهم حقوقًا وبدؤوا يطلبون المزيد منها وبدأت الإضرابات العمالية في الشركة الإيرانية الإنجليزية لمستودعات الزيت والبترول الذي بدأ استخدامه بدلًا من الفحم.

وقامت الحكومة بتكوين إدارة للعمل والضمان الاجتماعي وأصدرت قوانين للسلامة في مكان العمل مما أثار غضب أصحاب العمل والشركات، وخاصة أولئك الذين كانت مبانيهم تعرض العمال والموظفين للمخاطر.

وفي عام ١٩٥٦ م قام هيكنبوتم ببناء مساكن للعمال وذوي الدخل المحدود في القلوعة في المعلا وقريبًا من حجيف مكونة من ١٥٠٠ شقة وابتدأنا بموظفي الدولة ثم موظفي أمانة الميناء وصار أمرًا معتادًا أن تقوم الشركة أو أصحاب العمل بإيجاد سكن مناسب للموظفين والعمال الدائمين وأقامت الدولة أكثر من ألف شقة في الشيخ عثمان (المنصورة) لتخفيف الضغط على

المساكن وكانت هذه الشقق تؤجر بإيجارات معقولة جدًا بالنسبة للجميع. ولكن بقيت علاقة العمال وأصحاب العمل متوترة، وكانت أغلب الشركات وأصحاب العمل لا تلقي بالًا لهؤلاء العمال، ويقول هيكنبوتم إنه حاول أن يفهم أصحاب العمل والشركات بأهمية تحسين علاقتهم بالعمال والموظفين وهو جزء من التحديث لصالح العمل نفسه.

وغادر هيكنبوتم عدن إلى وطنه بريطانيا عام ١٩٥٦ بعد أن أحيل على المعاش.

تكوين المؤتمر العمالي

كانت ثورة العمال في مارس عام ١٩٥٦ م قوية ومذهلة وهددت الشركات بأنها ستقفل أبوابها وترحل إلى جيبوتي أو غيرها، وأن اقتصاد البلد سينهار وسيجد العمال أنفسهم عاطلين، ولكن العمال والنقابات استمرت في الإضرابات وحققت انتصارات كبيرة للعمال.

ونتيجة قفل قناة السويس أواخر ١٩٥٦ م قلت الأعمال بالفعل وانخفضت الإضرابات العمالية إلى ١٢ إضراب فقط عام ١٩٥٧م، وعندما عادت الأعمال عام ١٩٥٩ م زادت الإضرابات إلى ٨٤ إضرابًا.

وشهد عام ١٩٥٦ م تجمع سبع نقابات وتكوين مؤتمر عدن للنقابات وكان طلائع هذه المجموعة الأستاذ عبد الله الأصنج، والشهداء (علي حسين القاضي وصالح محسن وعبدالله السلفي) وعبده خليل سليمان ومحمد سعيد مسواط ومحمد عبده نعمان ومحمد سالم علي عبده والسيد زين صادق ومحمد أحمد زليخي وعبد القادر الفروي (الذين اغتالتهم الجبهة القومية فيما بعد).

واستطاعت هذه المجموعة أن تطور المؤتمر والنقابات، وفي عام ١٩٥٧م انضم المؤتمر العمالي إلى الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة، وأقام الأستاذ الأصنج علاقات قوية مع مؤتمر نقابات العمال في بريطانيا ومع حزب العمال نفسه..

وفي عام ١٩٥٩ م تم تسجيل ٤٩ نقابة في عدن، وانضمت ٣٠ نقابة إلى المؤتمر العمالي، ثم بلغ عدد النقابات التي انضمت لهذا المؤتمر ٣٢ نقابة تضم أكثر من ٢٥ ألف عضو، ثم استطاعت الحركة الاشتراكية أن تضم إليها ستة نقابات من المؤتمر العمالي، وكانت الهيئة العامة للمؤتمر تتكون من عضوين يمثلان كل نقابة يتم انتخابهما كل عامين، وفي العام ١٩٥٧ صدرت أول صحيفة عمالية وهي صحيفة (العامل) وكانت تحمل شعار مؤتمر النقابات (الحرية-الخبز-السلام)، ثم جرى تغيير اسم مؤتمر النقابات إلى (المؤتمر العمالي) وتم اعتبار صحيفة (العامل) بأنها ناطق رسمي باسم للمؤتمر العمالي، وخلال فترة الثورة قام المؤتمر العمالي بعشرات المظاهرات والإضرابات، وامتد تأثير الحركة النقابية إلى أبين ولحج.

وكان من أبرز رجال المؤتمر العمالي والنقابات العمالية: محمد عبده نعمان الحكيمي (وهو شمالي) وعبده خليل سليمان الذي تميز بقدرته على تنظيم النقابات بصورة علمية دقيقة حيث أنه درس قوانين تكوين النقابات وشروطها وأعمالها في بريطانيا وقد استفاد من ذلك استفادة كبيرة وكان يتميز بالهدوء وكراهيته للظهور في الإعلام وغيره.

وعلي حسين قاضي (وهو شمالي من البيضة) الذي صار رئيسًا للمؤتمر وعبد الله الأصنج الذي تولى أمانة المؤتمر.

وقد نجح المؤتمر العمالي ونقاباته في الحصول على كثير من حقوق العمال الموجودين في عدن وذلك بإقامة إضرابات عمالية متعددة واستطاعت النقابات العمالية أن تكون قوة ضخمة في عدن وفي الحركة الوطنية.

وبما أن النقابات العمالية اشتركت أيضًا في العمل السياسي فقد أدى ذلك إلى تدخل السلطات البريطانية في عدن ضدها، ولهذا اتجهت قيادة المؤتمر العمالي إلى إيجاد حزب سياسي منفصل عن الحركة العمالية النقابية وهو حزب الشعب الاشتراكي وقد كان الأستاذ عبد الله الأصنج أمين عام المؤتمر العمالي على علاقة قوية بحزب العمال البريطاني في لندن والذي نصحه بفصل العمل النقابي عن العمل السياسي وبالفعل تم ذلك بإيجاد حزب الشعب الاشتراكي.

ولهذا أعلنت الحكومة في أواخر ١٩٦٠ م فرض قانون التحكيم الإجباري قبل السماح للنقابة بالإضراب، وعللوا ذلك بأن القضية يجب أن تكون عمّالية، وأن تعرض على لجنة تحكيم حكومية، فإذا فشلت جهود التحكيم يمكن آنذاك اللجوء إلى الإضراب، وأما الإضرابات لأغراض سياسية مثل حق الانتخاب في المجلس التشريعي وغيرها من الأغراض السياسية فهي ممنوعة منعا باتا بنص القانون.

واستطاعت النقابات أن تحسن أوضاع العمال وأن تضاعف لهم أجورهم وأن تعيد لهم حقوق نهاية الخدمة والإجازة السنوية وحق التداوي والعلاج المجاني للعامل أو الموظف وأسرته، وتحديد ساعات العمل والأجر الإضافي لما يزيد عنها.

حزب الشعب الاشتراكي

الذي تكون سنة ١٩٦٢ بعد أحداث سياسية متعددة وكبيرة ساهم فيها المؤتمر العمالي وقد كانت هذه العوامل من الدوافع الرئيسية التي دفعت قادة المؤتمر العمالي إلى تأسيس حزب سياسي يكون واجهة سياسية للحركة العمالية، وانبثق في يوليو عام ١٩٦٢ حزب الشعب الاشتراكي كواجهة سياسية ووطنية للحركة العمالية بقيادة عبد الله الأصنج ومحمد سالم باسندوة ومحمد سالم علي عبده وغيرهم.

مبادئ حزب الشعب الاشتراكي وأهدافه

إقليم اليمن الطبيعي جزء من الوطن العربي والشعب العربي في اليمن جزء من الأمة العربية.

الإيمان بأن تحرير إقليم اليمن الطبيعي من الاستعمار والرجعية ووحدته على أساس ديمقراطي اشتراكي هو السبيل العملي للمساهمة في وحدة الأمة العربية في دولة عربية واحدة.

الهدف

بناء مجتمع اشتراكي تسوده العدالة الاجتماعية لخلق المواطن العربي المثالي كمساهمة لبناء عالم تسوده الإنسانية المثلى.

الشعار: (نفس شعار حزب البعث العربي الاشتراكي) (الحرية، الوحدة، الاشتراكية) وأصدروا صحيفة ناطقة باسم الحزب تحت عنوان البعث، وهي تحمل جميع أهداف حزب البعث العربي الاشتراكي الذي وجد في سوريا والعراق.

العضوية

لكل مواطن في اليمن الطبيعية الحق في طلب الانتساب للحزب على أن تتوافر فيه الشروط التالية:

١- أن يقبل دستور الحزب ومنهاجه ونظامه الداخلي.

٢- لا يعتقد أو يتظاهر بالنزعة العنصرية أو الإقليمية أو الطائفية.

٣- أن لا يكون عضوًا في أي هيئة سياسية أخرى.

٤- أن يكون قد بلغ الثامنة عشرة من عمره.

برنامج حزب الشعب الاشتراكي

يتمثل برنامج حزب الشعب في برامج طوباوية وخيالية يعسر على الدول الغنية تنفيذها، فكيف بدولة فقيرة مثل اليمن الجنوبي، ولم ينفذ هذا البرنامج لعدة أسباب، أولها: استحالة تنفيذه كاملا وثانيها: أن حزب الشعب لم يصل إلى الحكم أبدا.

وقد وضع الحزب أهدافًا في الاقتصاد مثل أن تكون وسائل الإنتاج كلها بيد الدولة -أي المذهب الشيوعي- مع الحفاظ على الملكيات الصغيرة بالقدر الذي لا يتعارض مع المصلحة العامة والسياسة الاقتصادية الموجهة.

سيقوم الحزب بإخضاع الإنتاج الزراعي بإقامة الجمعيات التعاونية الزراعية وبنك التسليف الزراعي ومراكز أبحاث زراعية واستعمال وسائل حديثة في الزراعة واستغلال الثروات الحيوانية والسمكية ومشتقاتها بالطرق الحديثة وإصلاح الأراضي البور وتوفير المياه للزراعة وللأهالي.

وفي الحقل الصناعي سيقيم الحزب بصناعات متعددة حسب حاجات الوطن مثل مصانع النسيج المتوفر من صناعة القطن ودباغة الجلود من الثروة الحيوانية وصناعة السماد وإحياء صناعة الملح ومشتقاته وتشجيع إقامة مصانع تركيب السيارات ووسائل النقل والجرارات واستغلال الثروات المعدنية والبترولية ومشتقاتها.

وفي الحقل التعليمي: مجانية التعليم للجنسين من الابتدائي إلى الجامعة وإيجاد مختلف التخصصات المطلوبة للوطن والكليات الفنية الصناعية على نطاق واسع.

في الحقل الصحي: مجانية العلاج لجميع أفراد الشعب ومكافحة الأمراض المتوطنة وارتفاع المستوى الصحي في الوطن وإيجاد أرقى المستشفيات لتقديم الخدمات الصحية مجانًا ورعاية الطفولة والأمومة.

الحقل العمالي والاجتماعي: تتكفل الدولة بتوفير الخدمات الاجتماعية لكل فرد في المجتمع على قدم المساواة ولكل حسب طاقته ولكل حسب عمله وتوفر العمل الشريف لكل مواطن.

وقد وضع حزب الشعب الاشتراكي تفاصيل كثيرة في نظام الدولة المستقبلية

واشترط في النظام التشريعي الانتخاب العام وهو حق لكل مواطن قد بلغ الثامن عشر مولود في اليمن الشالي أو الجنوبي، ويحق له الانتخاب والترشيح بالطرق الديمقراطية كما نصت الأنظمة على أن جهاز الدولة التنفيذي ينبع من السلطة التشريعية المنتخبة، ونص على استقلال القضاء عن سلطة تشريعية وعن سلطة تنفيذية، وأكد مرارًا على النهج الاشتراكي والعدالة الاجتماعية وفي السياسة الخارجية التزم بالخط القومي العربي الاشتراكي وبمقررات

مؤتمر باندنج وسياسة عدم الانحياز بين الكتلتين الشرقية (الشيوعية) والغربية (الرأسمالية) وعدم الدخول في التحالفات العسكرية مثل حلف بغداد حلف الناتو وغيرها، وتأييد منظمات السلام العالمي.

وسائل وأساليب عمله

يؤمن الحزب الشعب الاشتراكي بالحل السياسي السلمي ولكنه لا يمانع في خوض المعارك العسكرية والفدائية مع الاستعمار إذا اضطر لذلك، ويرى الهدف الوصول للاستقلال بكل وسيلة ممكنة، ويجب علينا أن لا نتصارع فيما بيننا ونسعى لتوحيد الجهات المقاومة للاستعمار في وطننا قدر الإمكان.

وللإدعاء أن الكفاح المسلح لم يقم إلا بثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في ردفان هو إدعاء غير صحيح، فقد قامت العديد من الثورات المسلحة ضد بريطانيا في مختلف أرجاء الجنوب وقد قامت رابطة أبناء الجنوب بتأييد ودعم العديد من الثورات مثل ثورة الربيزي والعوالق ويافع وباكازم ضد بريطانيا ولكن هذه الثورات أخمدت بسبب عدم وجود سلاح جيد مع هذه القبائل وكان سلاح الجوي البريطاني يقضي على هذه الثورات في مهدها.

كما قام حزب الشعب الاشتراكي بتأييد ثورات قبائل يافع والمراقشة والدماني وآل فريد وباعزب وغيرهم، ولكن هذه الثورات كانت محدودة لعدم وجود دعم عسكري لها.

وقد كانت سياسة حزب الشعب الاشتراكي والوصول إلى الاستقلال عن الحكم البريطاني لعدن والجنوب وإقامة دولة مستقلة تتحد مع الدولة اليمنية في الشمال.

وبما أن بريطانيا قد أعلنت عزمها على إعطاء الجنوب استقلاله منذ عام ١٩٦٦م، وأن ذلك سيتم في يناير ١٩٦٨م وأعلنت تخليها عن سياستها السابقة

في إيجاد قاعدة عسكرية ضخمة في عدن وإعطاء الجنوب استقلاله الكامل، فلا يوجد مبرر لاستمرار قتل الجنود والموظفين البريطانيين في عدن والجنوب إلا في أضيق الحدود.

وقد اختلفت سياسة الجبهة القومية في هذه النقطة واستمرت فيما يسمى الكفاح المسلح والاغتيالات، ولكنها في الواقع اتفقت مع القيادة البريطانية على تسلم الحكم وبالتالي نصحت القيادة البريطانية الضباط في جيش الاتحاد الجنوبي أن يلتحقوا بالجبهة القومية.

ونادت جبهة التحرير الوطنية (حزب الشعب الاشتراكي) بتوحيد جهود جميع المناضلين والأحزاب السياسية تحت مسمى جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل (FLOSY) والذي انضم إليها السيد عبد القوي مكاوي الذي تولى رئاسة الوزارة في عدن لفترة محدودة واختلف فيها مع الإنجليز اختلافًا شديدًا ثم سافر إلى القاهرة حيث انضم إلى هذه الجبهة كما انضم إليها السلطان أحمد الفضلي وبعض السلاطين وتقدمت المباحثات مع رابطة أبناء الجنوب للانضمام إليها، كما تم في تعز انضمام مجموعة صغيرة من الجبهة القومية للتحرير NLF إلى جبهة تحرير الجنوب اليمني FLOSY وأعلن ذلك من راديو تعز بعد أن قامت السلطات المصرية بهذه الجهود.

إنجازات حزب الشعب الاشتراكي

استطاع أن يقود الجماهير يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٢ م إلى الإضرابات والمظاهرات ضد الاستعمار الإمبريالي (الكولونيالي).

شارك في الكفاح المسلح ضد الحكم البريطاني في المناطق الريفية (المحميات).

قام عبد الله الأصنج بالدور السياسي في المجالات الدولية ومنظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية كما قام بدور جيد في بريطانيا نفسها مع الصحافة البريطانية وحزب العمال البريطاني.

دعم ثورة السلال في الجزء الشمالي في اليمن (٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م) وأرسل آلاف المتطوعين من أبناء الشمال (المقيمين في عدن) وأبناء الجنوب للدفاع عن الثورة.

محاولة اغتيال المندوب السامي تريفاسكس (قنبلة المطار) التي اتُّهِم فيها خليفة عبد الله خليفة، ومن ورائه عبد الله الأصنج ومحمد سالم باسندوة، وقد اعتُقِل خليفة وبعض المتهمين وبعض الشهود ومنهم القشبري الشاهد الأساسي ولكن تم تهريب الشهود خارج الوطن وخاصة القشبري، ولما أقيمت المحاكمة طلب القاضي البريطاني العادل مستر تشارلز الشهود وقيل له أنهم فروا خارج الوطن، فقال: لا أستطيع الحكم على هؤلاء بدون إثبات وبقي خليفة وبعض أصحابه رهن الاعتقال، وحدثت انتخابات تشريعية ودخلها خليفة عبد الله خليفة وهو في السجن وحصل على أكبر عدد من الأصوات فأطلق سراحه، وعندما زار وزير المستعمرات عدن طلب من تريفاسكس (المندوب السامي) أن يقابل خليفة ويسلم عليه لأنه قد يصبح رئيسًا للوزراء، فرفض تريفاسكس ذلك وبشدة لأن خليفة حاول اغتياله، وقتل بالفعل حارسه الخاص وصديقه الذي رمى نفسه عليه لينقذه، فطلب الوزير من تريفاسكس أن يستقيل واستقال بالفعل، ولكن الحكومة البريطانية في عدن أيدت أن يكون رئيس الوزراء السيد زين باهارون والذي حصل على المركز الثاني في انتخابات المجلس التشريعي، وقد أيد ترشيحه معظم أعضاء المجلس

التشريعي باعتباره أكبر سنًا وخبرة من الشاب خليفة عبد الله خليفة البالغ من العمر ٢٨ عاما فقط.

وزارة زين باهارون

عندما تولى زين باهارون الوزارة ١٩٦٣م بعد الوفاة المفاجِئة للسيد حسن بيومي في لندن بسبب ذبحة صدرية والذي كان أول من تولى الوزارة في عدن، وقف السيد زين باهارون بشدة ضد مخططات بريطانيا في الاتحاد الجنوب العربي مطالبًا بإيجاد سلطات كافية لعدن وإيجاد قوات عسكرية وأمنية لحمايتها من القبائل الشرسة الموجودة في المحميات إذا استدعت الضرورة ذلك، وإعطاء عدن حق الانفصال من الاتحاد الجنوب العربي.

ولما كانت بريطانيا في مرحلة متقدمة في مشروع اتحاد الجنوب العربي فإن معارضة زين باهارون شكلت عقبة مزعجة في تنفيذ هذا المخطط وخاصة أنه أعلن أن عدن لا تلتزم بوجود القاعدة البريطانية.

وقد كانت سياسة بريطانيا منذ بداية الخمسينات هي إقامة قاعدة عسكرية ضخمة في عدن وخاصة بعد خروجها من قناة السويس وخروجها من قبرص وكينيا وتجمعت هذه القوات كلها في عدن التي أصبحت أكبر قاعد بريطانية خارج المملكة المتحدة.

وكانت بريطانيا تنوي أن تجعل عدن قاعدة نووية أيضًا وذلك تحت حكم حكومة المحافظين، ولكن حكومة بريطانيا المحافظة واجهت أزمة اقتصادية شديدة، كما واجهت ضغوطًا من الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت أن تحل محلها في الشرق الأوسط، وأدت الانتخابات إلى سقوط حزب المحافظين وانتصار حزب العمال بقياد ويلسن.

وقد قررت حكومة العمال الجديدة التخلي عن السياسة القديمة في عدن ومنطقة الشرق الأوسط ولهذا تخلت عن فكرة إقامة قاعدة كبيرة في عدن لأن كلفتها المالية ضخمة كما أنها تواجه معارضة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وبما أن بريطانيا قد ضعفت بعد الحرب العالمية الثانية فعليها أن تتخلى عن بعض مكاسبها في الخليج العربي للولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت أعظم وأقوى دول العالم.

وعلى بريطانيا أن تفهم أنها ستكون تابعة للولايات المتحدة وأن تتعاون معها في استغلال ثروات الشرق الأوسط وبالذات إيران (الشاه) والعراق والكويت والإمارات العربية المتحدة وعمان وأنها لن تكون الوحيدة في هذا الميدان بل عليها أن تسلم الراية للولايات المتحدة المستعدة بأساطيلها وقوتها العسكرية الجبارة أن تواجه الاتحاد السوفيتي والكتلة الشيوعية، وأن يكون لبريطانيا دور محدود في هذه السياسة الجديدة، وبالفعل غَيَّر رئيس الوزراء الجديد ويلسن سياسته في الشرق الأوسط وتعاون تعاونًا تامًا مع الولايات المتحدة وتخفف من المسؤوليات المالية بإقامة دولة اتحاد الجنوب العربي والتي كانت تعهدت بها لهؤلاء السلاطين وغيرهم.

وبما أن الجبهة القومية للتحرير كانت مستعدة لاستلام الحكم من بريطانيا وأن تتنازل عن جميع الالتزامات البريطانية المالية لهذه الدولة والتي تقدر بأكثر من ستين مليون جنيه استرليني والتي كانت وعدت بها لحكومة اتحاد الجنوب العربي، كما أن الجبهة القومية للتحرير كانت على علاقة غير جيدة مع جمال عبد الناصر في تلك الفترة، وهو أمر مهم لبريطانيا وبالتالي استطاعت بريطانيا أن تتفق مع قادة الجبهة القومية لكي تتسلم الحكم في عدن والجنوب

العربي دون أن تتكلف أي أعباء مالية، وفي نفس الوقت عملت بريطانيا على ضرب جبهة التحرير الوطنية FLOSY التي كانت تتبع جمال عبد الناصر عدو بريطانيا اللدود، وبالفعل استطاعت أن تقنع ضباط الجيش الجنوبي بالانضمام إلى الجبهة القومية وسلمت بريطانيا كل مناطق الجنوب إلى الجبهة القومية دون إطلاق رصاصة واحدة ما عدا عدن ولحج والتي تركزت فيها قوات جبهة تحرير جنوب اليمن (FLOSY) وهكذا تمت معركة رهيبة للقضاء على جبهة تحرير جنوب اليمن بدعم كامل من جيش اتحاد جنوب العربي بواسطة بريطانيا.

وللحق أن بريطانيا حاولت أن تجد حلًّا لمعضلا ت الحكم في الجنوب العربي ووجدت أن حكومة اتحاد الجنوب العربي ضعيفة وستكلفها مبالغ طائلة جدًا وربما تضحية العديد من جنودها كما أن هذه المجموعات من السلاطين كانوا مختلفين فيما بينهم وفيما بين حكومة عدن، كما أن رابطة أبناء الجنوب قد ضعفت ولم تعد قادرة على السيطرة على الشارع في عدن أو غيرها من المناطق وقد عرضت حكومة ويلسن العمالية على عبد الله الأصنج أن يتولى الحكم وقد أخبرني بذلك في جدة بعد أن ذكرتُ له أن تريفاسكس المندوب السامي البريطاني ذكر في كتابه (Shades of Amber) عن عدن أن حكومة العمال عرضت على الأصنج تولي الحكم فأخبرني الأستاذ عبد الله الأصنج أنه تم ذلك بالفعل وأنه قابل رئيس الوزراء ويلسن بنفسه الذي عرض عليه ذلك، ولكنه لم يستطع أن يقبل هذا العرض الجيد لأن عبد الناصر - حسب قوله - سيغضب من هذا الإجراء ولن يتوانى عن اغتياله، ولهذا اعتذر عن تولي الوزارة.

ولهذا لم يكن أمام بريطانيا سوى الاتفاق مع الجبهة القومية للتحرير وتسليمها الحكم في اليمن الجنوبي وكان لذلك الإجراء ميزات عديدة بالنسبة لبريطانيا:

- تتنازل الجبهة عن أي التزامات بريطانية مالية للحكومة الجديدة (وتبلغ ستين مليون جنيه استرليني).
- تخلص بريطانيا من أعباء القاعدة العسكرية الضخمة في عدن والتي تكلف الملايين من الجنيهات والكثير من الأعباء العسكرية والمالية.
- تعلم بريطانيا أن الجبهة القومية بأجنحتها المختلفة من قومية متطرفة إلى شيوعية راديكالية ستدخل مع مجموعات قبلية جاهلة وشبه أمية في انتفاضات متعددة داخل الجبهة القومية وسيقتل كل فريق الفريق الآخر وسينشغلون بذبح بعضهم بعضًا، وتجعل الحكم في اليمن الجنوبي أسوء مثال للحكم الوطني الاشتراكي المزعوم، وهذا ما تم بالفعل خلال المذابح التي قامت بها الجبهة القومية بعد استلامها الحكم في الجنوب اليمني والتي لم تكتفِ بأن تكون أسوء دولة في القرن العشرين مما جعل شعب الجنوب يفر منها إذا استطاع ذلك بعد انتشار المذابح والسحل والقتل والتجويع للشعب الجنوبي المسكين، كما قامت بحروب متعددة مع الشمال اليمني التي دعت للوحدة معه.

تكوين الجبهة القومية للتحرير NLF

تشكلت الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في أغسطس ١٩٦٢م وقد ضمت في صفوفها حركة القوميين العرب والجبهة الناصرية والمنظمة الثورية لجنوب اليمن المحتل والجبهة الوطنية والتشكيل السري

للضباط والجنود الأحرار وجبهة الإصلاح اليافعية وتشكيل القبائل، والتحقت منظمات أخرى بالجبهة، من بينها منظمة شباب المهرة ومنظمة الطلائع الثورية للشباب في جنوب اليمن المحتل وقد تشكلت لجنة من ١١عضوًا لإقامة هذا التنظيم، هم: قحطان الشعبي وناصر السقاف وعبدالله المجعلي، ومحمد علي الصوماتي، وثابت علي المنصوري، ومحمد أحمد الدقم، وبخيت مليط، وأحمد عبدالله العولقي، وعلي محمد الكازمي، وعبدالله محمد الصلاحي، وعيدروس حسين القاضي (من حزب الشعب الاشتراكي بعد خلافه معهم).

لاحظ عدم وجود عبد الفتاح إسماعيل، وعلي ناصر، وعلي سالم البيض، وعلي عنتر، وسالم ربيع علي، وهؤلاء هم قادة الجبهة القومية فيما بعد.

وتم تكوين الجبهة بموافقة السلال والقوات المصرية الموجودة في اليمن.

صعود الجبهة القومية للتحرير NLF وثورة ردفان ١٤ أكتوبر ١٩٦٣

وقامت ثورة السلال ضد الأئمة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ودعمتها مصر بإرسال جيشها لمواجهة القوات الملكية التي كانت تحاربها.

يقول تريفاسكس المندوب السامي البريطاني وحاكم عدن وصانع مشروع دولة الجنوب العربي في كتابه (Shades of Amber ص ٢١٥) : " إن ردفان رغم أنها تابعة للضالع اسميًا إلا أنها محكومة بقبائلها وجاء إليّ شيخ قبيلة قطيب غالب بن راجح بن لبوزة وابنه بليل الذي يرى أن من حقه أن يكون وزيرًا "

وكان الرأي عند الوزراء وخاصة وزير الدفاع اللحجي ووزير الأمن العوذلي أن نؤدبه بالطائرات، وأنا أعرف أن هذا أقل كلفة من جميع النواحي وسيخضع هذه القبيلة المتمردة بسرعة، ولكن الغارات الجوية ستثير علينا

العالم بأكمله (مصر واليمن والأمم المتحدة وحزب العمال البريطاني وأجهزة الإعلام البريطانية)، وقلت للوزراء: أقترح أن يتحرك الجيش الاتحادي مدعومًا بفرقة من المشاة البريطانيين وكان ردهم قويًا واضحًا: إن هذا سيؤدي إلى ضحايا وهذا سيدفع القبائل إلى مزيد من التعنّت وستصور صنعاء والقاهرة أن هذا انتصار على الجيش الاتحادي والبريطاني في المنطقة، ولكن تريفاسكس قال: إن الحملات الإعلامية والهياج العالمي باستخدام الطيران الملكي البريطاني سيؤدي إلى إضعاف سمعة بريطانيا، فردَّ الوزراء: نحن سمعتنا في الرغام بسببكم والشتائم تنهال علينا من كل جهة، حتى من الصحافة البريطانية، ونحن مع هذا مستمرون في تأييدكم وبإمكاننا أن نفعل كما فعل الفضلي ومحمد بن عيدروس ونَفِر إلى عبد الناصر حيث سنتحول إلى أبطال المقاومة ورجال الثورة، ويكال لنا المديح من كل جهة، ولكن تريفاسكس مع إقراره بوجهة نظرهم قام بالهجوم البري، وحتى لا تهاجمه الصحافة البريطانية قرر دعوة الإعلام البريطاني للحضور وهيأ لهم كل وسائل الوصول إلى ميدان المعركة وطائرة هليكوبتر ووسائل انتقال برية، وحدث بالنسبة له ما لم يكن في الحسبان، إذ إن المعارك طالت وقُتل وجرح أعداد من البريطانيين أنفسهم، وأصبحت ردفان على كل لسان، وتحدثت الصحافة البريطانية عن ذئاب ردفان الحمر.

وأصبحت الحملة العسكرية ذات مردود سيء، واضطر في النهاية لاستخدام سلاح الجو البريطاني بعد فقدان العديد من الضحايا والخسارة الإعلامية العالمية وفي بريطانيا ذاتها.

واشتكى شريف بيحان بأن القوات المصرية أغارت على القرى في منطقته واحتلت إحدى القرى بالفعل وكان لابد من الرد عليها بغارات جوية من

القوات الجوية الملكية البريطانية، وبعد تردد وافق تريفاسكس، وانسحبت القوات المصرية من القرية.

واستمرت ثورة ردفان التي قامت في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م فقد دعمتها القوات المصرية الضخمة الموجودة في اليمن، ومدتهم بالسلاح الحديث ولهذا لم تستطع القوات البريطانية أن تقضي عليها بسبب الدعم المستمر من القوات المصرية لهذه الثورة بالسلاح والرجال والمال. وانتشرت هذه الثورة وأصبحت رمزًا للكفاح المسلح ضد بريطانيا واعترف الإعلام البريطاني بالذئاب الحمر في ردفان (Red Wolves of Radfan) واستشهد غالب بن راجح لبوزة في إحدى المعارك وقام ابنه بليل بقيادة الثورة التي استطاعت أن تنتشر إلى المناطق الأخرى في الجنوب، مما جعل بريطانيا تتفاوض مع الجبهة القومية وخاصة بعد أن ساءت العلاقة بين الجبهة القومية وحكومة عبد الناصر والجيش المصري في اليمن وهذه أهم النقاط التي جعلت بريطانيا تتفاهم مع الجبهة القومية وتحثّ الجيش النظامي لاتحاد الجنوب العربي بأن ينضم إلى الجبهة القومية.

وقد توجه الدعم المصري لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل وحدها وذلك لأن مصر وجدت أنها تتوافق مع توجهاتها السياسية، بينما كانت الجبهة القومية تختلف معها في عدة نقاط جوهرية.

وأخذت الجبهة القومية للتحرير تبتعد قليلًا عن القاهرة غير أنها حرصت على عدم قطع علاقتها مع مصر وعلى عدم مهاجمتها.

وقد أدى تبدل التحالفات إلى إضعاف وضعية الجبهة القومية للتحرير في الخارج حيث تمتع خصمها بشهرة واسعة ودعم الحكومة المصرية.



واستطاعت الجبهة القومية للتحرير أن تعوض هذه الخسارة بتقوية وضعها في الداخل بعد أن قامت بالتفاهم مع الحكومة البريطانية التي كانت تحقد على نظام عبد الناصر الذي سبب لها هزيمة السويس المشهورة في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م عندما وقفت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ضد بريطانيا، وطلب الرئيس ايزن هاور (رئيس الولايات المتحدة) والرئيس برجنيف (أمين عام الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي) من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الانسحاب الفوري من قناة السويس.

ومنذ عام ١٩٦٥ نجحت الجبهة القومية في التغلغل في الحركة النقابية وفي الجيش الاتحادي باتفاق مع السلطات البريطانية التي ضاقت ذرعًا بتدخلات عبد الناصر المستمرة وبانحياز جبهة التحرير التام إلى مصر وانصياعها لأوامر وتوجيهات عبد الناصر، بينما كانت الجبهة القومية على خلاف مع عبد الناصر.

جبهة التحرير الوطنية لجنوب اليمن FLOSY

تكونت في مدينة تعز عام ١٩٦٦ م بمباركة الجامعة العربية ومصر واليمن ووقع وثيقة الاندماج زعيم حزب الشعب عبدالله الأصنج والقيادي البارز في الجبهة القومية علي أحمد السلامي ورفض الاتجاه اليساري في الجبهة القومية ذلك الاتفاق.

واتخذ الاندماج صفة رسمية في أغسطس (آب) ١٩٦٦ م في اجتماع رسمي باركه قاده مركزيون في حركة القوميين العرب وحزب الشعب الاشتراكي، وتكونت جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل FLOSY من: سيف أحمد

الضالعي، وعلي أحمد السلامي، وطه مقبل، وسالم زين، وعبدالله المجعلي، وعبد الفتاح إسماعيل عن الجبهة القومية.

وعن منظمة التحرير: عبدالله الأصنج، ومحمد سالم باسندوة، وعبدالله عبيد، والسلطانان أحمد الفضلي، وجعبل بن حسين العوزلي، وعُيِّن عبدالقوي مكاوي أمينًا عامًا للجبهة.

وقد كان عبد القوي مكاوي قد اصطدم مع المندوب السامي البريطاني في عدن بعد توليه منصب رئيس الوزراء وذلك بعد استقالة السيد زين باهارون من الوزارة سنة ١٩٦٥م.

ولكن السيد عبد القوي مكاوي كان شديدًا في تعامله مع المندوب السامي كما رفض أن يدين اغتيال المستر تشارلز رئيس المجلس التشريعي والقاضي السابق في محكمة عدن، وهذا كله أدى إلى إقالة عبد القوي مكاوي الذي ذهب إلى القاهرة والذي استقبلته استقبالًا حافلًا، وجعلته أمينًا عامًا لجبهة التحرير الوطنية للجنوب اليمني FLOSY وزادت الاضطرابات في عدن بخروج السيد عبد القوي مكاوي إلى مصر.

الجبهة القومية تعاني التمزق وبريطانيا تساندها

وفي خلال ذلك كانت الجبهة القومية تعاني من التمزق الشديد ونقص الأموال، وفقدوا حتى دعم الاتحاد السوفييتي الذي توطدت علاقته مع عبد الناصر، وبالتالي لم يكن يمدهم بالمال والسلاح، ولهذا اضطر بعض قادة القبائل الذين كانوا يقاتلون مع الجبهة القومية إلى تركها والانضمام إلى جبهة التحرير التي كانت تؤيدها القاهرة وتمدها بالمال والرجال والسلاح ومن هؤلاء بليل بن غالب بن راجح بن لبوزة.

ويقول العوبلي في كتابه (اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي، ص ٦٠-٦١): إن قحطان الشعبي في هذه الظروف السيئة طلب العودة إلى عدن أو المحميات، وفي تلك الأثناء أعلن اللورد بيزيك عزم بريطانيا على رفع القاعدة العسكرية من عدن، وأكد ذلك رئيس وزراء بريطانيا العمالي الرئيس ويلسن.

وسيطرت جبهة التحرير على كافة المراكز الشعبية وعلى المؤتمر العمالي بواسطة رئيس المؤتمر العمالي السيد علي حسين قاضي. ولهذا قرر عبد الفتاح إسماعيل اغتياله بعد أن قام بزيارته باتفاق مع بريطانيا.

واستقبله علي حسين قاضي، وعندما خرج لتوديعه أرداه عبد الفتاح قتيلًا، وقد ذكر لي الشيخ علي باعزب (القائد العسكري لجبهة التحرير) أن الذي قتل علي حسين قاضي هو أحمد سالم طوحل عباس) من رجال عبد الفتاح إسماعيل).

ويقول العوبلي في كتابه (المذكور أعلاه) : " وتم الاتصال فعلًا بقحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف الشعبي وعبد الفتاح إسماعيل وسيف الضالعي.. إلخ وقبلوا المشروع الجديد" القائم على التعاون وتبادل المصالح.

وقد شكا قحطان محمد الشعبي من أن قاعدته الشعبية قد أخذت تتفكك بعد أن أوقفت حكومة صنعاء وحكومة القاهرة مساعدتها المالية له، وأن هناك عائلات يجب إغاثتها. وفعلًا وبدون تسويف دفعت بريطانيا لتلك العائلات مبلغ ثمانين ألف جنيه إسترليني، وزعها قحطان مع أعضاء مجلسه وأخذ يسترد بعض السلطة التي فقدها وزودت بريطانيا الجبهة القومية بالأسلحة والعتاد اللازم من القاعدة العسكرية في عدن بشرط أن يتحول القتال إلى رجال جبهة التحرير.

ويقول العوبلي أن السير ريتشارد ترنبول (المندوب السامي الجديد كان ضد هذا الاتجاه، وكان يحاول التفاهم مع عبدالله الأصنج وعبد القوي مكاوي بكافة السبل، ولكنهما رفضا التفاهم إلا بشرط تسليم السلطة لجبهة التحرير وإعلان استقلال المنطقة وأن يكون عبد القوي مكاوي أول رئيس للجمهورية، وكانت بريطانيا تقترح إدخال السلاطين بشكل ما ولو محدود في السلطة، كما وافقت بريطانيا على قيام حكومة ائتلافية عريضة تشمل وزراء من حكومة الاتحاد وجبهة التحرير والرابطة والتنظيم الشعبي، ولكن المكاوي رفض ذلك أيضًا.

ولذلك رأت المخابرات البريطانية أنها ستستعمل وسيلتها، وترك ترنبول المندوب السامي هذه المهمة القذرة لمستشاره (رئيس المخابرات في عدن) أنطوني أشوورت وهو رجل لا يتورع عن عمل أي شيء، ومعه الكولونيل ريتشموند، رئيس الاستخبارات العسكرية البريطانية في المنطقة.

وأخبرني الشيخ محمد بن عجرومة أن ريتشموند هذا اتصل به وعرض عليه الدعم الكامل بشرط أن يحارب جبهة التحرير وأن لا يخبر قادة الرابطة بذلك، وقد رفض قادة الرابطة هذا العرض.

وكان الاتفاق على أن لا تشترك الجبهة القومية بعد الآن في اغتيال أي مواطن بريطاني في عدن، بل تركز جهودها على اغتيال الأعضاء والإرهابيين في جبهة التحرير حتى تعود الجبهة إلى رشدها.

وبدأ القتال العنيف بين الجبهتين بتدبير من بريطانيا، وسقط العديد من القتلى يوميًا بين الجانبين. ولا شك أن الجبهة القومية كانت هي البادئة، وهي التي قامت باغتيال العدد الأكبر من كوادر جبهة التحرير وأقاربها مثل الشيخ

سالم العمودي الذي كان رجلًا مسالمًا ووديعًا، ولكنه زوج ابنته لمحمد سالم باسندوة، فكان نصيبه القتل.

اغتيال أولاد المكاوي من قبل الجبهة القومية حسب كلام المكاوي في كتابه شهادتي للتاريخ

وقال إن الجبهة القومية دبرت اغتيال أولاده الثلاثة جلال وعادل وسمير في ٢٨ فبراير ١٩٦٧م ونفت الجبهة القومية ذلك الاتهام. وقد أدى ذلك إلى ازدياد العداء بين الجبهة القومية وجبهة التحرير الوطنية إلى أن وصلت إلى الحرب الكاملة بين الفريقين.

محاولات رأب الصدع بين الجبهتين

ويقول الأستاذ عبد القوي مكاوي في كتابه (شهادتي للتاريخ ص ٤٧ وما بعدها) : تدخلت الجامعة العربية وأصدرت نداءها بأن تتولى حكم الجنوب حكومة مكونة من كافة القوى الوطنية، ثم عقد في أكتوبر ١٩٦٧م مؤتمر القاهرة، إلا إن الإنجليز رأوا مصلحتهم في إذكاء الحرب بين الفريقين (الجبهة القومية وجبهة التحرير) فاستخدموا كافة قواتهم البرية والجوية لخدمة عناصر الجبهة القومية لترجيح كفتهم، وقصفت مقاتلات سلاح الطيران البريطاني المناطق التي حررتها جبهة التحرير في الصبيحة ولحج.

ورغم ذلك فقد استمرت الجبهتان في القاهرة برعاية الرئيس جمال عبدالناصر في المباحثات، وتمت صياغة مشتركة للحكم أبرز ملامحها:

١ - تشكيل مجلس رئاسة يضم عضوين أحدهما من الجبهة القومية والآخر من جبهة التحرير، وتكون رئاسة المجلس لجبهة التحرير (ورئيسه عبد القوي مكاوي).

٢- حكومة برئاسة عضو من الجبهة القومية مع نائبين لرئيس الوزراء أحدهما من جبهة التحرير والآخر من الجبهة القومية، كما اتُّفق أن يكون وزير الأمن من الجبهة القومية ووزير الدفاع من جبهة التحرير.

٣- على أن تجري انتخابات عامة فيما بعد.

ويقول المكاوي عندما وصلنا إلى موضوع تشكيل الوفد الذي سيفاوض بريطانيا ازداد الخلاف وانفضت الجلسة.

عبد الله الجابري يذكر الأوامر البريطانية لضباط جيش الاتحاد للانضمام للجبهة القومية ومساعدتها

يقول عبد الله الجابري في كتابه "الجنوب العربي في سنوات الشدة ص: ١١٠ وما بعدها " أن بريطانيا دفعت مائتي ألف شلن سُلمت للعقيد حسين عثمان عشال ليصرفها في منطقة بيحان حيث تتمركز كتيبة من جيش الجنوب العربي تحت قيادته ليتحول ولائهم إلى الجبهة القومية.

ودفعت الإدارة البريطانية مائتي ألف شلن للمقدم سالم القطيبي لحساب منطقتي الضالع وردفان، ومائتي ألف شلن سلمت للمقدم مهدي عشيش لحساب منطقة عتق ونصاب والصعيد، ومائتي ألف شلن سلمت للمقدم محمد أحمد بلعيد لحساب منطقة لحج والفضلي، وسلمت ستمائة ألف شلن لثلاثة من كبار الضباط الأمن هم عبد الهادي شهاب وصالح سبعة وصديق لكسب ولاء بوليس ولاية عدن وشرطة الاتحاد لحساب الجبهة القومية.

ومن أهم الشخصيات في الجيش ثلاثة ضباط انضموا إلى الجبهة القومية وهم: العقيد حسين عثمان عشال، والرائد محمد أحمد السياري، والمقدم أحمد محمد بلعيد.



وقد قام هؤلاء الثلاثة بدعم الجبهة القومية داخل جيش الاتحاد الجنوبي وأيدوا قحطان الشعبي وحكومته " انتهى كلام الجابري.

تسليم بريطانيا الجنوب للجبهة القومية

وفي اليوم التالي لانعقاد مؤتمر القاهرة في أكتوبر ١٩٦٧م حدثت الاشتباكات الدموية التي افتعلها الاستعمار في المنطقة، وقطعت الجبهة القومية المفاوضات، وقام الجيش تحت قيادة الجنرال البريطاني (داي) بحملة مكثفة لتسليم المناطق في الجنوب للجبهة القومية وتساقطت الولايات الواحدة تلو الأخرى تساقطًا مسرحيًا لم يسبق له مثيل في التاريخ.

وقد أجمعت جميع المصادر البريطانية والعربية التي كتبت عن هذا الموضوع أن جميع ما كان يسمى بالمحميات الغربية تم إسقاطها في أقل من أسبوعين، وأن القوات البريطانية كلها انسحبت من جميع أرجاء الاتحاد قبل ذلك ببضعة أشهر، وتم تسليم حضرموت والمهرة للجبهة القومية في أقل من أسبوع دون أي مقاومة تذكر، وكان الجيش الاتحادي يتولى تسهيل أمور التسليم للجبهة القومية في ما كان يسمى المحميات الغربية.

الجيش الاتحادي ينضم إلى الجبهة القومية بأوامر بريطانيا

وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٧ م أعلن الجيش الاتحادي رسميًا ولادة الجبهة القومية، وفي يوم ٩ نوفمبر وجهت الجبهة القومية نداء تدعو فيه بريطانيا للاعتراف بها والتفاوض معها لتسليم حكم الجنوب.

وفي ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ م حذرت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة من أن استلام أي من الجبهة القومية أو جبهة التحرير الحكم في الجنوب بمفردها سيؤدي إلى عواقب وخيمة وحرب أهلية مدمرة.

وبالفعل بدأت بريطانيا المفاوضات في جنيف مع الجبهة القومية في ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م وانتهت في ٣٠ نوفمبر بإعلان استقلال الجنوب اليمني.

واستطاعت بريطانيا أن تسحب جميع معداتها الثقيلة من القاعدة بسلام دون أن تفقد جنديًا واحدًا وامتلأت السجون بالمعتقلين من جبهة التحرير المناوئة للجبهة القومية.

ويقول العوبلي في كتابه (اغتيال بريطانيا لعدن والجنوب العربي ص: ١٦٩): أن بريطانيا لم تتفق مع الجبهة القومية إلا بعد أن فشلت مع كافة الأطراف، فهي قد حاولت منذ قدوم حكومة العمال على التفاهم مع عبدالله الأصنج ومكاوي، وتقرر عقد مؤتمر دستوري عن الجنوب في لندن في ديسمبر ١٩٦٥م ودعي إليه المكاوي والأصنج، ولكنهما غيرا موقفهما بعد أن مرَّا على القاهرة.

وفي (فبراير) ١٩٦ م وضع دستور جديد يقضي بأن تتحول دولة الجنوب إلى جمهورية وأن يتخلى السلاطين عن مناصبهم وتبقى لهم صفة شرفية فقط، وانتخب الأعضاء الشريف حسين بن أحمد الهبيلي رئيسًا للجمهورية الجديدة، ولكنه رفض ذلك بشدة واعتذر لكبر سنه، والواقع أنه كان لا يثق في بريطانيا بعد أفاعيلها، وكان يعتقد اعتقادًا جازمًا بأنها ستسلم السلطة إلى الجبهة القومية بعد أن فشلت محادثاتها مع الأصنج ومكاوي.

ويقول العوبلي: بعد دحر جبهة التحرير ومصرع قائدها العسكري العام المجعلي في حادث تصادم سيارة في صنعاء، خلا الجو نهائيًا للجبهة القومية واستمرت الحرب الأهلية بين الفريقين.

وأمرت بريطانيا قوات الجيش الاتحادي بالانضمام إلى الجبهة القومية ومقاتلة جبهة التحرير وذلك بناءً على أوامر القائد البريطاني فاينر والذي

عارضه بشدة نائب قائد الجيش الاتحادي العقيد ناصر بريك العولقي.

العقيد ناصر بريك العولقي

ويقول نائب قائد الجيش الاتحادي العقيد ناصر بريك العولقي وهو صاحب أعلى منصب من العرب في الجيش الاتحادي والذي كان يؤيد سرًا جبهة التحرير ضد الجبهة القومية (كما ينقله عنه عبد القوي مكاوي "شهادتي للتاريخ"):

أولًا: كنا نجلس في نادي الضباط بخورمكسر ومعنا القائد العام البريطاني الزعيم (الجنرال) داي Day عندما أذاع المندوب السامي البريطاني بيانًا عبر الإذاعة يقول فيه أن الجبهة القومية هي الممثل الشرعي لشعب الجنوب وأن الحكومة البريطانية ستبدأ بالتفاوض معها، وطلبتُ من الزعيم داي أن يؤمن لنا مقابلة عاجلة مع المندوب السامي وطلبت إليه أن يبلغ المندوب السامي استنكارنا لهذا الإعلان الذي سوف يسبب حربًا أهلية طاحنة، وأنني باسم الجيش الاتحادي أطالب نفي بيان المندوب السامي. في هذه الأثناء كان قحطان الشعبي ولفيف من قيادات الجبهة القومية داخل عدن يتفاوضون مع المندوب السامي.

وتأكد لدينا أن بريطانيا أوعزت إلى بعض الضباط بالانضمام للجبهة القومية ومدها بالسلاح والرجال.

ورفض داي تحديد موعد لمقابلة مع المندوب السامي بسبب انشغاله وذهبنا إلى مقر المندوب السامي فوجئنا بقائد الحرس يقول لنا أن المندوب السامي لن يتمكن من مقابلتكم الآن لأن عنده ضيوفا. وسألته: من هم الضيوف؟ وكانت المفاجأة الثانية عندما قال لي: قحطان الشعبي وفيصل الشعبي

وسيف الضالعي وآخرون، وهنا أدركت اللعبة، وقلت له: لقد جئنا للانضمام إليهم لأن الموعد لنا جميعًا، فقال على الفور: إذن تفضلوا، وأثناء اجتيازنا للممر اتصل قائد الحرس من تليفون بالمدخل بسكرتير السامي الذي فوجئنا به يجري نحونا قائلًا: انتظروا قليلًا، وخلال انتظارنا فوجئنا بهؤلاء يهرعون إلى شرفة مكتب المندوب السامي للاختباء، وعندما دخلنا للمندوب السامي بادرته قائلًا: أنت تعرف أن حكومة بريطانيا استعمرت بلادنا لمدة ١٢٩ عامًا، وكان من واجب بريطانيا وهي ترحل عن بلادنا أن تحرص على دماء هذا الشعب وألا تدخل في متاهات الحرب الأهلية، وأن تشكل حكومة ائتلافية من جميع العناصر الوطنية، حتى تظل الصداقة القائمة بيننا وبينكم. إن بيانك الذي قلته اليوم في الإذاعة يخلق حربًا أهلية، وهنا فوجئنا برده الاستفزازي حيث قال: لتكن، نحن لا يهمنا أن تتقاتلوا، أما نحن فقادرون على حماية أنفسنا، إن مرتباتكم تتقاضونها منَّا ومع ذلك تقاتلون قواتنا في شوارع عدن.

قلت له: هل هي عادتكم ألا تخرجوا من بلد إلا وتتركون فيها المشاكل؟

قال: مثل ماذا؟

قلت: الموقف الآن خطير والوقت لا يتسع لأمثلة، ومع ذلك فإن خلق دولة إسرائيل لم يكن إلا نتاج سياستكم.

قال: هكذا أنتم العرب تريدون الدنيا كلها لكم. كان يشهد حديثنا مع المندوب السامي بعض مساعديه، مثل الزعيم داي القائد البريطاني للجيش ومستر سمرفيلد ومستر هربر برس، وبدأ المندوب السامي يرفع صوته بهدف إسماع وفد الجبهة القومية الذي كان يجلس في شرفة الحجرة الخاصة وهو يقول: ما هذا الضجيج يا ناصر بريك؟، لماذا تقف هذا الموقف العدائي من الجبهة القومية؟

قلت له: يا سيدي تأكد أننا لن نكون كشمير آخر شديدًا، ضرب المنضدة بيده وذهب إلى البار المجاور لحجرته، وتركنا مع مساعديه الذين هاجموني بعنف قائلين: كيف تسمح لنفسك باتهام مندوب صاحبة الجلالة بالخيانة! ثم هل تنسى أن المندوب السامي هو الذي أوصلك إلى هذه الرتبة؟

وقلت لهم: لقد نطقت الحق ولا يهمني شيء، وفي هذه الأثناء دخل المندوب السامي وقال لي بحدة: إن السلطة بيدي وأستطيع محاكمتك عسكريًا.

قلت له: نحن الآن في لحظات تقرير مصير شعب بأكمله، ومثل هذه المحاكمات لا تهمنا.

قال: ماذا تريد؟

قلت: إما تشكيل حكومة ائتلافية أو الإعلان عن الاعتراف بباقي العناصر الوطنية.

قال: أنا لا أخاطب من يوجد في القاهرة أو تعز. أخاطب الثوار في ساحة القتال.

قلت له: الذين يوجدون في القاهرة (وكان يقصد مكاوي) هم قادة الثورة وهم المتمتعون بتأييد الشعب، ولكنهم لا يستطيعون الحضور لأنكم تفرضون عليهم الحصار.

وهنا أدرك المندوب السامي إصرارنا على رفض بيانه فحاول تهدئتنا ولكن دون جدوى.

ثانيًا: من الأمثلة الصارخة كذلك على تواطئ بريطانيا مع الجبهة القومية الأوامر التي أصدرتها لقوات الأمن والقوات النظامية بعدم التعرض لعناصر الجبهة القومية وهي تدخل السلاح إلى المنطقة بينما صادروا أي سلاح

كان يضبط مع عناصر جبهة التحرير، بل لقد أمدت بريطانيا الجبهة القومية بالأسلحة المصادرة وبذخائر، بل وأمدتهم عن طريق ضابط في الجيش كان ينتمي إلى الجبهة القومية واسمه المقدم أحمد محمد بلعيد بأجهزة لاسلكية في منطقة لحج، بل وطلبوا إلى بعض الضباط ألا يخبروني بالدعم الذي يقدم لهم من أسلحة الجيش، ولقد قامت بريطانيا بالانتقام من جبهة التحرير التي كانت تسيطر سيطرة كاملة على منطقة العوالق والمحافظة الرابعة وعلى منطقة الواحدي، وقد أمرت السلطات البريطانية بإعداد بطاقات لكي يحملها عناصر الجبهة القومية حتى لا يتعرضوا لمضايقات من نقاط التفتيش من الجنود البريطانيين.

ولقد كان من الطبيعي أن أترك الخدمة في الجيش بعد أن رأيت إصرارًا على تسليم الحكم للجبهة القومية، وقدمت استقالتي في ٤ نوفمبر ١٩٦٧ م قبل الاستقلال بأيام، ولقد جاءني مندوب وكالة رويتر في مكتبي لمعرفة أسباب استقالتي، وعندما انتهى من تسجيل حديث نزعوا منه جهاز التسجيل وهددوه بالقتل إذا عاود الاتصال بي، ومنذ ذلك التاريخ ذهبت إلى منطقة العوالق وبقيت بها، وعندما استولت الجبهة القومية نسفوا منزلي واغتالوا ابني بريك ناصر، وقتلوا شقيقي أحمد بريك، وكان الاتهام الموجه لي هو أن زيارات أفراد القبائل لي لا تتوقف، ورغم كل ما مارسوه ضدي فقد عجزوا عن منع أبناء القبائل من زيارتي، وهنا أرسل لي قحطان الشعبي شخصًا اسمه فريد أحمد مجور وطلب إلي إيقاف نشاطي السياسي واستعداد الحكومة لتعويضي عن كل ما فقدته ماليًا.

فقلت له: إنني لا أقوم بنشاط سياسي وإنني تركت كل شيء، وإذا كان هناك من يحتاج إلى تعويض فهم أبناء شعبنا، فصرخ قائلًا: وما لك بالآخرين!

وغادر منزلي مهددًا بأنني إذا لم أتوقف عن ممارسة أي نشاط سياسي في منطقة الواحدي والعوالق فلن أبقى على قيد الحياة، ثم توالت تهديداتهم لي، وعندما أيقنت أنهم يدبرون ضدي شيئًا ما اجتمعت مع القبائل لأخذ رأيهم فأكدوا وقوفهم معي، بل ونظموا مظاهرات للمطالبة بالوحدة الوطنية لكل شعب الجنوب، الأمر الذي دفع حكومة الجبهة لمحاصرتنا والانتقام منا، وأرسلنا ٤٥ ألف قبلي لمقابلة الحصار، وعندما عجزوا عن السيطرة على الموقف أرسلوا وفدًا للتفاوض معي مكونًا من فيصل الشعبي ومحمد صالح عولقي ومنصور الشعبي، وكانوا قد أخذوا تعهدا منا بعدم الخداع، وقالوا لي: نحن مستعدون لتلبية جميع مطالبكم إلا مطلب الوحدة الوطنية، فقلنا لهم: إن هذا مطلبنا الوحيد، فرفضوا وانفض الاجتماع، وجهزوا قوات مهاجمتنا من جديد.

وكانت أول معركة تنتصر فيها القبائل ضد جيش نظامي، وبعد ذلك جهزوا قوات جديدة وحاولوا تأليب القبائل ضدنا بحجة أننا نريد السيطرة عليهم، وكانوا يرددون كذبًا أننا نحن العوالق نمارس التعذيب الوحشي ضد القبائل الأخرى، وانتهت المعركة باحتلالهم بواسطة الدبابات والمدافع والألغام للمنطقة، وكان أول عمل لهم بعد احتلال المنطقة نسف منزلي بالديناميت، وبعد ذلك توجهت إلى الجبال ومنها إلى خارج الوطن إلى السعودية.

والتي عاش فيها إلى أن توفي ﵀ وكانت شقته بجوار شقتي في جدة.

ثالثًا: من صور التواطئ البريطاني أيضًا مع الجبهة القومية موافقة بريطانيا على أن يشترك الحرس الوطني الذي كان يتألف من عدد قوامه ٨٠٠ جندي بقيادة الضابط البريطاني جيمس بالاشتراك مع الجبهة القومية في قتال رجال

جبهة التحرير، وقامت بريطانيا بتسليم الجبهة القومية أسلحة ثقيلة لقتال جبهة، التحرير وأمرت بريطانيا بتجهيز قوات الأمن وأرسلتها بقيادة العقيد الصديق أحمد لقتال جبهة التحرير.

وقد تكرر نفس الشيء في منطقة العوالق العليا وفي بيحان والضالع، وكانت جبهة التحرير قد استولت على مركز كرش (مركز حدودي بين اليمن الشمالي والجنوبي) حيث قامت الطائرات البريطانية المقاتلة بقصفها وتسليمها للجبهة القومية.

وذهب قحطان الشعبي مع وفد للذهاب إلى جنيف لإجراء مفاوضات الاستقلال من بريطانيا مع اللورد شاكلتون لتسليم السلطة، وقامت بريطانيا بتسليم السلطة للجبهة القومية التي تم الاتفاق معها على التنازل عن الدعم البريطاني للجنوب لمدة خمس سنوات ماليًا وعسكريًا واكتفت الجبهة باستلام ثلاثة ملايين جنيه استرليني فقط لإدارة شؤون الدولة في تلك الفترة.

وقد ذكر لي الشيخ محمد بن عجرومة (من العوالق أيضًا) وقائد الجناح العسكري لرابطة الجنوب العربي، عدة محاولات لإغرائه للانضمام إلى الجبهة القومية، وعُرض عليه عدة مناصب هامة له ولأتباعه، ولكنه رفض ذلك. فهجمت عليه قوات الجيش الاتحادي بدعم كامل من بريطانيا ودكوا معقله في الصعيد، واضطر إلى الانسحاب إلى الشمال ومن ثم إلى القاهرة، ثم عاد إلى السعودية التي استقر بها، والتي آوت جميع المتضررين من تلك الحروب.

والغريب حقًّا أن قبائل ردفان والقطيب ثاروا ضد الجبهة القومية، بل إن غالب (بليل) بن راجح بن لبوزة الذي فجر ثورة ردفان في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م

وانضم إلى جبهة التحرير حارب الجبهة القومية، لأن عبد الناصر كان يمده بالمال والسلاح، بينما توقفت الإمدادات من الجبهة القومية وواجهت في تلك الفترة أزمة مالية شديد، واستشهد بعدها، وكذلك فعل الشيخ ثابت بن قاسم من كبار مشايخ قطيب، وثارت العوالق بقيادة محمد بن عجرومة وفريد بن أبو بكر بن فريد وبن عشيم الطوسلي وعبدالله أحمد عتيقي ومحمد بن أحمد العبدالي، وثارت الصبّيحة وطور الباحة ومنها قبائل عزيبة مثل الشيخ سيف والشيخ عبدالله العزيبي، وثارت كثير من المناطق فيما يسمى المحافظة الثالثة والرابعة، ووصل الأمر إلى المحافظة الثانية وذلك في يوليه وأغسطس ١٩٦٨م مما جعل قحطان يفرج عن الشيوعيين الذين اعتقلتهم مجموعة عشال في حركة ٣٠ مارس ١٩٦٨م لتساهم الميليشيات في الدفاع عن الجبهة القومية والدولة.

تخلي بريطانيا عن حكومة الاتحاد

تخلت بريطانيا عن حكومة الاتحاد واتفقت مع الجبهة القومية اتفاقا تاما وقدِم اللورد شاكلتون وزير الدولة للشؤون الخارجية إلى عدن واجتمع مع محمد حسن عوبلي رئيس الوزراء في عدن وقال له: إنه من غير الممكن استمرار الحكومة الاتحادية وقال له إنه ليس له الخيار سوى الجبهة القومية. لان جبهة التحرير مرتبطة بالقاهرة ورفضت كل المحاولات التي قامت بها بريطانيا لإشراكها بالحكم.

وقال: إنه اجتمع بالفعل مع فيصل الشعبي وعبد الفتاح إسماعيل وسيف الضالعي وأنور خالد في مكتب المندوب السامي، وإنه قد وصل إلى تفاهم معهم.

واقتضت المرحلة الجديدة إقالة السير ريتشارد ترنبول وتعيين همفري تريفليان لينهي قضية الجنوب ويصفيها (الذي كان سفيرًا لبريطانيا في العراق وهو الذي دبر انقلاب عبد الكريم قاسم).

الحرب الأهلية والانضمام الكامل للجيش الاتحادي للجبهة القومية

يقول العوبلي: في ١٤ آب (أغسطس) ١٩٦٧م غادرنا عدن إلى جنيف للتفاوض مع الأمم المتحدة، وفي حين كان الوزراء الاتحاديون قد وصلوا إلى تفاهم مشترك مع وفد الأمم المتحدة، كان السير همفري تريفيليان قد قام بتنفيذ وتسليم السلطة للجبهة القومية، مقابل تنازلها عن مبلغ ستين مليونًا من الجنيهات - حسب الاتفاق بين بريطانيا والحكومة الاتحادية - ومقابل وقوفها في وجه حكومة صنعاء والقاهرة.

وبدأت الحرب الأهلية بين الجبهة القومية وجبهة التحرير في عدن، وانهزمت الجبهة القومية، ولكن قوات من الجيش الاتحادي تحركت بأوامر المندوب السامي وضربت جبهة التحرير باستعمال الدبابات والمصفحات وأعلن الجيش الاتحادي تضامنه مع الجبهة القومية، وكان القتلى والجرحى بالآلاف وكثير منهم من المدنيين، وكانت أشد المعارك في المنصورة والشيخ عثمان ودار سعد.

وقال العوبلي: "أما نحن، فقد عدنا من جنيف إلى بيروت لنواصل الرحلة إلى عدن، وفي بيروت أبلغنا السفير البريطاني بعدم رغبة بريطانيا في عودتنا، وفي حالة رفضنا ستتخذ إجراءات ضدنا في مطار عدن وفي نفس اليوم أعلن المندوب السامي السير همفري تريفيليان أن الحكومة الاتحادية قد انهارت وتوقفت عن العمل".

ويقول: "لقد تنازلت الجبهة القومية عن التزام بريطانيا بدفع ٦٠ مليون جنيه مقابل حوالة مصرفية بثلاثة ملايين جنيه لأعضائها الرئيسيين وطلب منهم التنازل عن جزر كوريا موريا وإرجاعها لسلطنة مسقط وعمان فقبلوا ذلك، وطلب منهم إبادة البقية الباقية من أعضاء جبهة التحرير في عدن.

واحتل أعضاء الجبهة القومية " زارا و لودر " في سلطنة العواذل بدون مقاومة لأن فرقة الجيش الاتحادي هناك هددت بقصف أي جماعة تحاول مقاومة الجبهة القومية.

وقد أصدر الجنرال داي أوامره للتصدي لقوات جبهة التحرير في لحج والشيخ عثمان لنصرة الجبهة القومية، وأعلن الجيش ولاءه للجبهة القومية رسميًا.

وغادر حكام الجنوب السابقين مناطقهم وفروا إلى السعودية بأوامر بريطانية التي سلمت مناطقهم إلى الجبهة القومية، والتي تعاون معها الجيش الاتحادي تعاونًا تامًا بأوامر صريحة من الجنرال داي القائد العام للجيش الاتحادي.

ويرجع الكثير من الكتاب والباحثين أسباب تخلي بريطانيا عن عدن وحكومة اتحاد الجنوب العربي واتفاقها مع الجبهة القومية للأسباب التالية:

- ظهور أزمة اقتصادية حادة في بريطانيا جعلتها تبحث عمن يسمح لها بالتخلص من التزاماتها المالية.
- أن الجبهة القومية هي الوحيدة التي أبدت استعدادًا في المفاوضات السرية على أن تُخلي بريطانيا من مسؤولياتها المالية.
- أن الحقد والطفولة اليسارية التي تتميز بها كوادر الجبهة القومية هما خير

ضمان لقيام سياسة فوضى وإرهاب توقع بالشعب الانتقام جزاء لما واجهته بريطانيا من ضربات.

- أن وجود نظام سيء للغاية من الحكم اليساري يخدم المصالح البريطانية في الخليج.

قررت حكومة العمال أخيرًا أن تتخلى عن القاعدة العسكرية في عدن، وهي نقطة الخلاف الأساسية بينها وبين المجموعات الوطنية.

وقد ذكر الأستاذ محمد سالم باسندوة في كتابه " الجنوب اليمني المحتل في الأمم المتحدة ص ٥٠٩-٥٢٤" أن من أسباب تسليم بريطانيا للجبهة القومية، كون الجبهة القومية أكثر انضباطًا من جبهة التحرير، وهي منظمة سرية قامت على إطاعة الأوامر "نفذ ثم اسأل" وأن التعامل مع الجبهة القومية أسهل من جميع النواحي من التعامل مع جبهة التحرير. ومن أهم العوامل أن جبهة التحرير تخضع لتأثير مصر بينما كانت الجبهة القومية قد ساءت علاقتها بمصر، وبريطانيا لم تغفر لمصر عبد الناصر إذلالها في السويس وإخراجها من المنطقة العربية بأسرها.

إعلان استقلال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م بالاتفاق الكامل بين بريطانيا والجبهة القومية:

وكان قحطان الشعبي أول رئيس لجمهورية اليمن الشعبية من (٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م إلى ٢٢ يونيو ١٩٦٩م) كما بقي بالسجن إلى أن مات سنة ٧ يوليو ١٩٨١م.

حركة ٣٠ مارس ١٩٦٨م (مجموعة عشال)

عشال وأنصاره يلقون القبض على المجموعة الشيوعية في الجبهة القومية (٣٠مارس ١٩٦٨):

قام العقيد حسين عثمان عشال وأنصاره في ٣٠ مارس ١٩٦٨ بإلقاء القبض على عبد الفتاح إسماعيل وزمرته من الشيوعيين الذين كانوا يتآمرون بالقضاء على التيار اليميني في الجبهة القومية، وقد ثار هؤلاء الضباط وأنصارهم عندما اكتشفوا بيانات سرية لمجموعة عبد الفتاح تهاجم الإسلام بعنف وتعلن أن الجبهة القومية ستكون ماركسية لينينية تحارب الإسلام وتحارب الاتجاه اليميني للجبهة القومية.

ولكن قحطان الشعبي رئيس الدولة اضطر للإفراج عن هؤلاء الشيوعيين عندما انتفضت كثير من المناطق في الجنوب على الحكم من الجبهة القومية وانضمت إلى القوات المعارضة للجبهة القومية وقد سقطت بعض المحافظات الجنوبية وكادت أن تصل إلى المحافظة الثانية في لحج والصبيحة، وهذه المجموعات كانت مدعومة من جبهة التحرير ورابطة الجنوب العربي ودول خارجية.

وإليك بعض الحوادث في هذه الفترة التي هزت الجبهة القومية هزًا عنيفًا

في ٢٢ يوليه ١٩٦٨م: تحركت مسيرة شعبية مسلحة في العوالق في الصعيد ويشبم ومصينعة (قرى ومدن في العوالق) وعقدوا مؤتمرًا شعبيًا. وفي ٢٥ يوليو اجتمع بالثوار فيصل الشعبي ومحمد صالح عولقي وأحمد بلحمر وحاولوا إغراءهم بالمناصب ولكن الثوار رفضوا، بل وانضم إليهم قبائل الباكازم

والربيزي، واقتحم الثوار سجن نصاب وأطلقوا سراح المسجونين السياسيين، وأعلنت قبائل ردفان والحواشب في المحافظة الثانية الثورة واحتلوا منطقة الحبيلين واستسلمت سرية من الجيش في النقبة وأخرى في الصعيد.

وفي ٢٨ يوليه ١٩٦٨ م: سقطت عتق ونصاب وأيدت قبائل الواحدي الثورة، وقام أبطال ردفان والصبيحة والضالع بقيادة الشيخ ثابت بن قاسم القطيبي وغالب (بليل) بن راجح لبوزة ومحمد صالح الأزرقي وغيرهم بالسيطرة على جميع الطرق المؤدية إلى عدن، واستولوا على الأسلحة الموجودة هناك.

وفي ٣٠ يوليه ١٩٦٨م: أسقط الثوار طائرة في عتق، واستسلمت حامية عرقة في الواحدي للثوار، وفي ٣١ يوليه قامت مظاهرات في ميفعة (الواحدي) وقطعوا الطريق الموصل إلى عدن وانضم عدد من الجنود المرابطين في بيحان إلى الثوار مع جهازهم اللاسلكي، وسقطت الحبيلين والثمير في منطقة ردفان، وسقطت معظم مناطق الصبيحة وحوصرت طور الباحة.

وفي ١ أغسطس: أسقط الثوار طائرة في قوبان وقُتل من كان فيها ١٤ عسكريًا بما فيهم اثنان من التشيكيين، قائدا الطائرة، وسقطت رضوم والحوطة في المحافظة الرابعة بيد الثوار وفي ٦ أغسطس أصيب القائد مهدي عشيش: رئيس الأركان بجروح خطيرة في معركة أرض باكازم في العوالق السفلى، ونقل إلى المستشفى العسكري في عدن.

وفي ٧ أغسطس: زحف الثوار في منطقة الحواشب وقطعوا الطريق إلى عدن، وأوقعت قبيلة باعوضة في الواحدي وحدة عسكرية كاملة في كمين. وأسقط الثوار طائرة ثالثة، وقتل الضابط عبدالله محمد الميسري ابن خال القائد بلعيد.

وفي ١٢ أغسطس: ناشد الثوار في لحج ودار سعد سائقي السيارات عدم المرور على الطرق المؤدية إلى الصبيحة والحواشب لأنها ملغمة.

وفي ١٧ أغسطس: قام الثوار بقذف منزل العقيد حسين عثمان عشال بالقنابل اليدوية في دثينة وقتل في الحادث شقيقه، وانتشرت المعارك في جميع المناطق التي كانت تعرف باسم المحميات الغربية.

عودة الماركسيين في ٣٠ أغسطس ١٩٦٨م

لهذا كله اضطر قحطان الشعبي إلى الإفراج على المجموعة الماركسية ليصدوا العدوان على الجمهورية، كما قام قحطان الشعبي بالاتصال ببريطانيا التي وعدته بالحفاظ على الجمهورية مدة ثلاث سنوات من أي عدوان خارجي وطلب منها أن تقوم بمساعيها السياسية الحميدة لإيقاف هذا الغزو لأراضي الجمهورية اليمنية الجنوبية، وبالفعل قامت بريطانيا بذلك وتم سحب هذه القوات المختلفة التي هاجمت الجمهورية (أخبرني بهذه التفاصيل الأستاذ محمد حسن عوبلي آخر رئيس وزراء في عدن).

وتمكنت المجموعة الشيوعية من إثارة النعرات القبلية واستفادت من مجموعة من الضباط المناوئين لمجموعة عشال مثل محمد علي الميسري ومحمد علي هيثم الذين قاموا بالتعاون مع الماركسيين وفرضوا على قحطان أن يطرد مجموعة عشال الذين غادروا بالفعل إلى القاهرة في آخر أغسطس ١٩٦٨م.

اليسار يتآمر ضد قحطان الشعبي وابن عمه فيصل (مايو ١٩٦٩)

بدأت الخطوة التالية باستقطاب عناصر ضد ديكتاتورية قحطان وابن عمه فيصل الشعبي حسب قولهم ووجوب عزلهما، وبالفعل تم لهم ذلك وعُزل

قحطان وأودع الإقامة الجبرية، وكذلك فعلوا بفيصل الشعبي، وبما أن فيصل شاب طموح وذكي جدًا فقد خشوا منه ودبروا قصة هروبه المخترعة وأردوه قتيلًا، وبذلك تخلصوا من خطر حقيقي، وتم تصفية كل أنصار قحطان من العسكريين والمدنيين إلا من استطاع منهم الفرار.

وتم الإعداد للتخلص من قحطان الشعبي ومجموعته في مايو ١٩٦٩ واجتمع عبد الفتاح إسماعيل وعلي ناصر وسالم ربيع ومحمد علي هيثم مع أنصارهم ودبروا الإطاحة بقحطان وأنصاره.

وتولى سالم ربيع رئاسة الدولة في ٢٢ يونيو ١٩٦٩م، ومحمد علي هيثم رئاسة الوزراء وعلي ناصر محمد وزارة الدفاع، وكلهم من منطقة أبين.

وكان محمد علي هيثم اشتراكيًا قوميًا ولم يكن ماركسيًا رغم دراسته في موسكو واستطاع سالمين وعبد الفتاح إسماعيل وعلي ناصر من التخلص من محمد علي هيثم الرجل القوي وصاحب الميول القومية والذي ضحى بقحطان الشعبي ومجموعته من أجل السلطة، رغم أنه أقرب إلى قحطان إيديولوجيا وتمت الإطاحة بمحمد علي هيثم عام ١٩٧١ م وقتل قائد الجيش محمد علي ميسري ورفاقه.

ومنذ ذلك الوقت تحولت الدولة إلى عناصر ماركسية بألوانها المختلفة بعد أن تخلصت من العناصر القومية والاشتراكية (غير العلمية) أي غير الماركسية.

تغيير اسم الجمهورية ١٩٧٠م

في عام ١٩٧٠ م تغير اسم الدولة من جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية إلى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية إيذانًا بافتتاح العهد الماركسي لعدن والجنوب، وتوثقت العلاقات مع دول المعسكر الاشتراكي، ودخلت الدولة

في مرحلة بناء المجتمع الاشتراكي - كما يسمونه - وذلك بعد التخلص من محمد علي هيثم.

وكان سالم ربيع علي ينتهك الماركسية الماوية الصينية بينما كان رفاقه وخاصة عبد الفتاح إسماعيل يميلون إلى الماركسية اللينينيه الروسية.

وتسلسلت الوقائع وانقسم الرفاق إلى فريقين: أحدهما مع سالمين (سالم ربيع علي) الذي كان يؤيد الصين الشيوعية بقيادة ماوتسيتونج والثاني مع عبد الفتاح إسماعيل الذي يؤيد الاتحاد السوفيتي، واستعد كل فريق للنزال والقتال.

تفجير طائرة الدبلوماسيين أبريل ١٩٧٣م

وفي أثناء ذلك تم تجميع الدبلوماسيين ووزير الخارجية محمد صالح عولقي وأرسلوهم إلى اجتماع في المكلا بطائرة واحدة تم تفجيرها في الجو حتى يتم التخلص من بقايا أنصار قحطان أو العناصر غير الماركسية أو المترددة فيها وذلك في أبريل ١٩٧٣ م.

ثم تم القضاء على محمد صالح مطيع (اليافعي الذي تولى الوزارة الخارجية أيضًا) واتهامه بالعمالة للسعودية.

القضاء على سالمين ١٩٧٨م

وبدأ عبد الفتاح إسماعيل وعبد الله الخامري وعلي ناصر محمد وعلي عنتر في التكتل ضد سالمين ولا بد من توضيح الوضع في الشمال حيث كان إبراهيم الحمدي قد تولى السلطة ورئاسة الجمهورية بعد تنازل القاضي عبد الرحمن الأرياني عنها وذلك في ١٣ يونيه ١٩٧٤ وكانت علاقته بالحزب الاشتراكي في

اليمن الجنوبي علاقة جيدة وبدأ التعاون بين الفريقين ضد الدول المجاورة وكسب الحمدي شعبية في اليمن وعندما كان في زيارة لفرنسا قُدم له فتاتين فرنسيتين جميلتين فأعجب بهما وطلب من السفارة أن ترسلهما إلى صنعاء بعد مغادرته، وبالفعل تم إرسالهما وأقام إبراهيم الحمدي حفلة خاصة في منزل أخيه أديرت فيها الكؤوس والموسيقى واستطاع أحمد حسين الغشمي ومن معه أن يثيروا بعض رجال القبائل ليهاجموا الحمدي وهو في حالة سكر وعربدة فقتلوه ومن معه جميعًا بما فيهم الفتاتين الفرنسيتين وذلك في ١١ أكتوبر ١٩٧٧م. وبعدها مباشرة تولى أحمد حسين الغشمي رئاسة الجمهورية وكان أحد ضباطه الذين يعتمد عليهم هو علي عبد الله صالح.

وقامت بين الرئيس سالم ربيع علي وبين الرئيس الغشمي علاقة جيدة وأخبره (الرئيس سالم ربيع علي) أنه سيرسل له رسالة خاصة مع موفد خاص، وعرف فريق علي ناصر وعبد الفتاح إسماعيل بما يريد أن يقوم به الرئيس سالمين ربيع علي وأرادوا تفجير الأزمة والحرب بين الفريقين فقاموا باستبدال الرسول بشخص آخر واستبدال الشنطة بشنطة أخرى وبعثوه إلى الغشمي وكانت تلك الشنطة مليئة بالمتفجرات وأمروه أن لا يفتحها إلا عندما يسلمها إلى الغشمي وبالفعل فتحها فانفجرت فقتلت الرسول كما قتلت الغشمي وذلك في ٢٢ يونيو ١٩٧٨م، وتولى علي عبد الله صالح رئاسة الجمهورية في اليمن الشمالي منذ ذلك التاريخ.

وتم اتهام سالمين بهذه الجريمة، ورغم استعداد سالمين للقتال إلا أن أعداءه كانوا أكثر عددًا واستعانوا بالروس لدك قصر الرئاسة، وقامت البوارج الروسية في ميناء التواهي بدك قصر الرئاسة القريب منها وتم القضاء على

سالمين ومجموعته في ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م، وكان عدد الضحايا أكثر من ثلاثة آلاف من الجانبين، وانتصرت مجموعة عبد الفتاح وعلي ناصر وعلي عنتر وتخلصوا من حزب أبين رغم أن علي ناصر هو من أبين.

ومن الجدير بالذكر أن القبائل الجنوبية وخاصة بالمحميات الغربية السابقة استمرت على تعصبها القبلي ومما زاد الطين بلة بانسلاخ كثير من هذه القبائل من الدين بسبب الدعوة الماركسية وبالتالي فقدوا كل الأخلاق التي كانت تقلل من بداوتهم وتوحشهم، واستطاع عبد الفتاح والماركسييون أن يزيلوا ما بقي من آثار الدين والأخلاق لدى كثير من هذه المجموعات القبلية البدوية الذين قد وصفهم القرآن من قبل بقوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحجرات: ١٤].

وهذه القبائل كانت تحارب بعضها بعضًا من أجل مرعى أو من أجل سلطة صغيرة أو خدمة للإنجليز ولكن كان يمنعها في كثير من الأحيان ما بقي لديها من دين وأخلاق فلما جاءت الماركسية وعلموهم إياها تحول بعضهم إلى الماركسية وضاع ما كان موجودًا من بقايا الدين والأخلاق لهذا كانوا يكيدون لخصومهم من القبائل الأخرى ويستغلهم السياسيون والماركسيون في هذه الصراعات الدموية البشعة التي لا تنتهي.

انتصار عبد الفتاح إسماعيل ١٩٧٨م

وحقَّق عبد الفتاح إسماعيل بهذه المعركة انتصارًا حاسمًا بعد التخلص من سالمين وألغى اسم الجبهة القومية وأعلن تأسيس الحزب الاشتراكي اليمني

الذي تكون من مجموعة باذيب (الاتحاد الشعبي الديمقراطي) ومجموعة أنيس حسن يحيى (حزب البعث الاشتراكي) وحزب سلطان أحمد عمر وحزب جار الله عمر (والذي تاب فيما بعد) في الشمال وكلها أحزاب ماركسية لينينية.

وتولى عبد الفتاح أمانته العامة، وعمل بجد وتفان لتحويل اليمن إلى دولة شيوعية تابعة للاتحاد السوفييتي وتنهج منهجه وتسير على هداه، وكان أستاذ عبد الفتاح إسماعيل في ذلك كله اليهودي العريق المستشرق فيتالي نعومكين صاحب الكتب العديدة عن سقطرى Island of the Phoenix Vitaly. Naumkin وهو من أخبر الناس بها وبلهجاتها وعاداتها وكتابه جزيرة العنقاء من أهم المراجع حول سقطرى، واستطاع فيتالي نعومكين أن يطور فكر عبد الفتاح الاشتراكي ويجعله قادرًا على صياغة أيدولوجيات الحزب الماركسية المتطرفة.

وساهم عبد الفتاح إسماعيل في تأسيس المدرسة العليا للاشتراكية لتخريج الكوادر العليا للحزب، كما شكل منظمات جماهيرية من بينها الميليشيات الشعبية واتحاد الشبيبة الديمقراطي (شبيبة عبد الفتاح).

وتولى عبد الفتاح رئاسة الدولة، وعقد اتفاقية صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفييتي مدتها عشرين سنة كرست عدن قاعدة لوجستية وبحرية وجوية وحيدة للسوفيات في المحيط الهندي وشبه الجزيرة العربية.

وقام بحرب عصابات وتسميم المياه في المناطق الشمالية وتفجيرات مختلفة في أماكن متعددة وأثار الفوضى والرعب مما هدد كيان الجمهورية اليمنية في الشمال، وقد ركز على مهاجمة نظام صنعاء الرجعي القبلي وكان

يعمل على إيجاد اليمن الديمقراطي الماركسي، وقامت حرب فعلية بين الجيش الجنوبي المدرب تدريبًا عاليًا والمسلح تسليحًا حديثًا من السوفييت ضد الجيش الشمالي، ورغم ذلك لم يحقق انتصارًا وانتهى بمحادثات سلام ووحدة بواسطة الكويت.

ثم حدثت حرب أخرى بين اليمن الشمالي والجنوبي وانتهت بتدخل الجامعة العربية وإجراء مباحثات مطولة بين الجانبين وانتهت باتفاقية الوحدة التي وقعها علي ناصر محمد رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومحسن العيني رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية عن الجمهورية العربية اليمنية في القاهرة في سبتمبر ١٩٧٢، وقد قد قامت حرب أخرى جديدة بين اليمنيين وانتهت بتدخل القذافي - اتفاقية طرابلس ليبيا ٢٨ نوفمبر ١٩٧٢ - التي وقعها رئيس الجمهورية العربية اليمنية القاضي عبد الرحمن الإيرياني ورئيس الجمهورية الديمقراطية الشعبية سالم ربيع علي، وقامت حرب أخرى بين الجانبين ولكنها انتهت بعقد اتفاق جديد بين الجانبين عقد في صنعاء وعدن وذلك في أبريل ١٩٧٣م ورغم ذلك كله لم تتوقف المناوشات والحروب بين الجانبين وكلاهما يتغنى بالوحدة بين الشعب الواحد الذي مزقته الاختلافات القبلية والبرجوازية والإمبريالية (حسب قولهم) والتي انتهت في اتفاقية وهران في الجزائر أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربية وذلك في سبتمبر ١٩٧٣م وبإشراف وتوجيه الرئيس هواري بومدين.

انتصار علي ناصر ١٩٨٠م

واستطاع علي ناصر ومجموعته أن يجعلوا عبد الفتاح يستقيل من رئاسة الدولة والأمانة العامة للحزب الاشتراكي اليمني (وهو منصب أعلى من

رئيس الدولة في النظام السوفييتي) وذلك عام ١٩٨٠ م بحجة المرض، وأُعطي المنصب الفخري في رئاسة الحزب الاشتراكي وتوجه إلى منفاه في موسكو باسم العلاج.

واستطاع علي ناصر محمد وعلي عنتر وعلي سالم البيض الذي انضم إليهم بعد أن كان في حزب عبد الفتاح ووافق على عزل عبد الفتاح.

وتولى علي ناصر محمد عام ١٩٨٠ م رئاسة الدولة وعين علي عنتر الرجل القوي نائبًا له، وأراد أن يبعده من منصب وزير الدفاع والجيش، وولى علي ناصر أحد رجاله المقربين وهو صالح مصلح قاسم وزيرًا للدفاع.

واستمر علي عنتر في الذهاب إلى الجيش ببزته العسكرية ورتب أمورًا عشائرية في الضالع وردفان ولحج بأكملها التي كانت الضالع تتبعها.

واستطاع علي ناصر محمد أن يشتت أنصار عبد الفتاح إسماعيل فأرسل محمد سعيد عبدالله (محسن) الشرجبي رئيس المخابرات والرجل الذي قتل المئات بل الآلاف من أبناء الجنوب، أرسله إلى السجن ثم أرسله إلى أثيوبيا، ووضع محمود عشيش تحت الإقامة الجبرية، وكلاهما من الشمال من الحجرية – الذين ينقم عليهم الجنوبيون احتكارهم للسلطة في زمن عبد الفتاح.

واستطاع محمد علي أحمد محافظ أبين والساعد الأيمن لعلي ناصر أن يصفي أربعين شخصًا من أنصار ورجال عبد الفتاح إسماعيل.

وحاول علي ناصر تهميش علي سالم البيض الذي تزوج عشيقته ملكي كزوجة ثانية، وهو أمر يجرمه الحزب، فحرك علي ناصر الاتحاد النسائي اليمني لينظم مظاهرات ضد علي سالم البيض، وقد أدى هذا الموقف لإخراج

البيض من المكتب السياسي (Politburo) الذي كان يحكم البلاد والعباد، وحتى لا يشعر الحضارمة بالغبن، قرَّب علي ناصر إليه عبدالله صالح البار الذي كان من أنصار سالمين وتم سجنه بعد القضاء على سالمين عام ١٩٧٨م ثم أطلق سراحه.

وبادر علي ناصر إلى انتهاج سياسة انفراج خارجية مع الدول العربية المجاورة، واتفق مع علي عبدالله صالح في خفض التوتر، وأوقف العصابات التابعة لعبد الفتاح إسماعيل المخربة من العمل في الشمال، ووقف ضد ثورة مدبرة في الشمال من الحزب الشيوعي الشمالي وكانت مع الحزب مجموعة أسلحة حديثة وصواريخ أمدها بها علي عنتر عندما كان وزيرًا للدفاع.

وبدأ نوع من الانفراج السياسي والانفراج الاقتصادي في عهد علي ناصر محمد مع الاحتفاظ بكل مكتسبات الثورة والشعارات الماركسية اللينينية.

واستطاع علي عنتر أن يعيد تجميع قواته العسكرية الضاربة مع الاستعداد ليوم الفصل الحاسم، وانضم إليه علي سالم البيض، وبدأ الاستعداد للمعركة الفاصلة بين الفريقين: فريق أبين بقيادة علي ناصر محمد ومعه محافظ أبين محمد علي أحمد، وقائد البحرية الجنوبية أحمد عبدالله الحسني وعبد ربه منصور هادي (وغيرهم كثير) وهم من أبين، وعلي عنتر (نائب الرئيس والقائد الفعلي لقوة المدرعات من الضالع)، وعلي شايع وصالح مصلح وكلهم من منطقة الضالع وردفان (تابعة لمحافظة لحج)، وطلبوا عودة عبد الفتاح إسماعيل الذي عاد في فبراير عام ١٩٨٥ م من موسكو لينضم إليهم، وانضم إليهم علي سالم البيض وحيدر أبو بكر العطاس مشكلين قيادة سرية عام ١٩٨٥ م.

المعركة النهائية ١٩٨٦م

وبدأت المناورات للاستعداد للمؤتمر الثالث للحزب اليمني الاشتراكي، وبدأ الضغط على علي ناصر محمد الذي كان محتفظًا بمنصب الرئيس ورئيس الوزراء وأمين عام الحزب الاشتراكي.

ونتيجة الضغوط المتتالي من الكوادر ومن علي عنتر اضطر علي ناصر للتخلي عن منصب رئيس الوزراء لحيدر العطاس الذي اعتبره لا يشكل خطرًا ويمكن جعله قوة منافسة لعلي سالم البيض، ولكن حيدر العطاس انضم إلى البيض وإلى مجموعة علي عنتر وعبد الفتاح، وتم الإفراج عن محمد سعيد عبدالله (محسن) الشرجبي رئيس الاستخبارات السابق والمجرم العتيد بضغط من مجموعة علي عنتر، وتم تعيينه وزيرًا للإسكان، ورفعت الإقامة الجبرية عن محمود عشيش وتم تعيينه وزيرًا للوحدة، وهكذا عاد أنصار عبد الفتاح إلى الواجهة تدريجياً وشكلوا قوة حقيقية مناوئة لعلي ناصر.

وتحرك الطرفان للاستعداد لخوض المعركة الفاصلة، وتدخل الرفاق من بيروت - وخاصة نايف حواتمه وجورج حاوي وحتى جورج حبش المتهم بالتذبذب بين اليمين واليسار زار عدن لإصلاح ذات البين بين الرفاق الماركسيين، وتدخلت أيضًا السفارة الروسية.

وقُبيل انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي اليمني (الكونفرنس الثالث) اتضح الاصطفاف العسكري والحزبي بين الفريقين.

مجزرة يناير ١٩٨٦م ومقتل عبد الفتاح إسماعيل

وبدأت المجزرة في ١٣ يناير ١٩٨٦ م حيث كان كل فريق مستعدًا للآخر وقام علي ناصر بتدبير اجتماع لأعضاء المكتب السياسي في الصباح، ودخل

علي عنتر وعبد الفتاح إسماعيل وعلي سالم البيض وصالح مصلح وزير الدفاع انضم إلى حزب علي عنتر من قبيلته وعلي شايع، وتأخر علي ناصر قليلًا وأرسل حارسه الخاص مع ترمس الشاي الذي يشرب منه الرئيس علي ناصر، وفجأة أطلق الحارس النار على المجتمعين فقتل علي عنتر وعلي شايع وقام صالح مصلح بقتل الحارس الأول فأرداه قتيلًا، ولكن الحارس الثاني عاجله برصاصة فقتله، وتظاهر البيض وعبد الفتاح بأنهما قد قتلا ورفسهما الحارس برجله فلم يتحركا فخرج الحارس، ولما شعروا بالأمان تحركوا وطلبوا النجدة، وكانت الدبابات (وهي سلاح علي عنتر) قد دخلت عدن في ذلك الصباح استعدادًا للمعركة.

وبدأ قتال شرس، واستبسلت كل المجموعات وخاصة سلاح البحرية الذي بقي يرشق سلاح الدبابات بصواريخه من ميناء عدن بعد أن انهزم أنصار علي ناصر، وانقسمت القوات الجوية ولم يكن لها دور فاعل، وبعد عشرة أيام من القتال الشرس في عدن ولحج وأبين والضالع انتصرت مجموعة علي عنتر الذي قتل.

وقتل في المعارك ما يزيد على عشرة آلاف شخص، ثم استمر البحث عن أنصار علي ناصر الذي انسحب مع مجموعة كبيرة من أنصاره بلغت ثلاثين ألفًا إلى الشمال على أمل العودة بعد أن ينظم قواته ويطلب المدد من منجستو في الحبشة وعلي عبدالله صالح في الشمال اليمني.

وأرسل أنصار علي عنتر وعبد الفتاح دبابتين لحمل علي سالم البيض وعبدالفتاح إسماعيل، وتقول الرواية أن كل واحد منهما ركب دبابة، وأن صاروخًا أطلق على الدبابة التي فيها عبد الفتاح فأصابته فقتل هو وقائد الدبابة.

ولكن الغريب في الأمر أنهم وجدوا جثة قائد الدبابة ولكنهم لم يجدوا أي أثر لعبدالفتاح إسماعيل. وهناك إشاعة تدور بأن علي البيض تخلص من عبد الفتاح وتخلص من جثته (بالحرق أو الأسيد حامض الكبريتيك أو بغيرها من الوسائل) ليبقى هو الوحيد على رأس الحزب.

وبالفعل استطاع البيض أن يكون رأس الحزب ورأس الدولة، وبقي حيدر العطاس رئيسًا للوزراء، واعتمد على صالح أبو بكر بن حسينون قائد الفرقة العسكرية الموجودة في حضرموت ومن بقي من أنصار عبد الفتاح ومنصّر السييلي، ولأول مرة يسيطر الحضارم على مقدرات الحزب والدولة.

البحث عن مصير عبد الفتاح إسماعيل واختفاء جثته

كتب الأستاذ شاكر الجوهري: (المرتبط بالحزب الاشتراكي والحركة الشيوعية في اليمن) عدة مقالات متتابعة نُشرت في صحيفة السياسة الكويتية تشرح أحداث يناير ١٩٨٦م واختفاء جثة عبد الفتاح إسماعيل ثم نشرها في كتاب أصدرته مكتبة مدبولي بالقاهرة، وعاد أخيرًا نشرها باختصار على الإنترنت ووسائل التواصل في ٧/ ٧/ ٢٠١٨م باسم وثيقة الصراع في عدن، البيض أمر بقتل عبد الفتاح إسماعيل.

وقال: أن البيض هو الذي رتب قتل عبد الفتاح إسماعيل بمعرفة ومشاركة سعيد صالح عضو المكتب السياسي، ويقول: إن التقرير حول مقتل عبد الفتاح إسماعيل برئاسة صالح منصر السيلي يتقاطع مع نتائج الاستقصاء الصحفي، وهناك عدة روايات في مقتل عبد الفتاح إسماعيل:

ذكرت هذه الرواية أن عبد الفتاح إسماعيل خرج من قاعة اجتماعات المكتب السياسي مساءً في حوالي الساعة السابعة وهو مصاب بجرح طفيف

في يده، واتجه بمدرعة أقلّته وعلي سالم البيض إلى مبنى وزارة الدفاع، وعندما تعرضت المدرعة لنيران أحد المواقع التابعة للقوات البحرية (التابعة لعلي ناصر) قفلت راجعة حيث نزل منها البيض وبقي فيها إسماعيل.

وتقول الرواية الرسمية إن المدرعة أصيبت بعدة قذائف صاروخية دمرتها، إلا أنه لم يعُثر على أثر لجثة عبد الفتاح.

تذكر هذه الرواية على لسان شقيقة عبد الفتاح إسماعيل (زوجة فضل محسن عضو المكتب السياسي للحزب) " أم صلاح "، أن عبد الفتاح اتصل بها في اليوم الثالث للقتال ليطمئنها على سلامته.

والرواية الثالثة تقول: إنه اتصل بها في اليوم العاشر بدلا من اليوم الثالث

يقول علي سالم البيض خلال مقابلة نشرتها صحيفة " السياسة " الكويتية (١١/ ٢/ ١٩٨٦)، عد توقف القتال: إنه ظل هو والرفيق عبد الفتاح إسماعيل على اتصال مع السفير السوفياتي حتى اليوم العاشر للقتال.

وتشير هذه الروايات الأربع إلى أن عبد الفتاح لم يقتل مباشرة.

تقول الرواية: إن عبد الفتاح إسماعيل خرج مباشرة من مقر اللجنة المركزية إلى منزل سعيد صالح عضو اللجنة المركزية القريب من المبنى، وبقي فيه ليتابع أعمال المقاومة ضد القوات الموالية لعلي ناصر محمد، وفي اليوم الخامس أقتيد عبد الفتاح إسماعيل من منزل سعيد صالح مخفورًا بحراسة ("عبد القوي جوهر" قريب سعيد صالح) الذي تولى قتله وإحراق جثته ودفن بقاياها في مكان لا يبعد كثيرًا عن منزل سعيد صالح (الذي صار وزير أمن الدولة)، ثم أقدم سعيد صالح على قتل "عبد القوي جوهر"، مدعيًا أنه انتحر.

وقد ذكرت الروايات السابقة أن عبد الفتاح والبيض لم يقتلا في المجزرة وخرجا من مبنى اللجنة المركزية وركب كل واحد منهما دبابة وقد قصفت دبابة علي البيض وأصيب ونقل إلى المستشفى، كما قصفت دبابة عبد الفتاح إسماعيل وقتل من معه فيها ولكن عبد الفتاح إسماعيل خرج سالمًا يمشي كما تقول الرواية قرب مقر قيادة القوات البحرية بعد جسر التواهي إلى أن التقاه نفر من حراسات سالم صالح محمد وسعيد صالح، واصطحباه إلى منزل سعيد صالح القريب، ومن داخل منزل سعيد صالح اتصل " عبد الفتاح إسماعيل " مع شقيقته زوجة فضل محسن، وظل متخفيًا طوال أيام القتال في منزل سعيد صالح الذي هو من أقرب المقربين لعلي سالم البيض.

وكتب الأستاذ شاكر الجوهري يشرح ما حدث لعبد الفتاح إسماعيل: إن علي سالم البيض، أوعز إلى سعيد صالح حليفه وصديقه الدائم أن يقتل ضيفه عبدالفتاح إسماعيل، وقد أوكل سعيد صالح هذه المهمة إلى قريبه " عبد القوى جوهر" الذي نفذ المهمة.

ولكن أين ذهبت جثة عبد الفتاح إسماعيل؟

يقول سعيد الجناحي "هناك روايتان عن مصير جثة عمه عبد الفتاح إسماعيل"

الرواية الأولى: أن سعيد صالح عندما اختلف مع الرئيس علي عبد الله صالح قال له: سنقتلك كما قتلنا عبد الفتاح إسماعيل، فسأله الرئيس: وأين ذهبتم بجثته؟ فقال: قتلناه ووضعنا الجثة في شوال وثبتنا به ثقالات وقذفنا به إلى قاع البحر.

والرواية الثانية: تنسب إلى سعيد عبد الوارث (عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني) الذي قال لابن عبد الفتاح إسماعيل: إن جثة والده دفنت تحت أرضية غرفة داخلية في منزل سعيد صالح.

تقرير لجنة المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني، واللجنة المركزية في مقتل عبد الفتاح إسماعيل

(نسخة علي سالم البيض، ومختومة بتاريخ ١٣ مارس (آذار) ١٩٨٦ رقم ١٥٩/ ٣)

خلاصة التقرير المعقد والطويل: أن الدبابتين اللتين خرجتا من اللجنة المركزية (التواهي) ضربتا بمدافع متعددة بالقوات البحرية التي كانت تتبع علي ناصر محمد.

احترقت الدبابتان ورغم ذلك خرج منها قائدها ومعاونه بجروحهما وتم إنقاذهما بعد أن وصلا إلى بعض أقاربهما ومن ثم إلى مستوصف ومن ثم إلى مستشفى الجمهورية ومن ثم إلى مشفى الصداقة.

ووجدت في بقايا الدبابتين آثار عظام إنسانية، وثياب ممزقة وعدة أسلحة (مسدسات وبعض الذخائر).

وقد جاء في التقرير الاستنتاج التالي:

١- احتوت المدرعة على أربعة أفراد وأربعة مسدسات وآلي واحد.

٢- نجى من أفراد طاقم المدرعة شخصان القائد والسائق.

٣- وجدت جثتان، أحدها تبين أنه المدفعي (الثاني لم يشر إلى هويته التقرير).

٤- سُحبت جثتان محترقتان من قبل جماعة الدفاع قبل وصولنا الموقع بأيام، ومن بقايا الجثتين رماد وأسنان وخوذة بجانب حائط السور يستنتج أنها جثة مدفعي المدرعة.

٥- بناء على ما ورد أعلاه يخشى أن الجثة التي سحبت ولم يتم التعرف عليها هي جثة الرفيق عبد الفتاح إسماعيل، خاصة وأنه لم يعرف أي دليل آخر على خروجه من المدرعة وقت الحادث وحدوث إصابة في رجله قبل انفجار المدرعة مما يعيق حركته، وسماع الأنين عند حدوث الانفجار مباشرة، ولأن أحدًا لم يقرب من المدرعة لحظة انفجارها وخلال فترة احتراقها ولأكثر من ساعتين.

واستنتاجًا أن معظم الشواهد توحي بأن الرفيق عبد الفتاح استشهد هنا أو أن جنود من العدو أخذوا جثته مباشرة.

هذا ما استطعنا التوصل إليه على ضوء الفحص الدقيق للموقع والتحري مع سائق وقائد المدرعة وشهادات شهود العيان وقت الحادث وبعده، ونرفق جزء من عظم يمكن فحصه، حيث توجد الإمكانيات لمعرفة العمر.

نرجو أن نكون قد وفقنا في هذه المهمة الصعبة، مع بالغ تقديرنا الدائم.

صالح منصر السيلي (رئيس اللجنة)، محمد سعيد عبد الله،، الدكتور أمين أحمد عبده ناشر والرائد صالح عبيد أحمد.

وأقول أنا محمد علي البار الملحوظة التالية: الغريب أنه لم يتم فحص DNA للجثتين أو بقاياهما للتعرف على أصحابهما ومن اليسير التعرف على أصحاب هذه الجثث أو بقاياها، وبالتأكيد يمكن التعرف على جثة عبد الفتاح إسماعيل من بقايا الجثة ومن وجود ملفات طبية له في عدن وفي موسكو، ولهذا إن هذا التقرير فيه كثير من الغموض لا يمثل الحقيقة الكاملة في هذا الموضوع وخاصة أن كاتب التقرير والمشرف عليه هو صالح منصر السيلي رئيس اللجنة ووزير الداخلية والصديق الحميم لعلي سالم البيض.

وبما أن البيض متهم في ذلك فإنه من المحتمل أن يقوم صديقه بتحويل التهمة إلى أنصار علي ناصر محمد الذين كانوا مستولين على البحرية والتي أقامت بضرب الدبابات والمدرعات التابعة لمجموعة علي عنتر وعلي سالم البيض.

انتهاء المجزرة وتولي البيض القيادة ١٩٨٦م ثم انهيار النظام الشيوعي في روسيا ١٩٩٠م

وانتهت المجزرة بضعف الحزب الماركسي ودولته، وعندما تطورت الأمور وانتهت الماركسية في روسيا نفسها عام ١٩٩٠ م (بدأ الانهيار عام ١٩٨٩ م)، بادر علي سالم البيض إلى الوحدة الاندماجية مع الشمال.

البيض يذهب إلى الوحدة ١٩٩٠م

ولم يكن البيض غبيًا عندما قفز إلى الوحدة الاندماجية بل كان يقوم بعمل ماكر ذكي للأسباب التالية:

- استلم البيض مبلغًا كبيرًا من صدام حسين ليتمم الوحدة مع وعود بالدعم الكامل.

انتهت الشيوعية بانهيار المعسكر الاشتراكي بأكمله وتحول روسيا نفسها إلى الرأسمالية وتفكك المجموعة الاشتراكية بكاملها في أوروبا.

كان الضعف بالمؤسسة الحزبية في الجنوب قد نال منها كل منال بسبب الحروب المتتالية والتصفيات وآخرها مذابح يناير ١٩٨٦ م المروعة (ضحيتها أكثر من أربعين ألف من الكوادر العليا إلى الكوادر السفلى إلى بسطاء الناس).

انهيار الدولة في اليمن الديمقراطية الشعبية ومواجهة الديون، ولم تعد روسيا قادرة على مدها بأي أموال على الإطلاق، وكانت الأنظمة المحيطة بها سواء في الشمال اليمني أو دول الخليج يتربصون بها وينتظرون نهايتها.

رغم أن الوضع في الشمال كان أفضل من الجنوب من الناحية الاقتصادية إلا أنه كان يعاني من انقسامات قبلية بين حاشد وبكيل وبين مجموعات صنعاء ومجموعات تعز، ولم يكن هناك تنظيم قوي سوى تجمع قبيلة حاشد الذي يقوده الشيخ عبدالله حسين الأحمر الذي تحالف مع الإخوان المسلمين حيث كونوا التجمع الوطني للإصلاح.

كان الحزب الاشتراكي في الشمال لا يزال موجودًا ويرأسه جار الله عمر، والحزب له جذور وخاصة في منطقة تعز والحجرية موطن عبد الفتاح إسماعيل ومحسن الشرجبي وعشيش (الثلاثة الكبار في التنظيم الاشتراكي في عدن) كما كان لهم أنصار في صنعاء وغيرها من المدن، وقد استقطبوا مجموعة من ضباط الجيش واستغلوا التنافس بين حاشد وبكيل فتسللوا إلى بكيل وأوجدوا لهم أنصارًا في شبابها.

كان علي سالم البيض يعتقد أنه بالوحدة وبوجود فرقتين كاملتين من الجيش الجنوبي بكامل عدتهما وسلاحهما في الشمال يشكل قوة ضاربة له و(أحدها) بالقرب من صنعاء في عمران و(الثانية) في ذمار.

كان البيض يظن أنه يستطيع بخبرته الحزبية الطويلة وقدرته على الخداع أن يخدع علي عبد الله صالح، وبالتالي يستولي في فترة معقولة على مقاليد السلطة.



البيض يقوم بالانفصال ١٩٩٤م وينتهي بالفشل وسرقة المليارات

ولكن البيض خاب أمله إذ وجد أن علي عبدالله صالح أشدُّ ذكاء ومكرًا منه، فمع علي عبدالله صالح ثلاثين ألفًا من أنصار علي ناصر الذين هربوا إليه واستطاع أن يستقطبهم، كما كان تحالفه الوثيق مع عبدالله بن حسين الأحمر ومعه قبائل حاشد القوية يشدان أزره ويضاف إلى ذلك المجموعات من أنصاره في الجيش والمخابرات ومجموعات الإصلاح المستعدة لقتال الشيوعيين من ناحية المبدأ.

واستطاع علي عبدالله صالح أن يحتاط لفرقة عمران وفرقة ذمار الجنوبيتين وأن يحيطهما بقواته الضاربة إذا تحركوا ضده وأسقط في يد البيض، فبدأ المناورات والاحتجاجات والاعتصامات وأعلن الانفصال في ٢١ مايو/ أيار ١٩٩٤م بعد أن استطاع أن يقنع دول الجوار بأهمية الانفصال.

وقال علي صالح: إن البيض استلم أربعة مليارات باسم حرب الانفصال، وقال آخرون: إن المبلغ كان مليارًا فقط ونكص عن القتال، وشرد بالمال وأودعه في بنوك سويسرا، وهرب تاركًا وراءه صديقه ابن حسينون يواجه قوات علي عبدالله صالح الأكثر عددًا وعدة، وبطبيعة الحال انتهت الحرب بالهزيمة النكراء للبيض وأنصاره واستولى علي عبد الله صالح على الأسلحة الحديثة التي تم استيرادها من الدول الاشتراكية السابقة لحساب البيض.

لماذا انهزم البيض في معركة الانفصال

اعتمد البيض على القوات العسكرية القوية التي كانت معه وخاصة المجموعات الحضرمية والتي يرأسها بن حسينون.



تلقى البيض دعمًا قويًا من دول الجوار الذين قدموا له المساعدات المالية الضخمة كما ساعدوه على شراء أسلحة متطورة من المعسكر الاشتراكي السابق.

كان موقف الولايات المتحدة مذبذبًا وقد تظاهرت أول الأمر بتأييد مجموعة البيض، ولكن علي عبد الله صالح ووزير خارجيته الأرياني استطاعا أن يقنعا الولايات المتحدة بالوقوف على الحياد، وقد قامت الولايات المتحدة بنصح الحكومة المصرية بأن لا تشترك بهذه الحرب.

تميزت قوات علي صالح بالانضباط والدفاع عن الوحدة بقوة لعدة أسباب منها المصالح الشخصية ومنها محاربة التيار الاشتراكي الشيوعي السابق، وبالتالي انتصرت قوات علي عبد الله صالح وأعيدت الوحدة بين الشمال والجنوب ولكن بعد أن خسر الجنوب العديد من أبنائه وصارت السلطة بيد المجموعة الشمالية.

مشاكل الوحدة

وبدأت مشاكل الوحدة بعد عام ١٩٩٤م حيث استولى الشماليون على الأراضي والمناصب في الجنوب مما أوجد ثورة في النفوس وخاصة بعد أن سرح عشرات الآلاف من الموظفين والجنود الضباط ولم يحصلوا إلا على مبالغ تافهة للتقاعد، وأدى بهم الجوع واستبداد الآخرين واستيلائهم على الأراضي والمناصب إلى تكوين الحراك الجنوبي، وهو لا شك ردة فعل يجب أن تزول بعد زوال علي عبد الله صالح وحكمه الفاسد وإيجاد نظام ديمقراطي وفيدرالي ليشمل اليمن بأكملها حتى تتخلص من كابوس الطائفية والمناطقية والظلم والاستغلال.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

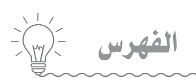
الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**



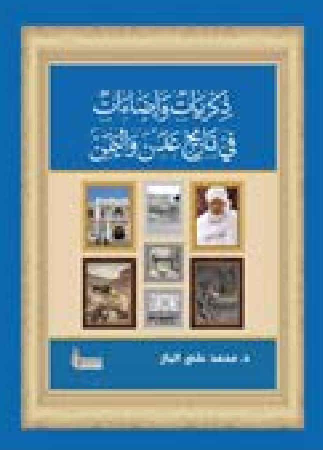
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

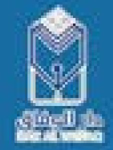
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



يعرض هذا الكتاب تاريخ عدن واليمن من بداية الحرب العالمية الثانية وما صاحب ذلك من أحداث وقصص تستحق أن تُرْوَى. ووقوع عدن في قبضة الإنجليز، وما تحويه مدينة عدن من سكان مختلفي الجنسيات والأديان، وأولها الإسلام، وأهم المعالم الدينية والتاريخية في عدن. كما يوضح كيف دخلت اليهودية إلى اليمن منذ أيام سيدنا سليمان عليه السلام ثم اندثرت، وعادت مرة أخرى في عهد التتابعة، وذكر تاريخ اليهود في عدن باختصار إلى أن ذهبوا إلى فلسطين في عام 1948م وما بعده. كما شرح دخول النصرانية اليمن وعدن وماذا حدث مع نصارى نجران وكيف اختفت المسيحية بعد ذلك إلى أن ظهرت في العصر الحديث بعد دخول الاستعمار والهيئات التبشيرية، وكيف فشلت هذه الهيئات في تنصير سكان عدن واليمن. كما ذكر الزرادشتية (المجوس) الذين كانوا في عدن، كما ذكر الهندوس ودينهم ومعبدهم.

إلى جانب ذلك عرض المؤلف العديد من الذكريات المهمة، التي تخص مراحل تعليمه وعلاقته بمعلميه، ومجالس الشاي التي كانت تعقد في بيت والده، ومَنْ حضرها من العلماء والشعراء وأخبارهم. وكل هذه الذكريات تتلاقى مع تاريخ عدن واليمن وتعكس تفاصيل المكان والزمان بأسلوب شائق. كما وصف المعاهد التعليمية المختلفة التي تخرج فيها سواء في مصر أو عدن، ذاكرا الأحداث السياسية والاجتماعية والعلمية التي كانت تموج بها عدن في تلك الفترة، وقد جعل الفصل الأخير للجمعيات الوطنية والحركات السياسية التي عَرَف بعضها عن كَثَب ومما قرأه عنها.



دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+